نصوص من

أخبار مصر

لابن المأمون

الأمير جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون البطائحي

المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

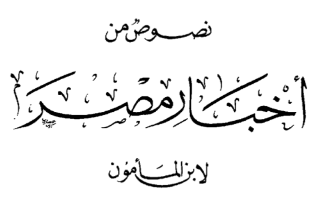
حققها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها

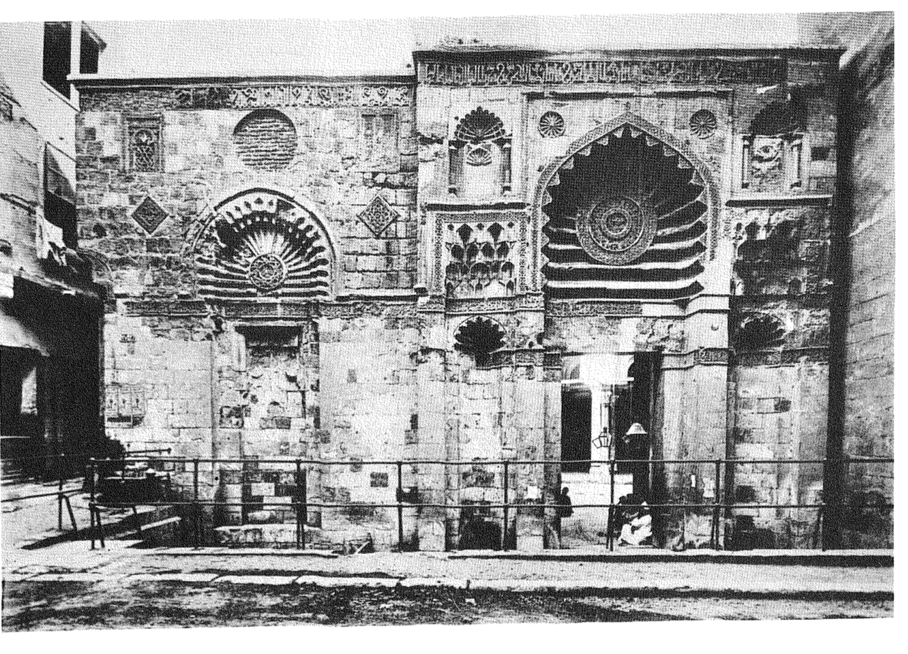
أيمن فؤاد سيد



المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

Ministère de l'Education Nationale, Paris. — Publication de l'Institut français d'Archéologie orientale, mai 1983. — Dépôt légal : mai 1983; numéro d'imprimeur et d'éditeur 596.


نصوص من
أخبار مصر
لابن المأمون



الجامع الأَقْمَر من روائع العمارة الفاطمية فى زمن خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة المأمون بن البَطَائِحِى

نصوص من



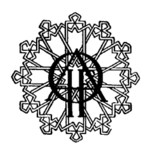
لابن المأمون

الأمير جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون البطائحي

المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

حققها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها

أيمن فؤاد سيد



المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة



فهرست الكتاب

الصفحة

الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

مَنْ يطالعُ كتابَ « الخِطَط » للمَقْرِيزِى يستطيع أن يلْحَظَ أن أهم مصادره لفترة خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة الأفْضَل بن بدْر الجمالى والمأمون بن البَطَائِحِى هو « تأريخ ابن المأمون » . وهذا الكتاب ، بالإضافة إلى كتاب « الذَّخائِر والتُّحف » وكتاب « نُزْهَة المُقْلَتَيْن فى أخْبَار الدَّوْلَتَيْن » لابن الطُّوَيْر القَيْسَرانى ، أهم مصادر المقريزى فيما يخُصُّ النظم والرسوم الفاطمية . فعنْ طريق ابن المأمون استطاع المقريزى أن يصفَ لنا باستمرار تفاصيل الاحتفالات والأعياد التى تمَّت فى خلافة الآمر بأحكام الله .

وقد فُقِدَ أصْلُ هذا التاريخ مع مافقدناه من مصادر عصر الفاطميين ، ولم نعرفه إلّا عن طريق مانقَلَه عنه المقريزى والنُّوَيْرِى . ومحور هذا التأريخ هو خلافة الآمر بأحكام الله ، وعلى الأخص الفترة التى تولّى فيها المأمون بن البطائحى الوزارة [1] . فقد نقل عنه المقريزى ابتداء من حوادث سنة ٥٠١هـ وحتى حوادث سنة ٥١٨هـ . وعلى الأخص حوادث السنوات : ٥٠١ و ٥٠٦ و ٥٠٩ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ هـ . ويوافق سَقْط الحوادث هنا ، السنوات نفسها الساقطة من تاريخ ابن مُيَسَّر (٥٠٢ – ٥١٤هـ) ، وقد رجَّحت أن تاريخ ابن المأمون كان أحدَ مصادر ابن مُيَسَّر فى تاريخه ، وإن لم يُنَصَّ على ذلك صراحةً فى القسم الذى وصَلَ إلينا من تأريخه ، وهو القسم الذى انتقاه التقى المقريزى [2] .

ومع أهمية كتابَىّ ابن المأمون وابن مُيَسَّر البالغة لدراسة تاريخ الفاطميين فى مصر ، فإننا لم نظْفَر بأى نصٍّ كاملٍ لهما يمْكِنُنا الرجوع إليه والاعتماد عليه باطمئنان ، فتاريخ ابن ميسر وصل إلينا مبتوراً ناقصاً فى نصٍّ انتقاه لنفسه تقى الدين المقريزى سنة ٨١٤ هـ ، أما تاريخ ابن المأمون فكل مانعرفه عنه

---

(١) يعرف الكتاب أحياناً فى المصادر باسم : « السيرة المأمونية » .

(٢) انظر مقدمتى للمنتقى من أخبار مصر لابن ميسر (مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٨١) صفحة هو – طى .

هو ما انتقاه أيضاً المقريزى وضمَّنه كتابه الشهير « المَوَاعِظ والاعْتِبَار بِذِكْرِ الخِطَطِ والآثَار » .

ولم أجد مؤرخاً غير المقريزى والنُّوَيْرى ، وربما ابن ظَافِر الأزْدِى [1] ، استفاد من تاريخ ابن المأمون ، سوى إشارة مغرضة لابن سعيد المغربى لاتدل على أنه اطَّلع على الكتاب أو تصفَّحه على أقل تقدير وإن أفادتنا فى التعرُّف على أجزاء الكتاب ، يقول :

« ... فصنَّف فى تاريخهم كتاباً ، وَقَفْتُ عليه فلم أر أجْمَعُ للهذيان منه ، وهو فى أربع مجلدات لايقدر المنتقى يختار منه شيئاً إلاَّ ماندر ، ولعلَّ ذلك أقل من القليل » [2] .

فالكتاب ، كما سترى ، حافلٌ بمعلوماته ، غنىٌّ بتفصيلاته ، فهو إلى جانب كونه المصدرُ الوحيد لخلافة الآمر بأحكام الله ، جاءَ غنياً بمعلوماتٍ تفصيلية عن نُظُمِ الدولة ورُسُومها فى وقت تولِّى والده المأمون البطائحى الوزارة ، مقارنةً بعهد سَلَفِه الأفضل بن بدْر الجَمَالى .

لذلك فإن المقريزى أكثر من الاعتماد عليه والنقل عنه فى كتابه « الخِطَط » فى الفصل الذى عقده لذكر رسوم دار الخلافة الفاطمية ، وفى مواضع أخرى متفرقة ، بينما لم يعوِّل فى النقل عنه كثيراً فى كتابه التاريخى « اتعاظ الحُنَفَا » .

فالمعلومات التى أوردها ابن المأمون عن نظام بلاط الفاطميين ، هى وصفٌ دقيق لرسوم القوم فى وقتٍ استقرَّت فيه الخلافة واكتملت مظاهرُ عظمتها ، بعد ما أصابها من ضَعْفٍ ووَهَنٍ فى زمن المستنصر ، وبعد أن أعاد إليها بدر الجمالى وخلفاؤه كثيراً من استقرارها وقوتها . فقد دخلت مصر ، فى الفترة بين وفاة الوزير اليَّازُورِى عام ٤٤٩ هـ ومجيىء القائد بدر الجمالى فى عام ٤٦٧ هـ ، فى أزمات إدارية كبيرة أفْقَدَت الدولة رهبتها وهيبتها حتى إنه ، فى هذه الفترة القصيرة ، أُبعد أربعةٌ وخمسون وزيراً واثنان وأربعون قاضياً ، وأثَّرَت الفتنُ والمجاعات والأوبئة على البلاد . بينما تولَّى فى الفترة من عام ٤٦٧ هـ وحتى عام ٥١٩ هـ ثلاثة وزراء فقط هم : بدر الجمالى ، وابنه الأفضل شاهنشاه ، والمأمون بن البطائحى ، فلما عُزِل المأمون فى سنة ٥١٩ هـ استبدَّ الخليفة الآمر بالأمر ولم يستوزر أحداً حتى وفاته فى سنة ٥٢٤ هـ .

---

[1] ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٩٢و .

[2] ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ٣٦٣ .

وفى الوقت نفسه أراد الآمر أن يعيد مظاهر الاحتفالات التى كانت سائدة قبل سنىّ الشدة يقول المقريزى : « فأكثر من الركوب ، ورتَّب لركوبه ثلاثة أيام من كل أسبوع وهى : الجمعة ويوم السبت ويوم الثلاثاء ، فإذا لم يتهيَّأ له الركوب فى أحَد هذه الأيام ركب فى يومٍ غيره . فكان يمضى أبداً فى يومى الثلاثاء والسبت إلى النزهة فى بستان البَعْل والتَّاج والخَمَس وجوه وقبة الهواء ، من ظاهر القاهرة ، أو إلى دار الملك بمصر ، أو بالهَوْدَج الذى أنشأه بجزيرة مصر التى يقال لها اليوم الروضة » .

« وكان يتجوَّل فى أيَّام النيل فى القَصر بخدمه ويسكن فى اللؤلؤة المطلَّة على خليج القاهرة . وكان الناسُ يوم ركوبه يخرجون من القاهرة ومصر بمعايشهم ويجلسون للنظر إليه ، فيكون كيوم العيد . وصار الناس مدة أيامه ، التى استبدَّ فيها ، فى لهوٍ وعيش رغد لكثرة عطائه وعطاء حواشيه وأستاذيه ... » [1] .

« وكان المنفق فى مطابخه وأسمطته شيء كثير ، فكان عدَّة مايُذْبح له فى كل شهر خمسة آلاف رأس من الضَأْن خاصةً ، سوى مايُذْبح ممَّا سوى ذلك ، وثَمَنُ الرأس منها ثلاثة دنانير » [2] .

كذلك طلب الآمر إلى وزيره المأمون إعادة ليالى الوقود الأربع وأن يُظْهر فيهن التوسعة والبر والنفقات [3] . وهو الذى نقل الجلوس فى يومى الاثنين والخميس من الإيوان الكبير إلى قاعة الذهب [4] .

وأدَّت سنوات الشدة المستنصرية ، وما حلَّ بمصر بسببها من الغلاء والوباء إلى موت أهلها وخراب ديارها وتغيُّر أحوالها . ولم يبق بمصر ، وقت دخول بدر الجمالى إليها ، إلاَّ بقايا من الناس أرهقهم غلاء الأسعار والخوف من العسكرية وفُقْدان الأمان ، فقد انقطعت الطرق براً وبحراً إلاَّ بخفارة وكُلْفة كثيرة . وأصاب القاهرة وأهلها أيضاً مَسْغَبة شديدة ، فأباح بدرُ للناس ، من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارة ، أن يعمِّر ماشاء فى القاهرة . فكان هذا أول وقتٍ اختطَّ الناسُ فيه

---

(1) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ١٢٩ وقارن الخطط ٢ : ١٢٥ ففيه أنه أحب إعادة النزه .

(2) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ١٣١ .

(3) المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٦ .

(4) المقريزى : الخطط ١ : ٣٣٨ ، ٣٨٥ .

بالقاهرة [١] ، فأخذوا فى نقل ماكان بالقَطَائع والعَسْكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ماهنالك الهدم فصار موحشاً ، وخَرِب مابين القاهرة ومصر من المساكن ولم يبق هنالك إلاَّ بعض البساتين [٢] .

فأراد الآمر أن يعيد إلى عاصمته سابق ازدهارها ، وأن يعمِّر الناس مابين القاهرة ومصر ليعيد للخلافة عزَّها ومجدَها ، وأن يعيد الاحتفالات والرسوم التى انقطعت بسبب هذا البلاء ، فأمر وزيره المأمون البطائحى بالنداء ثلاثة أيام فى القاهرة ومصر « بأن من كان له دار فى الخراب أو مكان فليعمره ، ومن عَجَز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقلِ شئ من أنقاضه ، ومن تأخَّر بعد ذلك فلا حقَّ له ولا حكر يلزمه » ، وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق . فاستجاب الناس لندائه وعمَّروا ماكان من ذلك مما يلى القاهرة من جهة المَشْهد النَّفِيسى إلى ظاهر باب زويلة [٣] .

* * *

والواقع أن مانعرفه من تفصيلات عن رسوم الخلافة الفاطمية ، ووصف مواكب الخلفاء وركوبهم فى الأعياد والمواسم وخروجهم للصلاة ، وما كان يرتديه الخليفة والوزير والخواص فى هذه المناسبات ، وماكان يخرج من دار الكُسْوة ويوزع على أرباب الدولة ، أو يقدم فى الأسْمِطَة من مآكل ومشارب يعود إلى فترة خلافة الآمر بأحكام الله ، الذى أعاد وطوَّر الكثير من الاحتفالات التى انقطعت بسبب ماتعرَّضت له البلاد فى أعقاب الشدَّة ، ولوجود مؤرخ مثل ابن المأمون اهتم بتسجيلها ووَصْفها ، وذلك فيما عدا معلومات قليلة تعود إلى بداية عصر الخلافة ندين بها إلى ابن زولاق والمُسَبِّحى .

وقد اقترن نقل المقريزى من ابن المأمون بالنقل من كتابين هامين فُقِدَت أصولُهما اليوم : الأول سابق عليه هو « الذَّخائر والتُّحَف » خاص بفترة خلافة المستنصر واهتم خاصة بذكر ما أُخرج من خزائن القصر فى عامى ٤٦٠ و ٤٦١ هـ . والثانى لاحقٌ له هو « نُزْهَة المُقْلتين فى أخبار الدولتين

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤ .

[٢] المصدر نفسه ١ : ٣٠٥ .

[٣] المصدر نفسه ١ : ٣٠٥ و ٢ : ٢٠ .

الفاطمية والصلاحية » لابن الطُّوَيْر القَيْسَرَانى المتوفى سنة ٦١٤ هـ ، وهو من المصادر القليلة التى اختصَّت بذكر النظم والرسوم ومقارنتها ، فقد كان هدفُ مؤلفه عقد مقارنة بين نظم ورسوم الفاطميين ونظم ورسوم دولة صلاح الدين [١] ، وإن كان كل ماوَصَل إلينا عن هذا الكتاب ونقله ابن الفرات والمقريزى والقلقشندى وأبو المحاسن يخص نظم ورسوم الفاطميين فقط حتى قال عنه أبو المحاسن : « وهو أجْدَر بأخبار الفاطميين من غيره » [٢] . وقَسَّم ابن الطُّوَيْر كتابه إلى فصول لا نعرف عددها ولا موضوعاتها ، إلاَّ أن المقريزى نقل عنه من الفصل العاشر وعنوانه « ذكر هيئتهم فى الجلوس العام بمجلس الملك » [٣] ، ومن فصل آخر عنوانه « ذكر جلوس الخليفة فى الموالد الستة » [٤].

* * *

ومن خلال دراستى للفاطميين وما نَشَرْتُه من مصادر تاريخهم فى مصر ، استلفت نظرى الأهمية الكبيرة للنصوص التى أوردها المقريزى وغيره عن هذه الكتب الثلاثة ، ووجدت أن تناثرها فى بطون هذه الكتب أفقدها الكثير من أهميتها وجَعَل الاستفادة بها غير تامة . ووجدت أن جَمْع هذه النصوص ونشرها نشراً علمياً كفيلٌ بتوضيح الكثير من معلوماتنا فى موضوع الرسوم الفاطمية بوجه خاص بما اشتملت عليه هذه النصوص من فوائد ضافية ومعلومات تفصيلية .

والكتاب الذى أنشره اليوم هو النصوص التى انتقاها المقريزى والنويرى من « تاريخ ابن المأمون » ، وهو الأمير شرف الخلافة [المُلْك] جمال الدين أبو على موسى بن المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك ابن مختار البَطَائِحِى المتوفى بالقاهرة فى سادس عشر جمادى الأُولى سنة ٥٨٨ هـ [٥] ، ولانعرف عنه أكثر من أنه أحد أبناء الوزير المأمون البَطَائِحِى .

---

[١] المقريزى : الخطط ، ١ : ٤٠٨ – ٤٠٩ ، وانظر لكاتب هذه السطور : دارسة نقدية لمصادر تاريخ الفاطميين فى مصر ١٥٤ – ١٥٦ ، ومقدمة المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر صفحة ذ – ظ ، Cahen, Cl., «Quelques chroniques anciennes relatives aux derniers Fatimides», BIFAO 37 (1937-38), pp. 10-44 .

[٢] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٥ : ٢٤١ .

[٣] المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٦ .

[٤] المصدر نفسه ١ : ٤٣٣ و ٢ : ٣٩٠ .

[٥] المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ١/١ : ١١١ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ٣٦٣ ، وانظر أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ١٤٩ – ١٥٠ ، Wiet,G., Journal Asiatique, 1921, p. 85-87 .

٥١٩ هـ) ، إلاَّ أنه اعتمد ، إلى جانب المشاهدة ، على مذكرات ووثائق رسمية أتاحت له إمدادنا بهذا الوصف التفصيلي للكثير من الاحتفالات والمواكب التي تمَّت في هذا العصر . كذلك فقد أورد ابن المأمون نصَّ عددٍ من السجلات والمناشير التي صدرت في زمن الوزير الأفضل شاهنشاه ، لاندري من أين نقلها خاصة وهو لم يعمل في ديوان الإنشاء ، والراجح أنه وجد صوراً لها في مخلَّفات والده الذي كان مَدبِّر أمر الأفضل شاهنشاه [١] .

والتاريخ الذي كتب فيه ابن المأمون تأريخه هو على الأرجح في السنوات الأخيرة من حياته ، حقيقة أنه يذكر في سياق الحوادث تاريخ سنة ٥٣١ هـ وسنة ٥٣٥ هـ إلاَّ أنه يذكر في موضع آخر تاريخ سنة ٥٨٦ هـ ، أي قبل وفاته بعامين .

أما المَنْهَجُ الذي اتبعته في إخراج « المنتقى من تاريخ ابن المأمون » فهو المنهج نفسه الذي أخرجت به من قبل « أخبار مصر » للمُسَبِّحِي ، و« أخبار مصر » لابن مُيَسَّر ، من ضَبْط النص ، وتعريف أعلامه ، وتحديد مواضعه ، وشرح مصطلحاته ، ومقابلة الحوادث التاريخية على مظانها من كتب التاريخ المختلفة .

* * *

ومن دواعي السرور أن ينْهضَ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة بنشر النصوص التاريخية المتعلِّقة بمصر الإسلامية ، فبدأ منذ نحو عشر سنوات سلسلة ظهر فيها عددٌ من مصادر مصر الفاطمية هي : « أخبارُ الدُّول المنقطعة » لابن ظَافِر الأَزْدِي ، « وأخبار مصر » للمُسَبِّحى ، و « المنتقى من أخبار مصر » لابن مُيَسَّر ، وهذا الكتاب وآمل أن يستمر المعهد في هذا العمل المفيد ، وأن يُيَسِّر الله لي إتباع هذا الكتاب بإخراج نصِّ « الذَّخائِر والتُّحف » ونص « نزهة المقلتين » إنه سميعٌ قريبٌ مجيبُ الدَّعوات .

والفَضْلُ في خروج هذه النصوص يعود إلى مديري المعهد الذين توالوا على إدارته في السنوات

---

[١] انظر فيما يلي ص ٤٥ .

العشر الماضية وهم : الأستاذ سيرج سونيرون ، والأستاذ جان فاركوتير ، ومديرته الحالية مدام بول بوزنير فإليهم أتقدَّم بخالص الشكر .

أما إخراج الكتاب فى هذه الصورة فالفضل فيه يعود إلى عناية الصديق محمد أمين الخانجى – صاحب مكتبة الخانجى بالقاهرة – الذى تولى صفَّه بطريقة الجمع التصويرى ، والصديق رينالدو جورى ، مدير مطبعة المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ، الذى تولى مع معاونيه إخراج الكتاب ، بعنايته المعهودة ، فى هذه الصورةِ الجميلة ، فإليهم جميعاً خالص شكرى .

وكتب
أيمن فؤاد سيد

مصر الجديدة فى ٢٧ جماد الأولى ١٤٠٣ هـ

الموافق ١٢ مارس ١٩٨٣ م

نصوص من

أخبار مصر

لابن المأمون

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة إحدى وخمسمائة

قال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة إحدى وخمسمائة : وأوَّل ماتُحُدِّث فيه نَقْلُ السنة الشمسية إلى العربية [1] ، وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين ، فتحدَّث القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البَطَائِحِى [2] مع الأفضل بن أمير الجيوش [3] فى ذلك ، فأجابه إليه وخَرَج أمره إلى

---

[1] عن التوفيق بين السنين الشمسية والقمرية انظر ، القلقشندى : صبح الأعشى ١٣ : ٥٤ — ٦٢ ، ابن مَمَّاتى : قوانين الدواوين ٣٥٨ .

وعن نقل السنة الشمسية إلى العربية فى سنة ٥٠١ هـ راجع ، القلقشندى : صبح الأعشى ١٣ : ٦٠ نقلاً عن صاحب « المِنْهَاج فى صَنْعَة الخَرَاج » وهو القاضى أبو الحسن على بن عثمان المَخْزُومى المتوفى سنة ٥٨٥ هـ ، والمقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ٤٠ .

[2] القائد أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة (الدين) أبو شجاع فاتك بن الأمير مجد (منجد) الدولة أبو الحسن مختار ابن الأمير أمين الدولة أبو على حسن بن تمام المستنصرى الأحول الإمامى الشيعى المعروف بالمأمون بن البطائحى وزير الآمر بأحكام الله ، ومدَبِّر الأمور فى الأيام الأفضلية ، توفى مقتولاً فى سنة ٥١٩ هـ .

(راجع فى أخباره ، ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة ٦٢ — ٦٤ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٢٠٤ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٨٨ ، ابن ميسر : أخبار مصر ٨٧ — ١٠٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ : ٢٢٩ و ٣٠٢ ، النويرى : نهاية الأرب — خ ٢٦ : ٨٥ — ٨٦ ، الذهبى : العبر ٤ : ٤٤ — ٤٥ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ٤ : ٣١٣ — ٣١٤ ، ابن الفرات : تاريخ — خ ٢ : ٥٤ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٢ — ٤٦٣ والمقفى (خ . ليدن) ٢ : ٢٠٦ و — ٢١١ ظ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٧٠ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ٢٠٤ ، المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ٢٧٢ — ٢٧٥ ، Dunlof, D.M., EI., art. «al-Batâ'ihî», I, p. 1124) .

والبَطَائِحِى . نسبة إلى البطائح ، موضع بين واسط والبصرة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٧٠ هـ [2]) .

وسمِّى بالمأمون لأنه عندما قتل الأفضل استدعى ابن البطائحى الخليفة الآمر إلى دار الأفضل فتسلم أمواله كلها وأحضر إليه الجواهر فشكره الآمر وقال له : والله إنك المأمون حقاً مالك فى هذا النعت شريك ، فلما قلَّده الوزارة نعته « بالأجل المأمون » فعرف به . (المقريزى : المقفى (خ . ليدن) ٢ : ٢١٢ ظ واتعاظ الحنفا ٣ : ٦٤ — ٦٥) .

وذكر صاحب «البستان الجامع» ١١٩ : « أنه كان فى ابتداء أمره فرَّاشاً وشوهد فى صغره وهو يرشّ بين القصرين » . ونقل هذا الخبر عن صاحب البستان ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٥ وقارن ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٤٩٣ ، والنويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٨٦ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ١١١ الذى ذكر أن كل ذلك غير صحيح وأنه من تشنيع المشارقة .

[3] الأفضل أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى . ولى الوزارة للمستنصر فى أعقاب وفاة والده ، =

الشيخ أبى القاسم بن الصَّيْرَفِى[١] بإنشاء سجلٍ[٢] به ، فأُنْشأ ما نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ارتضى أمير المؤمنين أمينه فى أرضه وخليفته ، وأَلْهَمَه أن يعمَّ بحسن التدبير عبيده وخليقته ، ووفَّقه لمصالح يستمد أسبابها ، ويفتح بحسن نظره أبوابها ، وأوْرَثه مقام آبائه الراشدين الذين اختصَّهم بشرف المفخر ، وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة فى المَحْشَر ، وعناهم بقوله ﴿ يأْمُرُهُم بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَـٰهُم عَنِ المُنْكَرِ ﴾ [الآية ١٥٧ سورة الأعراف] ، وأعْلى منار سلطانه بمُدَبِّر أفلاك دولته ومبيد أعداء مملكته ، وأشرف من نَصَبَ للجند علماً وراية ، ووَقَف على مصلحة البرية نظره ورأيه وأرْشَد بهدايته الألباب الحائرة ، وأذْهَب

= وكان وزير المستعلى ، وهو الذى أجلسه مكان أبيه بدلاً من أخيه نِزَار ، ثم وزَر للآمر فحجر عليه ولم يكن له معه أمرٌ ولا نَهْىٌ ولا تعود له كلمة إلى أنْ قتل فى سنة ٥١٥ هـ .

(راجع أخباره عند ، ابن الصيرفى : الإشارة ٥٧ – ٦١ ، ابن القلانسى : ذيل ٢٠٣ – ٢٠٤ ، ابن ظافر : أخبار ٨٨ ، ابن الأثير : التاريخ ١٠ : ٥٨٩ – ٥٩٠ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨ : ١٠٤ ، ابن ميسر : أخبار مصر ٥٩ – ٨٧ و هـ ٢٨٩ و ٢٩٠ ، ابن خلكان : وفيات ٢ : ٤٤٨ – ٤٥٢ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ٢١٦ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٣ – ٨٤ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٤٨٥ – ٤٨٧ ، الذهبى : العبر ٤ : ٣٤ – ٣٥ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ١٦ : ٩٢ – ٩٣ ، ابن الفرات : التاريخ ٢ : ٥٠ – ٥٤ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢٩٠ واتعاظ الحنفا ٣ : ٦٠ – ٦٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٢١٨ و ٢٢٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ٢٠٤ ، ابن إيَّاس : بدائع الزهور ١/١ : ٢٢٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٤ : ٤٧ ، المناوى : الوزارة فى العصر الفاطمى ٥٧ – ٦١ ، Wiet, G., EI., art. «al-Afdal b. Badr al-Djamâlî», I, pp. 221-222).

[١] تاج الرئاسة أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصَّيْرَفِى صاحب ديوان الإنشاء للخليفة الآمر بأحكام الله والخليفة الحافظ لإعزار دين الله . توفى سنة ٥٤٢ هـ . وهو صاحب « قانون ديوان الرسائل » و « الإشارة إلى من نال الوزارة » .

(ترجمته عند : ياقوت : معجم الأدباء ١٥ : ٧٩ – ٨١ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ١٣٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٣ : ١٨٥ ، الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ٤٢ – ٤٣ هـ١ ، Gamâl El-Dîn El-Shayyâl, art. «Ibn al-Sayrafî», III, pp. 956-57).

[٢] سجل وجمع سجلات . لفظ يطلق على المكاتبات التى كان يبعث بها من ديوان الإنشاء الفاطمى إلى الأعمال بمصر والأقطار التابعة لها ، لإبلاغ حادثة من الحوادث التى تختص بالخليفة كركوبه فى الأعياد والمواسم ، أو لإشهار أحد أوامر الخليفة بإضافة ألقاب لأحد الوزراء أو النقباء ، أو لتبليغ حادثة لأحد الولاة أو الدعاة .

(على بهجت : قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفى ٨ هـ١) .

بمَعْدَلَته الأحكام الجائرة السَّيِّد الأجلّ الأفْضَل ، ونتمِّم النعوت بالدعاء للذى كمَّل تدبيره نظام الصلاح وتمَّمه ، وسدَّد تقريره الأمور فى كل ماقصَدَهُ ويمَّمه ، ونبَّه فى السياسة على ما أهمله من سبقه وأغْفَله من تقدَّمه ، وتتبَّع أحوال المملكة فلم يدَع مشكلاً إلاَّ أوضحه وبيَّن الواجب فيه ، ولا خللاً إلاَّ أصْلَحه وبادَر بتلافيه ، ولا مُهمَلاً إلاَّ استعمله على مايوافق الصواب ولا ينافيه إيثاراً لعمارة الأعمال وقصداً لما يقضى بتوفير الأموال وتوخِّياً لما عاد بضروب الاستغلال ، واعتناءً برجال الدولة العلوية وأجنادها ، واهتماماً بمصالحهم التى ضعُفَت قواهُم عن ارتيادها ، ورعايةً لمن ضمَّته أقطار المملكة من الرعايا وحملاً لهم على أعْدَل السُّنَن وأفْضَل القضايا .

يحمده أميرُ المؤمنين على ما أعانَه عليه من حُسْن النظر للأمة ، وادَّخره لأيَّامه من الفضائل التى صفت بها ملابس النعمة ، ووفَّقَه لما يعود على الكافة بشمول الانتفاع ، حتى صار استبدال الحقوق بواجبات الشريعة الواضحة الأدلة ، واستيفاؤها بمقتضى المَعْدَلة فيما يجرى على أحكام الخراج وأوضاع الأهِلَّة ، ويرغَب إليه بالصلاة على محمد الذى ميَّزه بالحكمة وفَصْل الخطاب ، وبيَّن ما استَبهم من سبُل الصواب ، وأنزل عليه فى مُحْكَم الكتاب ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً والقَمَرَ نُورًا وقدَّرَهُ منازِلَ لتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسَابَ ﴾ [الآية ٥ سورة يونس] صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كافيه فيما أعضل لمَّا عدم المساعد ، وواقيه بنفسه لمَّا تخاذل الكفّ والساعد ، وعلى الأئمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون ويفعلون ، والذين ﴿ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الآية ١٨١ سورة الأعراف] ، وإن أولى ما أولاه أمير المؤمنين حظّاً وافياً من تفقده وأسهم له جزأ وافراً من كريم تعهده ، ونظر إليه بعين اهتمامه واختصَّه بالقسم الأجْزَل من استمالة أمر الأموال التى يُستْعان بها على سدِّ الخَلَل ، وبرجائها يُستَدْفَع مايطرق من الحادث الجَلَل ، وبوفورها تستثبت شئون المملكة وتستقيم أحوالُ الدول ، وباستخراجها

على حُكْم العدل الشامل ووصية إنصاف المعامل تكون العمارة التى هى أصل زيادتها ومادة كثرتها وغزارتها ، ولما كانت جبايتها على حُكْمين : أحدُهُما يجئ هلالياً ، وذلك ما لايدْخُله عارضٌ ولا إشكال ولا إبهام ولا يُحْتاج فيه إلى إيضاح ولا إفهام ، لأن شهور الهلال يشترك فى معرفتها الأمير والمقصر ، ويستوى فى الفهم بها المتقدم فى العلم والمتأخِّر ، إذ كان الناس آلفين لأزمنة متعبداتهم السنين مما يحْفَظ لهم نظام مرسومهم . والآخر يجئ خراجياً ويثبت بنسبته إلى الخراج ، لأنها تضبط أوقات مايجرى ذلك لأجله من النيل المبارك والزراعة ، وتحفظ أحيانه دون السنة الهلالية وتحرس أوضاعه ، ولا يستقلّ بمعرفته إلاَّ من باشره وعَرَف مواردَه ومصادرَه ، فوجب أن يُقْصر على السنة الخراجية النظر ويفعل فيها ماتَعْظُم به الفائدة ويحْسُن فيه الأثر ، ويُعْتمد فى إيضاح أمرها وتقديم حكمها على ماتتحلَّى به التواريخ وتزيَّن به السِّيَر ، ويكون ذلك شاهداً لمساعى السيد الأجلِّ الأَفْضَل الذى لايزال ساهراً ليله فى حياطة الهاجعين ، شاهراً سيفه فى حماية الوادعين ، مطْلِعاً للدولة بدُورِ السعادة وشموسها ، مذلِّلاً لها صعب الحوادث ، وشموسها ناطقة تارة بأن أمَّةً هو راعيها قد فضَّل الله سائسها وأسعد مسوسها ، وهذا حين التبصير والإرشاد وأوان التبيين للغرض والمراد ، لتتساوى العامة والخاصة فى عمله ، وتسعهم الفائدة فى معرفة حكمه ، وتتحقَّق المنفعة لهم فيما يمْنَع من تداخل السنين واستقبالها ، وتتيقَّن المعْدَلة عليهم فيما يؤمن من المضار التى يُحْتاج إلى استدراكها . ومعلومٌ أن أيام السنة الخراجية ، وهى السنة الشمسية ، بخلاف السنة الهلالية ، لأن أيام السنة الخراجية من استقبال النَّوْرُوز إلى آخر النسئ ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم ، وأيام السنة الهلالية لاستقبال المحرم إلى آخر ذى الحجة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً ، والخلاف فى كل سنة بالتقريب أحد عشر يوماً ، وفى كل ثلاث وثلاثين سنة سنةً واحدة على حكم التقريب ، ويقتضيه ماتقدم من الترتيب . فإذا اتفق أن يكون أول الهلالية موافقاً لمَدْخل السنة الخراجية وكانت نسبتهما واحدة ، استمر اتفاق التسمية فيهما وبقى ذلك جارياً عليهما ولم يزالا متداخلين لكونه

مدخل الخراجية فى اثناء شهور الهلالية إلى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة ، فإذا انقضت هذه المدة بطُلَت المداخلة وخَلَت السنة الهلالية من نَوْرُوز يكون فيها ، وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت سنة واحدة للعِلّة المقدم ذكرها . ومن أين يستمر بينهما ائتلاف أو يُعْدم لهما اختلاف ؟ أم كيف يعتقد ذلك أحدٌ من البشر والله تعالى يقول : ﴿ لَا ٱلشَّمسُ يَنْبَغِى لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ ﴾ [الآية ٤٠ سورة يٓس] فقد وَضُحَ دليل التباعد بما جاء منصوصاً فى الكتاب ، وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب ، فيحتاج بحكم ذلك إلى نقل السنة الشمسية إلى التى تليها لتكون موافقةً للهلالية وجارية معها ، وفائدة النقل أن لا تخلو السنة الهلالية من مالٍ خاص ينسب إلى السنة الموافقة لها ، لأن واجبات العسكرية على عِظَمِها واتساعها ، وأرزاق المرتزقة على اختلاف أجناسها وأوضاعها ، جاريةٌ على أحكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك فى حالٍ من الأحوال ، والمحافظة على ثمرة ارتفاعها متعيِّنة ومنفعة العناية بما تجرى عليه واضحة مبينة .

ولما أَهَلَّت سنة إحدى وخمسمائة ودَخَلَت فيها سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الموافقة لسنة إحدى وخمسمائة الهلالية ، كان فى ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم إهمال النقل فيما تقدَّم ، ماصارت السنة الهلالية الحاضرة لايجيء خراج مايوافقها فيها ولاتدرك غلاَّت السنة المجرى مالها عليها إلاَّ فى السنة التى تليها ، فهى تستهِلُّ وتنقضى وليس لها فى الخراجىّ ارتفاع ، والأعمال تطيف بالزراعة ولاحظَّ لها فى ذلك ولا انتفاع ، وهذه الحال المَضَرَّة بها على بيت المال غير خفيَّة ، والأذيَّة فيها للرجال المقطعين بادية وأسباب لحوقها إياهم مستمرة ، ولا سيما من وَقَع له بإثبات وأُنعم عليه بزيادات ، فإنهم يتعجلون الاستقبال ويتأجَّلون الاستغلال ، ومتى لم تُنْقل هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنين هلالية وهى موافقة لغيرها ، وما لها يجرى على سنة تجرى بينهما ، لأن مدخلها فى اليوم العاشر من المحرم سنة إحدى وخمسمائة وانقضاؤها فى العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسمائة ، وهى متداخلة بين هاتين السنتين

مالهما يجرى على سنة إحدى وخمسمائة والحال فى ذلك لاينتهى إلى أمد ، ولا يزال الفساد يتزايد طول الأبد .

وقد رأى أمير المؤمنين ، وبالله توفيقُه ، ما خرج به أمره إلى السيِّد الأَجَلِّ الأَفْضَل ، الذى نبَّه على هذا الأمر وكشف غامضه ، وأزال بحسن توصله تنافيه وتناقضه ، أن يوعز إلى ديوان الإنشاء بكَتْب هذا السجل مضمَّناً ما رآه ودبَّره ، مودعاً إنفاذ ما أحكمه وقرَّره من نَقْل سنة تسع وتسعين وأربعمائة إلى سنة إحدى وخمسمائة لتكون موافقة لها ويجرى عليها مالها ، ويكون ما يستأدونه من إقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم جارياً على نظام محروس ونطاق محيط غير منحوس ، وشاهداً بنصيب موافى غير منقوص ، ويتَّضح ما أبهم إشكاله التعمية ، ويزول الاستكراه فى اختلاف التسمية ، ويستمرُّ الوفاق بين السنين الهلالية والخراجية إلى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، وينسب مال الخراج والمقاسمات وما يستغلّ ويجبىء من الإقطاعات مما كان جارياً على ذِكْر سنة تسع وتسعين وأربعمائة إلى سنة إحدى وخمسمائة ، وتجرى الإضافة إليها مجرى مايرتفع من الهلالى فيها لتكون سنة إحدى من هذه مشتملة على مايخصُّها من مالها وعلى مال السنة الخراجية بما يشْرَح من انتقالها ، وكذلك نَقْل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الثابتة بالتسمية إلى سنة إحدى وخمسمائة المشار إليها ويكون مالها جارياً عليها .

فليُعْتمد ذلك فى الدواوين بالحضرة وفى سائر أعمال الدولة قاصيها ودانيها ، وفارسها وشاميها ، وليتنبَّه كافة الكتَّاب والمستخدمين وجميع العمَّال والمتصرِّفين إلى اقتفاء هذا السَّنَن واتباعه ، وليحْذَروا الخروج عن أحكامِه المقررة وأوضاعِه ، وليبادروا إلى امتثال المرسوم فيه وليَحْذَروا من تجاوزه وتعدِّيه ، وليُنْسَخ فى دواوين الأموال والجيوش المنصورة وليخلد بعد ذلك فى بيوت المال المعمورة .

وكتب فى محرم سنة إحدى وخمسمائة » .[1]

---

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٢٧٩ - ٢٨١ ، وقارن اتعاظ الحنفا ٣ : ٤٠ .

* * *

وقال ابن المأمون : وفى هذه السنة ، يعنى سنة إحدى وخمسمائة ، فُتِحَ ديوان المَجْلِس [١] .
قال : ولما كَثُرَت الأموالُ عند ابن أبى اللَّيْث[٢] ، صاحب الديوان ، رغب فى التبجُّح على الأفضل بن أمير الجيوش ينهضه ويسأله أن يشاهده قبل حمله ، وذكر أنه سبعمائة ألف دينار خارجاً عن نفقات الرجال ، فجعلت الدنانير فى صناديق بجانب والدراهم فى صناديق بجانب ، وقام ابن أبى الليث بين الصفين ، فلما شاهد الأفضل بن أمير الجيوش قال لابن أبى الليث : ياشيخ تفرَّحنى بالمال ، وتربة أمير الجيوش إن بلَغنى أن بئراً معطَّلة وأرضاً بائرةً وبلداً خراباً لأضربَنَّ عنقك . فقال : وحقّ نعمتك لقد حاشا الله أيامك أن يكون فيها بلدٌ خرابٌ وبئرٌ معطَّلةٌ أو أرضٌ بور فأبى أن يكشف عما ذكر[٣] . انتهى [٤] .

* * *

قال الأمير جمال الدين والملك موسى بن المأمون البطائحى فى تأريخه من حوادث سنة إحدى وخمسمائة : ثم رأى القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البَطَائِحِى من اختلال أحوال الرجال العسكرية والمُقْطَعين وتضرُّرهم من كون إقطاعاتهم [٥] قد خسَّ ارتفاعها وساءَت أحوالهم لقلَّة

---

(١) عند ابن ميسر : أخبار مصر ٧٧ والنويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٨١ والمقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٩ أن الذى فتح فى هذه السنة هو « ديوان التحقيق » . وقد ميَّز القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٨٩ والمقريزى : الخطط ١ : ٣٩٧ و ٤٠١ واتعاظ الحنفا ٣ : ٣٣٨ – ٣٣٩ بين « ديوان التحقيق » و « ديوان المجلس » .

فديوان التحقيق . موضوعه المقابلة على الدواوين ، ولا يتولاه إلاَّ كاتب خبير . أما ديوان المجلس فقد نقل القلقشندى عن ابن الطوير : أنه أصل الدواوين قديماً ، وفيه معالم الدولة بأجمعها ، وصاحبه هو المتحدِّث فى الإقطاعات . وأضاف القلقشندى : « وهذا الديوان فى زماننا قد تفرَّق إلى عدَّة دواوين كالوزارة ونظر الخاص والجيش وغيرها » . (القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٨٩ – ٤٩٠) . وانظر فيما يلى ص ١٩ .

(٢) ولى الدولة أبو البركات يوحنا (يحنا) ابن أبى اللَّيْث النصرانى ، صاحب ديوان المجلس ، وظلَّ يليه إلى أن صرف عنه سنة سبع وعشرين وخمسمائة . وتوفى مقتولاً فى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة (ابن ميسر : أخبار مصر ٧٧ ، ١٠٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٩ و ٤٣ و ٧٥ و ١٢٦ و ١٤٨) .

(٣) العبارة فى اتعاظ الحنفا ٣ : ٤٣ : « فتوسط القائد له بخلع ، فقال : لا والله حتى اكتشف عما ذكر » .

(٤) المقريزى : الخطط ١ : ٤٠١ وقارن اتعاظ الحنفا ٣ : ٤٣ .

(٥) الاقطاعات . ما يقطع من الأراضى الزراعية الخراجية ويعطى للأمراء والجند وغيرهم لاستغلالها ودفع الخراج عنها .=

المتَحَصَّل منها ، وأن إقطاعات الأمراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن عبرها [١] ، وأن فى كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجئ بالعسف وتتردَّد الرسل من الديوان الشريف بسببها ، فخاطب الأفضل ابن أمير الجيوش فى أن يحلَّ الإقطاعات جميعها ويروكها [٢] ، وعرَّفَه أن المصلحة فى ذلك تعود على المقطعين والديوان ، لأن الديوان يُتَحَصَّل له من هذه الفواضل جملة يحصل بها بلاد مقورة . فأجاب إلى ذلك وحلَّ جميع الاقطاعات ورَاكَها ، وأخذ كل من الأقوياء والمميزين يتضرَّرون ويذكرون أن لهم بساتين وأملاكاً ومعَاصِرَ فى نواحيهم ، فقال لهم : مَنْ كان له مِلْكٌ فهو باقٍ عليه لايدخل فى الإقطاع وهو مُحْكَمٌ إن شاء باعَه وإن شاء آجره ، فلما حُلَّتْ الإقطاعات أمر الضعفاء من الأجناد أن يتزايدوا فيها فوقعت الزيادة فى إقطاعات الأقوياء إلى أن انتهت إلى مبلغ معلوم ، وكُتِبَت السجلاتُ بأنها باقيةٌ فى أيديهم إلى مدة ثلاثين سنة لايقبل عليهم فيها زائد . وأحضرَ الأقوياء وقال لهم ماتكرهون من الإقطاعات التى كانت بيد الأجناد قالوا : كثرة عبرها وقلَّة متحَصَّلها وخرابها وقلَّة الساكن بها . فقال لهم : ابذلوا فى كل ناحية ماتحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا فى العِبْرة الأولى . فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها إلى أن بلغت إلى الحد الذى رَغَب كل منهم فيه ، فأُقْطعوا به وكتب لهم به السجلات على الحكم المتقدِّم ، فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد مقورة بما كان مفرَّقاً فى الإقطاعات بما مبلغه خمسون ألف دينار [٣] .

= ويقال لمن تعطى لهم الاقطاعات « المقطعون » .

(المقريزى : الخطط ١ : ٩١ و ٩٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٩٠ هـ ٣) .

فقد كانت جميع الأراضى الخراجية ملكا للدولة بحكم الشريعة ، وليس لأحد حق المليكة فى شئ منها ، وكان المقطعون يضعون يدهم عليها لمجرد فلاحتها والانتفاع بغلاتها ودفع الخراج عنها . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٩٠ هـ ٣) .

(١) العبرة . كلمة اصطلاحية معناها « مقدار المربوط » من الخراج أو الأموال على كل إقطاع من الأراضى ، وما يتحصل من كل قرية من عين وغلة وصنف . (المقريزى : الخطط ١ : ٨١ و ٨٧ و أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٥٣ هـ ١) .

(٢) الرَّوْك . كلمة قبطية تدل على القيام بعملية قياس الأرض وحصرها فى سجلات وتثمينها ، أى تقدير درجة خصوبة تربتها لتقدير الخراج عليها . ويقولون : راك البلاد ويروكها . وهى تعنى فى الوقت الحاضر فك الزمام أو تعديل الضرائب . (المقريزى : الخطط ١ : ٨٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٨٧ هـ ١) .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٨٣ وقارن اتعاظ الحنفا ٣ : ٤٠ .

سنة ست وخمسمائة

قال ابن المأمون : وكان الماءُ لايصل إلى الشرقية إلاَّ من السردوسى ، ومن الصماصم ، ومن المواضع البعيدة ، فكان أكثرها يشرق فى أكثر السنين . وكان أبو المِنْجَا اليهودى ، مشارف الأعمال المذكورة ، فتضرَّر المزارعون إليه وسألوا فى فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه إليهم ، فابتدأ بحفر خليج أبى المنجا فى يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة ، وركب الأفضل بن أمير / الجيوش ضحى وصحبته أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى ، وجميع إخوته والعساكر تحاذيه فى البر ، وجمعت شيوخ البلاد وأولادها وركبوا فى المراكب ومعهم حِزَم البوص فى البحر ، وصار العُشَارى [1] والمراكب تتبعها إلى أن رماها الموج إلى الموضع الذى حفروا فيه البحر ، وأقام الحفر فيه سنتين تتبين الفائدة فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد مايهوّن الغرامة عليه .

ولما عُرِض على الأفضل جملة ماأُنْفق فيه استعظمه وقال : غرمنا هذا المال جميعه والاسم لأبى المنجا ، فغُيِّر اسمه ودعى بالبحر الأفضلى فلم يتم ذلك ولم يعرف إلاَّ بأبى المنجا .

ثم جرى بين أبى المنجا وبين ابن أبى الليث ، صاحب الديوان ، بسبب الذى أُنْفق خُطوب أدَّت إلى اعتقال أبى المنجا عدَّة سنين ثم نُفِى إلى الإسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف . ولم يزل القائد أبو عبد الله بن فاتك يتلطَّف بحاله إلى [أن] تضاعف من عَبْرة البلاد ما سهَّل أمر النفقة فيه .

....

ولما ولى المأمون البطائحى وزارة الآمر بأحكام الله ، بعد الأفضل بن أمير الجيوش ، تحدَّث الآمر معه فى رؤية فتح هذا الخليج وأن يكون له يوم كخليج القاهرة ، فندب الآمر معه عَدِىّ الملك أبا البركات بن عثمان وكيله ، وأمره بأن يبنى على مكان السد منظرة متَّسعة تكون من بحرىّ السدّ ، وشرع فى عمارتها بعد كمال النيل .

---

(١) العُشَارى جـ . عُشَارِيَّات . ضرب من السفن منه عدّة أنواع (راجع ، المسبحى : أخبار مصر ١١ هـ [٢] وما به من مراجع ودرويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ٩٥ – ١٠١) .

ومازال يوم فتح سد هذا البحر يوماً مشهوداً إلى أن زالت الدولة الفاطمية ، فلما استولى بنو أيُّوب من بعدهم على مملكة مصر أجروا الحال فيه على ما كان [1] .

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٧ - ٤٨٨ وقارن القلقشندى : صبح ٣ ٣٠١ - ٣٠٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ٥٠ .

سنة تسع وخمسمائة

قال ابن المأمون البطائحى فى حوادث سنة تسع وخمسمائة : ووَصلَت النجَّابون من والى الشرقية [(١)] تُخْبر بأن بغدوين ، ملك الفِرنْج ، وصَل إلى أعمال الفَرَمَا ، فسيرَّ الأفضل بن أمير الجيوش للوقت إلى والى الشرقية بأن يسير المركزية والمُقْطَعين بها . وسير الراجل من العُطُوفِيَّة [(٢)] وأن يسير الوالى بنفسه بعد أن يتقدَّم إلى العربان بأسرهم بأن يكونوا فى الطوالع ويطاردوا الفرنج ويشارفوهم بالليل قبل وصول العساكر إليهم فاعتمد ذلك ، ثم أمر بإخراج الخيام وتجهيز الأصحاب والحواشى فلما تواصلت العساكر وتقدَّمها العربان وطاردوا الفرنج ، وعلم بغدوين ملك الفرنج أن العساكر متواصلة إليه ، وتحقَّق أن الإقامة لا تمكنه ، أمر أصحابه بالنهب والتخريب والإحراق وهَدْم المساجد ، فأحرق جامعَها ومساجدَها وجميع البلد وعَزَم على الرحيل فأخذه الله سبحانه وتعالى وعجَّل بنفسه إلى النار ، فكتم أصحابُه موته وساروا بعد أن شقُّوا بطن بغدوين وملاؤه ملحاً حتى بقى إلى بلاده فدفنوه بها [(٣)] .

وأما العساكر الإسلامية فإنهم شنُّوا الغارات على بلاد العدو وعادوا بعد أن خيَّموا على ظاهر عَسْقَلاَن ، وكُتِبَ إلى الأمير ظهير الدين طُغْتَكِين ، صاحب دمشق ، بأن يتوجَّه إلى بلاد الفرنج ، فسار إلى عسقلان وحُمِلَت إليه الضيافات وطولع بخبرِ وصوله ، فأمر بحمل الخيام وعدَّة وافرة من الخيل والكسوات والبنود والأعلام وسيف ذهب ومِنْطَقة ذهب وطوق ذهب ، وبدلة طقم ، وخيمة كبيرة مكملة ، ومرتبة ملوكية وفرشها وجميع آلاتها وما تحتاج إليه من آلات الفضة ، وسير برسم

---

(١) كانت ولاية الشرقية دون ولاية قوص ، التى كانت أعظم ولايات مصر وصاحبها يلى مرتبة الوزير ، أما متولى الشرقية فكان يحكم على بلبيس وعمل قليوب وعمل أشموم .
(القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٤) .

(٢) العُطُوفية . نسبة إلى عُطُوف أحد خدَّام القصر وخَدَم ست الملك أخت الحاكم ، بأمر الله . وهم طائفة من طوائف العسكرية سكنت بحارة العطوفية بالقاهرة بالقرب من باب النصر . (المقريزى : الخطط ٢ : ١٣ - ١٤ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٥٠) .

(٣) قارن المقريزى : اتعاظ ٣ : ٥٣ والمقفى (خ . السليمية) ٢٥١ ظ - ٢٥٢ و ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ١٧١ وفيه : « فشقَّ أصحابه بطنه وصبروه ، ورموا حشوته هناك ، فهى ترجم إلى اليوم بالسبخة » .

شمس الخواص ، وهو مقدم كبير ، خلْعة مذهبة ومنطقة ذهب وسيف . وسير برسم المميَّزين من الواصلين خِلَعٌ وسيوف ، وسلم ذلك بثبت لأحدِ الحجَّاب وسيَّر معه فراشان برَسْم الخيام ، وأمر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها وأن يركب والى عسقلان وظهير الدين وشمس الخواص وجميع الأمراء الواصلين والمقيمين بعسقلان إلى باب الخيمة ويقبِّلوه ثم إلى بساطها والمرتبة المنصوبة ، ثم يجلس الوالى وظهير الدين وشمس الخواص والمقدَّمون ويقف الناس بأجمعهم إجلالاً وتعظيماً ويخلع على الأمير ظهير الدين وشمس الخواص ، وتُشَدُّ المناطق فى أوساطهما ويقلدا بالسيوف ، ويخلع بعدهما على المميزين ثم يسير ظهير الدين والمقدمون بالتشريف والأعلام والرايات المسيرة إلى أن يصلوا إلى الخيام التى ضُرِبَت لهم .

فإذا كان كل يوم يركب الوالى والأميران والمقدَّمون والعساكر إلى الخيمة الملوكية ويتفاوضون فيما يجب من تدبير العساكر فامتثل ذلك ، وتواصلت الغارات على بلاد العدو وأسروا وقتلوا فسُيِّرت إليهم الخِلَع ثانياً . وجعل لشمس الخواص خاصةً فى هذه السَّفْرة عشرة آلاف دينار وتسلَّم ظهير الدين الخيمة الكبيرة بما فيها ، وكان تقديرُ ماحصل له ولأصحابه ثلاثين ألف دينار ، وَبَلَغَ المنفق فى هذه النوبة وعلى ذهاب بغدوين وهلاكه مائة ألف دينار [١] .

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٢١٢ وقارن ١ : ٢٢٧ واتعاظ ٣ : ٥٣ - ٥٤ .

سنة خمس عشرة وخمسمائة

وقال ابن المأمون : وفى يوم عَاشُورَاء [(١)] ، يعنى من سنة خمس عشرة وخمسمائة ، عبى السِّمَاطُ بمجلس العطايا من دار المُلْك بمصر [(٢)] ، التى كان يسكنها الأفضل بن أمير الجيوش ، وهو السِّمَاطُ المختص بعاشوراء ، وهو يعبى فى غير المكان الجارى به العادة فى الأعياد ولا يعمل مدوَّرة خشب بل سُفْرة كبيرة من أُدْم ، والسِّمَاط يعلوها من غير مرافع نحاس ، وجميع الزبادى أَجْبَان وسلائط ومخَلَّلات ، وجميع الخبز من شعير .

وخرج الأفضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة ، واستفتح المقرئون واستدعى الأشراف على طبقاتهم وحمل السماط لهم ، وقد عمل فى الصحن الأول الذى بين يدى الأفضل إلى آخر السِّمَاط عدس أسود ثم بعده عدس مصَفًّى إلى آخر السماط ثم رفع ، وقدِّمت صحونٌ جميعها عسلُ نحلٍ[(٣)] .

* * *

فلما [(٤)] كان فى الثالثة من نهار يوم الثلاثاء ثانى شوال ، [يعنى سنة خمس عشرة وخمسمائة] ، خرج التابوت بالجمع الذى لايُحْصى ، والناس بأجمعهم رَجَّالَة ، وليس وراءهم راكبٌ إلاَّ الخليفة بمفرده وهو ملثَّم . فلما خرج التابوت من بلدِ مصر أمر الخليفة بركوب القائد والمرتضى ولد الأفضل .

---

(١) أى العاشر من المحرم .

(٢) دار المُلك . بدأ فى بنائها الأفضل بن أمير الجيوش فى سنة إحدى وخمسمائة فلما كملت تحول إليها من دار القِبَاب بالقاهرة وسكنها ، وحوَّل إليها الدواوين من القصر ، فصارت بها ، وجعل فيها الأسْمِطَة ، واتَّخذ بها مجلساً سمَّاه « مجلس العطايا » كان يجلس فيه . فلما قتل الأفضل فى سنة ٥١٥ هـ صارت دار الملك من جملة منتزهات الخلفاء فقد كان بها بستان عظيم .
(المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٣ – ٤٨٤ و ٢ : ٢٩١ ، ابن ميسر : أخبار مصر ٧٦ هـ ٢٧٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٩٢ هـ ٥ ، على مبارك : الخطط التوقيقية ١ : ٥٥ ، وانظر فيما يلى ص ١٠١ – ١٠٢) .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٤٣١ .

(٤) يسبق هذا الخبر فى اتعاظ الحنفا الحديث عن قتل الأفضل ابن بدر الجمالى ، وذكر ذخائره وأظنه منقولٌ أيضاً عن ابن المأمون ، وهو موجودٌ كذلك عند ابن ميسر ، وإن كان المقريزى قد ميَّز بين ما نقله عن ابن المأمون وعن ابن ميسر فى حديثه عن مقتل الأفضل .

وذكر أن الشيخ أبا الحسن بن أبى أسامة [١] ركب حماراً ، فلما وصلت الجنازة إلى باب زويلة ترجَّل القائد والمرتضى ومشيا ، وبعث الخليفة خواصَّه إلى أخويه أبى الفضل جعفر وأبى القاسم عبد الصمد ، وأمرهم إذا وصل التابوت إلى باب الزُّهُومة [٢] أن يخرجا بغير مناديل ، بعمائم صغار وطيالس ، فإذا قضيا مايجب من حقِّ سلام الخليفة سلَّما على القائد أبى عبد الله بمثل ماكانا يسلمان على الأفضل ، ويمشيان معه وراء التابوت . فاعتمدا ذلك . فاستعظم النَّاسُ هذه الحالة والمكارمة ، ولم يزالا مع الناس وراء التابوت إلى أن دَخَل من باب العيد [٣] .

فلما صار التابوتُ فى وسط الإيوانِ همَّ الخليفة بأن يترجَّل ، فسارع إليه القائد والمرتضى وصاح الناسُ بأجمعهم : العفو ياأمير المؤمنين ، عدَّة مرار . فترجَّل الخليفة على الكرسى ، وصلَّى عليه ، ورُفعَ التابوت فمشى وراءه ، وركب الخليفة الفرس على ماكان عليه ، ونزل التربة ظاهر باب النصر [٤] ، ووقف على شَفِير القبر إلى أن حَضَر التابوت واستفتح ابن القارح المغربى وقرأ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَـٰكُم أَوَّلَ مرَّة وَتَرَكْتُم ما خَوَّلْنَـٰكُم وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الآية ٩٤ سورة

---

[١] أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن بن أبى أسامة الحلبى الأصل المصرى الدار ، كاتب الدست وصاحب ديوان الإنشاء فى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله ، توفى سنة ٥٢٢ هـ .

(راجع عنه ، ابن الأثير ، التاريخ ١٠ : ٥٨٩ ، ابن ميسر : أخبار مصر . ٩ هـ ٣٢٢ ، ابن الفرات : تاريخ – خ ٤ : ٥ و – ٥ ظ ، القلقشندى : صبح ١ : ٩٦ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٨٦ و ٢٩١) .

وعن أسرة بنى أسامة بمصر راجع ، العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ٢ : ٦٥ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ٢٤٩ – ٢٥٠ .

[٢] باب الزُّهُومة . أحد أبواب القصر الشرقى الكبير الغربية . وعندما بنى الصالح نجم الدين أيوب مدرسته الصالحية دخل باب الزهومة فى المدرسة ، وصار مكانه قاعة شيخ الحنابلة بها .

وكان خَدَم القصر يدخلون بالطعام إليه من هذا الباب ، فسمى باب الزهومة لذلك . والزُّهومة = الزَّفَر .

(القلقشندى : صبح ٣ : ٣٤٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٥ و ٤٦٢ و ٢ : ٣٧٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٣٦) .

[٣] باب العيد . أحد أبواب القصر الشرقى الكبير الشرقية ، وكان فى ركن القصر المقابل لدار سعيد السعداء ، وسمِّى بذلك لأنَّ الخليفة كان يخرج منه فى يومى العيد إلى المُصَلَّى بظاهر باب النصر . وفى سنة ٦٦١ هـ نقل السلطان الظاهر بيبرس هذا الباب إلى القدس وجعله باباً لخان السبيل الذى أقامه هناك فى هذه السنة . وذكر المقريزى أنه أدرك العامة تسمى موضعه بباب القاهرة .

(المسبحى : أخبار مصر ٣٦ و ٣٩ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٣٤٦ ، المقريزى الخطط ١ : ٣٤٥ و ٤٥١ و ٢ : ٤٣ والسلوك ١ : ٤٩١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٣٥ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٣٩٤) .

[٤] التربة الجيوشية . وهى تربة والده أمير الجيوش بدر الجمالى ، كانت خارج باب النصر بحرى مُصَلَّى العيد ، قال المقريزى : وهى باقية إلى اليوم هناك فتتابع بناء الترب من حينئذ خارج باب النصر فيما بين التربة الجيوشية والرَّيدانية . (المقريزى : الخطط ١ : ٣٦٤ و ٢ : ١١١ و ١٣٨ – ١٣٩) .

الأنعام ا . فوقعت من الناس موقعاً عظيماً ، وبكوا ، وبكى الخليفة ، وخمَّ بنزول القبر لِيُلْحِده بيده ، ثم أمر الدَّاعى فنزل وألْحَدَه والخليفة قائمٌ إلى أن كَمُلَت مواراته ، ثم ركب من التُّرْبة والناسُ بأجمعهم بين يديه إلى قصره .

وأُخرج من قاعة الفضة [1] بالقصر ثلاثون حَسَكَة ، وثلاثون بخوراً مكمَّلة ، وخمسون مثقال ندّ وعود ، وشمع كثير ، فأُشعلت الشموع إلى أن صُلِّىَ الصبح وأُطْلِق البخور ، واستقرَّ جلوس الناس ، فصلَّى القاضى بالناس ، وفُتح باب مجلس الأفضل المعَلَّق بالستور القرقوبى الذى لم يكن حظّه منه إلاَّ جوازُه عليه قتيلاً . ورفعت السُّتور ، وجلس الخليفة على المخادّ الطَّرِيّة التى عُمِلَت فى وسطه ، وسلَّم الناسُ على منازلهم ، وتُلِىَ القرآن العظيم . وتقدَّمت الشعراء فى رثائه إلى أن استحقَّ الختُم فختُم . ثم خرج القائد والأمراء إلى التربة فكان بها مثل ما كان بالدار من الآلات والبخور . وعُمِلَ فى اليوم الثانى كذلك .

وكان عُمْرُ الأفضل يوم مات سبعاً وخمسين سنة ، ومدَّةُ ولايته ثمانية وعشرون عاماً .

ويقال إن الآمر وافق المأمون على قتله ، فرتَّب له من قتله .

ثم أمر أن يكتب سجلٌّ بتعزية الكافة فى الأفضل والثَّناء على خصائصه ومساعيه ، وإشْعَارهم بصرف العناية إليهم ومدِّ رواق العدل عليهم ، وتفريقه على نُسَخٍ تُتْلَى على رُؤس الأشهاد وبسائر البلاد . فكتب ما مثاله :

« هذا كتابٌ من عبد الله ووليِّه المنصور أبى علىّ ، الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين بما رآه وأمر به من تلاوةٍ على كافة مَنْ بمدينة مصر — حرسَهَا الله تعالى — من الأشراف والأمراء ورجال العساكر المؤيدة على اختلاف طبقاتهم ، فارسهم ومترجّلهم وراجلهم ، والقضاة والشهود والأماثل ، وجميع الرعايا ، بأنكم قد علمتم ما أُحْدَثَتْه الأيام بتصاريفها ، وجَرَت به الأقدارُ على عادتها ومألوفها من

---

[1] قاعة الفِضَّة . من جملة قاعات القصر الشرق الكبير . ولم يعرِّفها المقريزى بأكثر من ذلك ! (المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٤) وفى مخطوطة خزينة من الخطط أضاف المقريزى : ذكرها الأمير جمال الملك موسى بن المأمون البطائحى فى تاريخه (ورقة ٤٧) .

فَقْدِ السيد الأجل الأفضل ونعوته – قدَّس الله رُوحه ، ونوَّر ضريحَه ، وحَشَرَه مع مواليه الطاهرين الذين جعلهم أعلام الهدى ومصابيحه – الذى كان عمادَ دولة أمير المؤمنين وحمَّال أثقالها ، وعلى يديه وحُسْن سيرته اعتمادها ومعوّلها ، وتخطِّى الحِمَام إليه ، واخترام المنية إيَّاه وتسلُّطها عليه ، وما تدارَكَ الله الدولة به من حِفْظِ نظامها ، واستتار أمورها بعد هذا الفادح العظيم والتئامها ، وما رآه أمير المؤمنين من تهذيبه الأمور بنظره السعيد ، ومباشرته إيَّاها بعزمه الشديد ورأيه السديد ، واهتمامه بمصالح الكافة ، وإسباغ ظلِّ الإحسان عليهمْ والرأْفَة ، حتى أصْبحت الدولة الفاطمية بذلك ظليلة المناكب ، منيرة الكواكب ، محروسة الأرجاء والجوانب » .

« ولما كانت همَّةُ أمير المؤمنين مصروفة إلى الاهتمام بكم ، والنظر فى مصالحكم ، والإحسان إليكم ، وتأمين سَرْبكم ، وإعْذاب شَرْبِكم ، ومدّ رواق العدل عليكم ، وإنصاف مظلومكم من ظالمكم ، وضعيفكم من قويكم ، ومشروفكم من شريفكم ، وكفِّ عوادى المضار بأسرها عنكم ، وتمكينكم من التصرف فى أديانكم على مايعتقِدهُ كلٌّ منكم ، جارين على رَسْمكم وعادتكم ، من غير اعتراض عليكم . رأى ماخرج به عالى أمره من كَتْب هذا السجل وتلاوته على جميعكم ، لتثقوا به ، وتسكنوا إليه ، وتتحققوا جميل رأى أمير المؤمنين فيكم ، وأنه لا يشْغَله عن مصالح الكافة شاغلٌ ، وأنَّ باب رحمته مفتوحٌ لمن قَصَدَه ، وإحسانه عميمٌ شامل ، وله إلى تأمّل أحوال الصغير والكبير منكم عينٌ ناظرة ، وفى إحسان سياستكم عزيمةٌ حاضرةٌ وأفعالٌ ظاهرة والله تعالى يمده بحسن الإرشاد ، ويبلغه المراد فى مصالح العباد والبلاد ، بَمِّنه وعونه . فاعلموا هذا من أمير المؤمنين ورَسْمه ، وانتهوا إلى موجبه وحُكْمه وليعتمد الأمير متولى المعونة [١] بمصر تلاوته على مِنْبر الجامع العتيق بمصر ليعيه كل من سمعه ، ويصل

---

[١] متولى المَعُونة . هذه الوظيفة غير واضحة فى الكتب التى تناولت النظم الإسلامية وهى تتفق فى بعض جوانبها مع وظيفتى =

عِلْم مضمونه إلى من لم يحضر قراءته ، ليتحققوا ماذُكِر فيه وأودِعه ، وليُحْمل الناس على ما أمرتهم فيه ، وليُحْذر من مجاوزته وتعدِّيه . وليُقْرَأ بالجامع المذكور ليقع التصفحُ والتأمُّل فى اليوم وما يليه إن شاء الله تعالى » .

ثم أمر الخليفة بإنشاء مَنْشُورٍ[1] يُتْلى ، مضمونُه :

« خَرَج أمرُ أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، بإنشاء هذا المنشور : بأنْ يُعْتَمد فى ديوان التحقيق والمجلس وسائر دواوين الدولة ، قاصيها ودانيها ، قريبها ونائيها ، إمضاءُ ماكان السيِّد الأَجَلّ الأَفْضَل قرَّره ، وخَرَجَت به توقيعاتُه ، الثابته عليها علامته ، فى الأحكام والأموال بتصاريف الأحوال ، إذ أمير المؤمنين راضٍ بأفعاله ، محَقِّق لأقواله ، حامِدٍ لمقاصده ، مُمْضٍ لأحكامه ، عارِفٍ بسداد رأيه فى نَقْضه وإبرامه ، على أوضاعها وأحكامها ، وتقريراته فى كل منها .

فلْيَحْذر كافةُ الأمراء وسائرُ الولاة – نَصَرَهم الله وأظْفَرهم – وجميع النوَّاب والمستخدمين ، والكتَّاب والمتصرِّفين بجميع الأعمال من تأوُّلٍ فيه ، أو تعقيدٍ يغيِّر شيئاً من أحكامها على ما قرَّره وأمرَ به .

ولْيُخَلَّد هذا المنشور فى ديوان التحقيق والمجلس بعد ثبوته فى جميع الدواوين ، وليصدر الإعلان به إلى كافة الجهات بهذا المرسوم ، تثبيتاً لهذا الأمر المذكور المختوم ، إن شاء الله تعالى »[2] .

= متولى الحسبة ومتولى الشرطة ، إلاَّ أن وظيفة متولى الحسبة (المُحْتَسِب) متَّصلة بنظام الأسواق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد يكون متولى المعونة مساعداً لصاحب الشرطة فى إقامة الأحكام ، وتثبيت الأيدى فى الأملاك أو انتزاعها بناء على أحكامه .

(انظر فيما يلى ص ٩٩ وعبد العزيز الدورى : المؤسسات العامة فى المدينة الإسلامية ، مجلة الأبحاث ٢٧ (١٩٧٨ – ١٩٧٩) ١٧ – ١٨) .

وقارن ذلك مع نص للذهبى فى حديثه عن منع الحاكم بأمر الله النساء من الخروج من المنازل يقول : « فإذا ماتت امراءة جاء وليها إلى قاضى القضاة يلتمس غاسلة ، فيكتب إلى صاحب المعونة ، فيرسل غاسلة مع اثنين من عنده ، ثم تعاد إلى منزلها » . (الذهبى : تاريخ الإسلام (مخ . دار الكتب رقم ٤٢ تاريخ ورقة ١٤٧و) .

(١) منشور جـ . مناشير . أمرٌ صادر عن الخليفة بتبليغ بعض قرارات الدولة ، وهى تختص فى العموم بالاقطاعات وجباية الضرائب . (على بهجت : قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفى ١١٠ هـ) .

(٢) نشر هذا المنشور المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال فى مجموعة الوثائق الفاطمية ٣٢٥ وانظر الدراسة التحليلية ١٤٠ – ١٤٣ .

وفى السادس والعشرين من شوَّال عُمِل تمامُ الشهر على تُرْبة الأفضل ، كما عُمِلَت الصَّبحة والثالث . فلما انقضى الخَتْم وانصرف الناسُ ركب الخليفة بموكبه . ونزل إلى التُّرْبة ، وترحَّم عليه وعاد . ذكر هذا جمال الملك موسى بن المأمون البطائحى فى تأريخه .[١]

* * *

قال ابن المأمون : وفى يوم الجمعة ثانيه ، يعنى ثانى ذى الحجة يعنى سنة خمس عشرة وخمسمائة ، خُلِعَ على القائد ابن فاتك البَطَائِحِى من الملابس الخاص الشريفة فى فردكم مجلس العيد [٢] ، وطوِّق بطَوْقٍ ذهب مرصَّع / وسيفٍ ذهب كذلك وسلَّم على الخليفة الآمر بأحكام الله ، وأمر الخليفة الأستاذين المحنَّكين [٣] بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذى كان الأفضل بن أمير الجيوش يركب منه ، ومشى فى ركابه القوَّاد على عادة من تقدَّمه ، وخرج بتشريف الوزارة ، يعنى من باب الذهب [٤] ، ودخل من باب العيد راكباً ، وجرى الحُكْم فيه على ماتقدَّم للأفضل ، ووصل إلى داره فضاعف الرسوم وأَطْلَق الهَبَات [٥] .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ٦٥ – ٦٩ .

(٢) فى الخطط مجلس اللعبة .

ولم أستدل فى كتب الرسوم على مدلول « منديل رسم الكم » ، أو « منديل الكم » ، الذى تكرر كثيراً فيما نقله المقريزى عن ابن المأمون . ثم وَجَدْت القلقشندى فى حديثه على « جلوس الخليفة فى المجلس العام أيام المواكب » يقول : ... ويضع صاحب المجلس الدواة مكانها من المرتبة أمام الخليفة ، ثم يخرج كم من أكمامه يعرف بفرد الكم .

(القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٥) .

(٣) الأستاذون المحنَّكون . كان عددهم يزيد على الألف وهم أصحاب الأنس للخلفاء المطَّلعون على أسرارهم وأقرب أرباب الوظائف الخاصة إليهم وأخصُّهم بهم ، وهى تسعة وظائف . وعرفوا بالمحنكين لتدويرهم عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة .

(القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٧٧ و ٤٨٠ – ٤٨٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٦ ، ابن ميسر : أخبار مصر ٨٨ هـ ٣١٩ ، حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٦٥–٦٦).

(٤) باب الذهب . أكبر أبواب القصر الكبير الشرقى ، يقع فى ناحيته الغربية المطلة على بين القصرين . كانت تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة فى يومى الاثنين والخميس إلى قصر (قاعة) الذهب . وكان موضعه مقابلاً للدار القُطْبية – المَارِسْتَان المنصورى . بشارع المعز لدين الله (مسجل بالآثار تحت رقم ٤٣) . ومحله الآن محراب المدرسة الظاهرية (التى كان موضعها من القصر الكبير قاعة الخِيَم وقاعة السدرة) وهى واقعة بجانب قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب من الجهة البحرية بشارع المعز لدين الله . وقد اندثرت المدرسة الظاهرية اليوم وضاعت أجزاء منها عند فتح شارع بيت القاضى ولم يبق منها إلاَّ إيوانها الشرقى داخل عطفة طاهر على يمين الداخل بشارع بيت القاضى من جهة شارع المعز لدين الله . (مسجلة بالآثار تحت رقم ٣٧) .

(المسبحى : أخبار مصر ١٩ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٣٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٦٢ و ٣٨٥ و ٤٣٢ – ٤٣٣ و ٢ : ٣٧٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٣٦ و ٤٧ و ٧ : ١٢٠ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٩٠ و ٩٣) .

(٥) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ واتعاظ ٣ : ٧٤ – ٧٥ .

ولما كان يوم الاثنين خامس ذى الحجة اجتمع أمراءُ الدولة لتقبيل الأرض بين يدى الخليفة الآمر على العادة التى قرَّرها مستجدة ، واستدعى الشيخ أبا الحسن بن أبى أسامة ، فلما حضَرَ أمر بإحضار السجل للأجَلّ الوزير المأمون من يده فقبَّلَه وسلَّمه لزِمَام القصر [١] ، وأمر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه ، وقرىء السجل على باب المجلس ، وهو أول سجلٍ قرىء فى هذا المكان ، وكانت سجلاتُ الوزراء قبل ذلك تقرأ بالإيوان ، ورسم للشيخ أبى الحسن أن ينقل النسبة للأمراء والمُحَنَّكين من الآمرى إلى المأمونى للناس أجْمَع ، ولم يكن أحدٌ منهم ينتسب للأفضل ولا لأمير الجيوش . وقدِّمت الداوة للمأمون فعلَّم فى مجلس الخليفة . وتقدَّمت الأمراء والأجناد فقبَّلوا الأرض وشكروا على هذا الإحسان ، وأمر الخليفه بإحضار الخِلع لحاجِبِ الحجَّاب حسام الملك وطُوِّق بطوقٍ ذهب وسيفٍ ذهب ومِنْطقةٍ ذهب ، ثم أَمَر بالخِلَع للشيخ أبى الحسن بن أبى أسامة باستمراره على مابيده من كتابة الدَّسْت الشريف[٢] ، وشرَّفه بالدخول إلى مجلس الخليفة ، ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن أبى اللَّيْث وخَلَع عليه بدْلة مذهبة ، وكذلك أبو الرضى سالم ابن الشيخ أبى الحسن ، وكذلك أبو المكارم أخوه ، وأبو محمد أخوهما ، ثم أبو الفضل بن المَيْدَمى وَوَهَبَه دنانيرَ كثيرة بحُكْم أنه الذى قرأ السجل . وخلع على الشيخ أبى الفضائل بن أبى اللَّيْث ، صاحب دفتر المجلس ، ثم استدعى عَدِىّ الملك سعيد بن عماد الضيف ، متولى أمور الضيافات والرسل الواصلين إلى الحضرة من مجلس الأفضل ، ولا يصل لعتبته أحدٌ لا حاجب الحجاب [٣] ولا غيره سوى عَدِىّ المُلْك هذا فإنه كان يقف من داخل العتبة . وكانت هذه الخِدْمة ، فى ذلك الوقت ، من أجَلِّ الخِدَم وأكبرها ثم عادت من أهْوَن الخِدَمِ وأقلِّها ، فعند ذلك قال القاضى أبو الفتح بن قادُوس[٤] ، يمْدَح الوزير المأمون عند مثوله بين يديه وقد زيد فى نعوته [٥] :

---

[١] زمام القصر . وهو المشرف على القصر ، وأحد الأستاذين المحنكين (القلقشندى صبح ٣ : ٤٨١ ، حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ٣١٢ ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ٥٦٨ - ٥٧١) .

[٢] كاتب الدست (كتابة الدست) . هو صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات .

(القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٦) .

[٣] نجد هنا اصطلاحات ليس لها تعريف دقيق فيما بين أيدينا من مراجع ، ولكن يفهم المقصود بها من اسم المصطلح نفسه . (صاحب دفتر المجلس ، متولى أمور الضيافات والرسل ، حاجِب الحجَّاب) .

[٤] القاضى المفضل كافى الكفاة أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن حميد الدِّمياطى المعروف بابن قَادُوس ، شاعر منشىء من كتاب ديوان الإنشاء بمصر توفى سنة ٥٥٣ هـ (ابن ميسر : أخبار مصر ١٥٧ ، العماد الأصفهانى : خريدة القصر (قسم مصر) ١ : ٢٢٦ - ٢٣٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة ١ : ٥٦٣) .

[٥] كانت نعوت المأمون التى قرئت فى السجل : =

[الوافر]

قالوا أتاهُ النَّعْتُ وهو السَّيِّدُ الـ مأمون حقّاً ، والأجلُّ الأشْرَفُ
ومغيثُ أمة أحمدٍ ومجيرُهـــا مازادنا شيئاً على مانعــرفُ

قال [ابن المأمون] : ولما استمر حُسْنُ نظر المأمون للدولة وجميل أفعاله ، بلغ الخليفة الآمر بأحكام الله فشكره وأثْنى عليه ، فقال له المأمون : ثَمَّ كلامٌ يحتاج إلى خلوة ، فقال الخليفة : تكون فى هذا الوقت وأمر بخلوِّ المجلس ، فعند ذلك مَثُل بين يدى الخليفة وقال له : يامولانا امتثالنا الأمر صعب ، ومخالفته أصعب وما يتّسع خلافه قدَّام أمراء دولته وهو فى دَسْت خلافته ومنصب أبائه وأجداده ، وما فى قُوايَ ما يُرومه منى ويكفينى هذا المقدار ، وهيهات أن أقوم به والأمر كبير . فعند ذلك تغيَّر الخليفة وأقسم إن كان لى وزير غيرك وهو فى نفسى من أيام الأفضل ، وهو مستمر على الاستعفاء إلى أن بان له التغيُّر فى وجه الخليفة وقال : ما اعتقدت أنك تخرج عن أمرى ولا تخالفنى ، فقال له المأمون عند ذلك : لى شروطٌ وأنا أذكرها ، فقال له : مهما شئت اشترط ، فقال له : قد كنت بالأمس مع الأفضل وكان قد اجتهد فى النعوت وحلَّ المِنْطَقة فلم أفعل ، فقال الخليفة : علمت ذلك فى وقته . قال : وكان أولادُه يكتبون إليه بما يعلمه مولاى من كَوْنى قد خُنْتُه فى المال والأهل ، وما كان والله العظيم ذلك منى يوماً قط ، ثم مع ذلك معاداةُ الأهل جميعاً والأجناد وأرباب الطيالس والأقلام ، وهو يعطينى كلَّ رُقْعَة تصل إليه منهم وما سمع كلام أحد منهم فىَّ ، فعند ذلك قال له الخليفة : فإذا كان فَعَل الأفضل معك ما ذكرته إيش يكون فِعْلى أنا ؟ فقال المأمون : يعرِّفنى المولى ما يأمر به فأَمْتَثِلُه بشرط أن لايكون عليه زائداً .

فأول ما ابتدأ به أن قال : أريد الأموال لاتُجْبى إلاَّ بالقصر ، ولا تصل الكسوات من الطِّرَاز [1]

= الأجلّ المأمون تاج الخلافة وجيه الملك فخر الصنائع ذخيرة أمير المؤمنين » . (ابن ميسر : أخبار مصر ٨٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٢ واتعاظ الحنفا ٣ : ٧٦) .

[1] الطِّراز . كلمة إيرانية معرَّبة كانت تعنى المدبج (البرودرى) ثم أطلقت على الرداء المحلى بالمدبج . وكان هناك نوعان من الطراز « طراز الخاصة » و « طراز العامة » ، ويمكن اعتبار طراز الخاصة مختص بنسج ملابس الخلفاء وكبار رجال الدولة ، وطراز العامة مختص بنسج ثياب من هم دون ذلك فى المرتبة .

وكان للطراز دار يتولاها أحد أعيان المتقدمين من أرباب الأقلام ، وكان مقامه بتنيس ودمياط ، ومن عنده تحمل إلى خزائن الكسوة بالقاهرة .

(راجع ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ٣٣٠ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٠ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٩ — ٤٣٠ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية (القاهرة ، دار الآثار العربية ١٩٤٢) ٢١ — ٢٨) .

والثغور إلاّ إليه ، ولا تفرَّق إلاّ منه ، وتكون أسْمِطَةُ الأعياد فيه ، ويَوسَّع فى رواتب القصور من كل صنف ، وزيادة رسم منديل الكم . فعند ذلك قال له المأمون : سَمْعاً وطاعة ، أما الكسوات والجباية من الأسمطة فما تكون إلاّ بالقصور ، وأما توسعة الرواتب فما ثم من يخالف الأمر ، وأما زيادة رسْم منديل الكم فقد كان الرسم فى كل يوم ثلاثين ديناراً يكون فى كل يوم مائة دينار ، ومولانا سلام الله عليه يشاهد مايُعْمل بعد ذلك فى الركوبات وأسْمِطَة الأعياد وغيرها فى سائر الأيام . ففرح الخليفة وعظمت مسرَّته ، ثم قال المأمون : أريد بهذا مَسْطُوراً بخط أمير المؤمنين ويُقْسم لى فيه بآبائه الطاهرين أن لا يلتفت لحاسدٍ ولا مبغض ، ومهما ذُكِرَ / فِيَّ يُطْلِعُنى عليه ، ولا يأمر فىَّ بأمرٍ سِرّاً ولا جَهْراً يكون فيه ذهاب نفسى وانحطاط قدرى . وهذه الأَيْمَان باقية إلى وقت وفاتى ، فإذا توفيت تكون لأولادى ولِمَنْ أُخْلِفه بعدى . فحضرت الداوة وكتبَ ذلك جميعه ، وأشهد الله تعالى فى آخرها على نفسه . فعندما حصل الخط بيد المأمون وقف وقبَّل الأرض وجعله على رأسه . وكان الخط بالأيمان نسختين إحداهما فى قَصَبَةٍ فضَّة.

قال : فلما قُبِضَ على المأمون فى شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة ، أَنْفَذَ الخليفة الآمر بأحكام الله يطلب الأَيْمَان فنفذ له التى فى القصبة الفضة فحَرَقَها لوقتها ، وبقيت النسخة الأخرى عندى فعُدِمَت فى الحركات التى جَرَت [١] .

* * *

قال ابن المأمون : ولما توفى أمير الجيوش بدر الجمالى ، وانتقل الأمر إلى ولده الأفضل بن أمير الجيوش ، جرى على سُنَنِ والده فى صلاة العيد ، ويقف فى قوس باب داره ، الذى عند باب النصر [٢] ، يعنى دار

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ – ٤٤١ واتعاظ الحنفا ٣ : ٧٥ – ٧٧ .

(٢) باب النصر . أحد أبواب القاهرة يقع فى سورها الشمالى على يمين باب الفتوح . والباب الموجود إلى اليوم من عمل أمير الجيوش بدر الجمالى أتمَّه فى سنة ٤٨٥ هـ . (المقريزى : ١ : ٣٨١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٣٨ و ٨ : ١٦٥ هـ[٣] ، على مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ١٩٥ – ٢٠٥) .

الوزارة [١] ، فلما سكن – يعنى الأفضل بمصر [٢] – صار يطلع من مصر باكراً ويقف على باب داره على الحالة الأولى حتى تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد إلى الإيوان ويُصَلِّى به القاضى ابن الرَّسْعَنى ، ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة إلى أن تنقضى الخطبة فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لايراه أحَدٌ غيره ، ثم يخلع عليه ويتوجه إلى داره بمصر فيكون / السِّمَاطُ بها مدى الأعياد .

فلما قُتِلَ الأفضل واستقرَّ بعده المأمون بن البطائحى فى الوزارة قال : هذا نقصٌ فى حقِّ العيد ولا يُعْلم السبب فى كون الخليفة لايظهر ، فقال له الخليفة الآمر بأحكام الله : فما تراه أنت ؟ فقال : يجلس مولانا فى المَنْظَرة التى استجدَّت بين باب الذهب وباب البحر [٣] ، فإذا جَلَس مولانا فى المنظرة وفتحت الطاقات وقف المملوك بين يديه فى قوس باب الذهب ، وتجوز العساكر فارسها وراجلها وتشملها بركةُ نظر مولانا إليها ، فإذا حان وقت الصلاة توجَّه المملوك بالموكب والزىّ وجميع الأمراء والأجناد واجتاز بأبواب القصر ودَخَل الإيوان ، فاستسحن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ فى شكره . ثم عاد المأمون إلى مجلسه وأمر بتفْرقة كسوة العيد والهبات ، يعنى فى عيد النحر سنة خمس

---

[١] دار الوزارة . كانت تعرف بدار القِبَاب ، وكانت تجاه القصر الشرق من جهته البحرية ، يفصل بينهما رحبة باب العيد . ثم جدَّدها الأفضل شاهنشاه وسمَّاها دار الوزارة الكبرى .

وموضعها اليوم المنطقة التى تحُدُّ من الغرب بشارع الجمالية ، ومن الجنوب والشرق بحارة المبيضة ؛ ومن الشمال عطفة الجُوَّانيَّة . ومن ضمن مبانيها أيضاً مدرسة الجمالية وجامع بيبرس الجاشنكير والوكالة وقف السلحدار المعروفة بحوش عطا .

(المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٨ و ٤٤٥ و ٤٨٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٩٢ هـ ° ، على مبارك : الخطط التوفيقية ١ : ٤٦) .

[٢] كان الأفضل يسكن بدار الملك التى أنشأها بمصر (الصفدى : الوافى بالوفيات ١٦ : ٩٣) .

[٣] هذه المنظرة إحدى مناظر ثلاث استجدهن الوزير المأمون البطائحى (المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٤) .

وفى مخطوطة خزينة نص أدقّ من هذا النص منقول من ابن المأمون وابن عبد الظاهر وهو : قال ابن عبد الظاهر : استجد المأمون بالقصر فى أيام الآمر بأحكام الله ثلاث مناظر وهن : على قوس باب الذهب إلى بين باب الذهب وباب البحر أظنها إلى فوق المكان الذى عمله الملك الكامل دكة . وسماها ابن الصيرفى الزاهرة والفاخرة والناضرة . وكان يجلس الخليفة فى هذه لعرض العساكر فى عيد الغدير ، ويقف الوزير فى قوس باب الذهب وتمر العساكر فارسها وراجلها عليه .

وذكر ابن المأمون فى تاريخه أن المناظر الثلاث استجدهن المأمون بن البطائحى الوزير وهن : منظرة على قوس باب الذهب وأخرى فيما بين باب الذهب وباب البحر (الخطط مخ . خزينة ٤٧ و – ٤٧ ظ) .

وباب البحر . أحد أبواب القصر الشرق الغربية بناه الحاكم بأمر الله . سمى بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه عندما يقصد التوجُّه إلى شاطئ النيل بالمَقْس . وكان موقعه قبالة دار الحديث الكاملية . وهدم هذا الباب فى سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القاضى تجاه جامع الملك الكامل بشارع المعز لدين الله . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٣ – ٤٣٤ والسلوك ١/٢ : ٦٠٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٣٥ هـ ٦ و ٧ : ١٦٣) .

عشرة وخمسمائة ، وجملة العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار وسبعة دنانير ، ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الأمراء المطوَّقين[1] والأستاذين المحَنَّكين وكاتب الدَّسْت ومتولى حَجَبَة الباب وغيرهم[2].

* * *

وقال ابن المأمون ، فى عيد النحر من سنة خمس عشرة وخمسمائة : وأمر بتفرقة عيد النحر والهِبَة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعون ديناراً ، ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الأمراء المطَوَّقين والأستاذين المُحَنَّكين وكاتب الدَّسْت ومتولى حَجَبَة الباب ، وغيرهم من المستخدمين . وعِدَّة ماذُبِحَ ثلاثة أيام النحر فى هذا العيد وعيد الغدير ، ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأساً تفصيله ، نوق : مائة وسبعة عشر رأساً ، بقر : أربعة وعشرون رأساً ، جاموس : عشرون رأساً ، هذا الذى ينْحَره ويَذْبَحه الخليفة بيده فى المُصَلَّى[3] والمَنْحَر[4] وباب السَّاباط[5] . وَيذْبَح الجزَّارون من الكِبَاش : ألفين وأربعمائة رأس .

---

(١) الأمراء المُطَوَّقون . كان الأمراء فى زمن الخلفاء الفاطميين على ثلاثة مراتب : المطوقون وأرباب القضب وأدوان الأمراء . أعلاهم المطوقون وعرفوا بذلك لأنه يُخْلع عليهم بأطواق الذهب فى أعناقهم . وشبَّههم القلقشندى بالأمراء مقدمى الألوف فى زمانه . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٦) .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٤٥١ — ٤٥٢ وانظر فيما يلى ص ٣٨ و ٨٤ — ٨٩ .

(٣) المُصَلَّى : مصلى العيدين الذى كان يصلى فيه الخليفة فى يومى عيد الفطر وعيد النحر . بناه جوهر القائد فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ثم جدَّده العزيز بالله .

كان خارج باب النصر على ربوة جميعها مبنى بالحجر ، ولها سور دائر عليها وقلعة على بابها ، وفى صدرها قبة كبيرة فى صدرها محراب ، والمنبر إلى جانب القبة وسط المصلى مكشوفاً تحت السماء ، وارتفاعه ثلاثون درجة وعرضه ثلاثة أذرع ، وفى أعلاه مصطبة . هكذا وصفه القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٥٠٨ . وأدرك المقريزى بعض هذا المصلى قال : وقد اتخذ فى جانب منه موضع مُصَلَّى الأموات اليوم . (المقريزى : الخطط ١ : ٣٦٤ و ٤٥١) .

أما اليوم فموضعه المقابر الواقعة خارج باب النصر على يمين الخارج منه لجهة الشرق . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٩٤ هـ ٣ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٢١٢ — ٢١٣) .

(٤) المَنْحَر . الموضع الذى اتخذه الفاطميون لنحر الأضاحى فى عيد الأضحى وعيد الغدير . قال القلقشندى : وهو خارج باب الفرج (أظنه يقصد باب الريح) أحد أبواب القصر وهو مواجه دار سعيد السعداء — وكان إذ ذاك فضاء واسعاً لا بناء فيه ، به مصطبة مفروشة يطلع عليها الخليفة والوزير وقاضى القضاة والأستاذون المحنكون وأكابر الدولة . (القلقشندى : صبح ٣ : ٥١١) . أما المقريزى فقد حدَّد موضعه بجوار القصر الشرقى تجاه رحبة باب العيد قال : موضعه الآن ما فى داخل الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس الجاشنكير من الدور والطاحون وغيرها ، أما ظاهره فتجاه رأس حارة برجوان يفصل بينه وبينها الحوانيت التى تقابل باب الحارة . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٦).

ومحله اليوم مجموعة المبانى الواقعة غربى جامع سعيد السعداء بين شارعى الدرب الأصفر والتمبكشية بالجمالية . (أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٩٨ هـ ٧ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٢١٥ — ٢١٧).

(٥) باب الساباط . أحد أبواب القصر الغربى الشرقية . كان موضعه هو باب سر المارستان المنصورى . وكان من الرسم =

والذى اشتملت عليه نفقاتُ الأَسْمِطَة فى الأيام المذكورة خارجاً عمَّا يُعْمل بالدار المأمونية [١] من الأُسْمِطَة ، وخارجاً عن أسْمِطَة القصور عند الحرم ، وخارجاً عن القصور الحَلْواء والقصور المنفوخ المصنوعة بدار الفِطْرَة [٢] ، ألف وثلاثمائة وستة وعشرون ديناراً ورُبْع وسُدْس دينار ، ومن السكر بَرسْم القصور والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قنطاراً تفصيله عن قصرين فى أول يوم خاصة إثنا عشر قنطاراً ، المنفوخ من ثلاثة الأيام إثنا عشر قنطاراً [٣] .

* * *

قال ناظم سيرة المأمون : ولما كان يوم الثلاثاء سابع ذى الحجة من السنة ، وهو يوم الهناء بعيد النحر ، جلس المأمون فى داره وقت أذان الفجر وجاء الناسُ لخدمته للهناء على طبقاتهم فى أرباب السيوف والأقلام ثم الشعراء . وركب إلى القصور فأتى باب الذهب فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئِّتَ له فى موضعها الجارى به العادة ، وأُغْلق الباب الذى عندها على الرَسْم المعتاد لوزير السيف

= أن يذبح فيه مدة أيام النحر وفى عيد الغدير عدة ذبائح تفرق على سبيل الشرف . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٨) .

والمارستان المنصورى موضعه معروف على يمنة السالك من المدرسة الكاملية إلى باب الزهومة (المدرسة الصالحية) بشارع المعز لدين الله .

[١] الدار المأمونية . كانت داراً لقوام الدولة حبوب (؟) ثم جدَّدها المأمون بن البطائحى واتَّخَذها سكناً له . ثم أضْحَت مدرسة للحنفية تعرف بالمدرسة السيوفية لأن سوق السيوفين كان حينئذ على بابها . وكان موقعها بجوار درب السلسلة (شارع الخردجية) .

(ابن ميسر : أخبار مصر ٨٨ و ١٤٧ و ١٥٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٢٣٧ و ٣ : ٤٩٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٧٤ س ١٥ و ٤٦٢ و ٢ : ٣٦٥) .

وموضع المدرسة السيوفية : اليوم جامع الشيخ مطهر بأول شارع الخردجية على يسار الداخل إليه من جهة شارع السكة الجديدة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٢٩٠ هـ ١) .

[٢] دار الفِطْرة : التى يعمل فيها فطرة العيد : أوَّل من رتبها العزيز بالله وكانت تعمل بإيوان القصر وتفرق منه إلى أن تحوَّل الوزير الأفضل من القاهرة إلى مصر وسكن بها فاستجدَّ للفطرة داراً صارت فيما بعد دار الأمير عز الدين الأفرم بمصر قبالة دار الوكالة ، وعملت بها الفِطْرة مدَّة إلاَّ ما يخص الخليفة وجهاته وخواصه فكان يعمل بالإيوان . فلما توفى الأفضل وتولى المأمون بنى دار الفطرة خارج القصر قبالة باب الديلم واقتطع لها جزءً من اصطبل الطارمة .

(المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٥ — ٤٢٦ وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٣٥٤ و ٤٧٦ . وانظر تفصيل ما كان يعمل بها من حلواء وغيره عند القلقشندى : صبح ٣ : ٥٢٤ — ٥٢٥ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٦ — ٤٢٧ ، أبى المحاسن : النجوم ٤ : ١٢٢ — ١٢٣).

وموضعها اليوم الدور الواقعة جنوب شرق المشهد الحسينى عند أول شارع أم الغلام . (أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٣٦ هـ ٦) . وانظر فيما يلى ص ٨٤ .

[٣] المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٦ .

والقلم ، وهذا الباب يعرف بباب السِّرْدَاب [١] ، فلما شاهد المرتبة توقَّف عن الجلوس عليها لأنه لم يُذْكر له ذلك قبل حضوره ، ثم ألجأته الضرورة لأجل حضور الأمراء إلى الجلوس عليها فجلس وأولاده الثلاثة عن يمينه ، وأخواه عن يساره والأمراء المطوَّقون خاصة قائمون بين يديه ومَنْ عداهم لايصل إلى هذا الموضع ، فما كان بأسرع مِنْ أن فُتِح الباب وخرج عدَّة من الأستاذين المُحنِكِّين[٢] ، وخرج إليه الأمير الثقة ، متولى الرسالة وزِمَام القصور ، فوقف أمام المرتبة وقال : أمير المؤمنين يرد على السيد الأجل المأمون السلام ، فوقف المأمون عند ذلك وقبَّل الأرض وجلس فى موضعه ، وتأخَّر الأمير الثقة حتى نزل من على المصطبة التى عليها المرتبة وقبَّل الأرض ويد المأمون ودَخَل من فوره من الباب وأغْلَق الباب على ماكان عليه الأفضل ، وكان الأفضل يقول : مازال أعدّ نفسى سلطاناً حتى أجلس على تلك المرتبة ويُغْلق الباب فى وجهى والدخان فى أنفى ، لأن الحمام كانت خلف الباب فى السرداب .

قال : ثم فتح الباب وعا الثقة وأشار بالدخول إلى القصر ، فدخل المأمون إلى المكان الذى هُيِّئ له ودعا لمجلس الوزارة ، وبقى الأمراء بالدهاليز إلى أن جلس الخليفة واستفتح المقرئون واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلَّم عليه أولاده وإخوته ، ثم دخل[٣] الأمراء وسلَّموا على طبقاتهم ، ثم الأشراف ، وديوان المكاتبات والإنشاء ، ثم قاضى القضاة / والشهود والداعى ، ثم مقدِّمى الركاب ، ومتولى ديوان المملكة ، ثم دَخَل الأجناد من باب البحر – وهو الباب الذى يقابل المدرسة الكاملية الآن – ثم دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلَّما ببياض أهل البلدين ، ثم البَطْرك والنصارى والكتَّاب منهم ، وكذلك رئيس اليهود ، ودخل الشعراء على طبقاتهم وأنْشَد كلٌّ منهم ماسمَحَت به قريحته .

وهذه كانت عادة السلام على ملوك هذه الدولة ، وإنَّما أوْرَدنا ذلك ليعلم منه كيف كانت عادتهم[٤] .

* * *

[١] لم أستدل على موضع هذا الباب من القصر . وعند أبى المحاسن نص يتَّفق مع ما جاء عند ابن المأمون فى تحديد موضعه ، يقول : « فرتَّبت (أى عمَّة الخليفة الفائز) قوماً من السودان الأقوياء فى باب السرداب فى الدهليز المظلم الذى يدخل منه إلى القاعة (أى قاعة الذهب) » . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٣١٤) . وسيرد بعد أسطر أن حمَّام القصر كان خلف هذا الباب فى السرداب . وقارن المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٧ .

[٢] فى نهاية الأرب : الأستاذين المطوقين وهو خطأ واضح .

[٣] فى نهاية الأرب : دخلوا .

[٤] النويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٨٥ – ٨٦ ، ابن ميسر : أخبار مصر ٨٨ – ٩١ .

قال [ابن المأمون] فى حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة : وكان قد تقدَّم أمرُ الأجلِّ المأمون بعمل حساب الدولة من الهلالى والخراجى ونظمه على جملتين ، إحداهما إلى سنة عشر وخمسمائة الهلالية الخراجية ، والجملة الثانية إلى آخر سنة خمس عشرة وخمسمائة هلالية وما يوافقها من الخراجية ، فانعقدت على جملة كبيرة من العَيْن والأصناف وشرحت بأسماء أربابها وتعيين بلادها ، فلما أُحْضرت أمر بكتب سجلٍّ يتضَمَّن المسامحة بالبواقى إلى آخر سنة عشر وخمسمائة ، ونسخته بعد التصدير :

« ولما انتهى إلينا حالُ المعاملين والضُمَنَاء والمتصرِّفين ومافى جهاتهم من بقايا معاملاتهم ، أنْعَمْنا بما تضمَّنه هذا السجل من المسامحة قصداً فى استخلاص ضامن طالت غَفْلته وخَرِبَت ذمَّته ، وإنقاذ عامل أجْحَف به من الديوان طلبته ، وتوفير الرغبة على عمارتها وجريها فيها على قديم عادتها . ولما كان ذلك من جميل الأحدوثة التى لم نُسْبَق إليها ولا شاركنا ملك فيها ، اقتضت الحال إيرادها فى هذا الكتاب وإيداعها فى هذا الباب ، لما اطَّلَعْنا عليه مما انتهت إليه أحوالُ الضمناء والمعاملين بالمملكة من الاختلال وتجَمُّد البقايا فى جهاتهم والأموال ، عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطالعنا المقام الأشرف النبوى بالتفصيل من أمورهم والجملة ، واستخرجنا الأمر العالى بوضع ذلك فى الحال وإنشاء السجلات الكريمة مقصورة على ذكر الإحسان وتنفيذها إلى جميع البلدان لتُقرأ على رؤس الأشْهَاد بسائر البلاد .

ومبلغ ما انتهت إليه هذه المسامحة إلى حين خَتْم هذا السجل ، من العَيْن ألفا ألف وسبعمائة ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون ديناراً ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط ، ومن الفِضَّة النُّقْرة [1] أربعة دراهم ، ومن الوَرِق سبعة وستون ألفاً وخمسة دارهم ونصف وسُدس درهم ، ومن الغَلَّة ثلاثة آلاف ألف وثمانمائة ألف وعشرة آلاف ومائتان وتسعة وثلاثون أردباً وثُمْن ونصف سُدس

---

[1] الفِضَّة النُّقْرة . وهى التى عيارها الثلثان من فضة والثلث من نحاس . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٣٩ و ٤٦٢ - ٤٦٣) .

وثُلثا قيراط ، ومن العناب ربع أردب ، ومن ورق الصَّبَّاغ ألفان وأربعمائة وثلاثة أرادب ونصف ، ومن زربعة الوسمة عشرة أرادب وربع ، ومن الصباغ ألف وأربعمائة وثمانون قنطاراً ورطل ونصف ، ومن الفوّة أربعمائة وسبعون رطلاً ، ومن الشَّبِّ تسعمائة وثلاثة عشر قنطاراً ونصف ، ومن الحديد خمسمائة رطل وأحد وثلاثون رطلاً ، ومن الزِّفْت ألف وثلاثمائة وثلاثة أرطال وربع وسدس ، ومن القَطْرَان تسعة عشر رطلاً وثلث ، ومن الثياب الحلبى ثلاثة أثواب ، ومن المآزر مائة مئزر صوف ، ومن الغرابيل مائة وسبعون غربالاً ، ومن الأغنام مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألفا وثلاثمائة وخمسة أرؤس ، ومن البُسْر ثلاثمائة وثلاثة عشر قنطاراً وثمانية وثلاثون رطلاً ، ومن السحيل ثلاثمائة ألف وخمسة وسبعون ألفا وخمسمائة وخمسون باعاً ، ومن الجريد أربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألف وسبعمائة وثلاثة وخمسون جريدة ، ومن السلب ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون سلْبة ، ومن الأطراف ستة آلاف وسبعمائة وثلاثة وسبعون طرفاً ، ومن المَلْح ألفان وسبعمائة وثلاثة وتسعون أردباً وثلث ، ومن الأشْنَان أحد عشر أردباً ، ومن الرمَّان ألفا حبَّة ، ومن العَسَل النحل خمسمائة وأحد وأربعون قنطاراً وسُدْس ، ومن الشَّهْد اثنان وثلاثون زيراً وقاروساً واحداً ، ومن الشَّمْع أربعمائة وأربعون رطلاً ، ومن الخلايا ثلاثة آلاف وأربعمائة وخليتان ، ومن عَسَل القصب مائة وثمانية وثمانون قسطا ، ومن الأبقار اثنان وعشرون ألفاً ومائة وأربعة وستون رأساً ، ومن الدَّوَاب أربعة وسبعون رأساً ، ومن السَّمْن ألفان وتسعمائة وستة وتسعون رطلاً وسُدْس وثُمْن ، ومن الجُبْن ثلاثمائة وعشرون رطلاً ، ومن الصوف أربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون جزَّة ، ومن الشعر ستة آلاف وخمسون رطلاً وربع ، ومن بيوت الشعر بيتان . وفصل ذلك بجهاته ومعامليه » .

قال : ولما انتهى إلى المأمون مايُعْتَمد فى الدواوين من قبول الزيادات وفَسْخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كابد فيها المَشقَّة والتعب ، وتسليمها إلى باذل الزيادة من غير كُلْفَة ولانَصَب ، أنكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن الولوج فى بابه ، وخرج أمرُه بإعفاء الكافة أجمعين والضُّمَنَاء

والمعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرَّفون فيه ويستولون عليه ماداموا مغلقين وبأقساطهم قائمين ، وتضمَّن ذلك منشورٌ فى الجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديوانى المجلس والخاص الآمرين السعيدين ونُسْخته بعد التصدير :

« ولما انتهى إلى حضرتنا مايُعْتمد فى الدواوين ويقصده جماعةٌ من المتصرِّفين والمستخدمين من تضمين الأبواب والرباع والبساتين والحمَّامات والقياس والمساكن وغير ذلك من الضمانات للراغبين فيها ممن تستمر معاملته ولا تُنْكر طريقته ، فما هو إلاَّ أن يحضر من يزيد عليه فى ضَمَانه حتى نقض عليه حكم الضمان وقبل ما يبذل من الزيادة كائناً من كان ، وقُبِضَت يدُ الضامن الأول عن التصوف وتمكن الضامن الثانى من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن الأول ، ولا تحرز فى فَسْخه الذى لا يبيحه الشرع ولا يُتأَوَّل ، أنكرنا ذلك على معتمديه وذممناه من قصد فاعليه ومرتكبيه إذ كان للحق مجانباً وعن مذهب الصواب ذاهباً ، وعرضنا ذلك بالمواقف المقدَّسة المطهَّرة ضاعف الله أنوارها وأعلى أبداً منارها ، واستخرجنا الأوامر المطاعة فى كَتْب هذا المنشور إلى سائر الأعمال بأنه أى أحد من الناس ضمن ضماناً من باب أو رَبْع أو بستان أو ناحية أو كَفْر وكان لأقساط ضَمَانه مؤدِّياً ولما يَلْزَمه من ذلك مُبْدِياً وللحق متَّبعاً ، فإن ضَمَانَه باقٍ فى يده لاتُقْبل زيادة عليه مدَّة ضمانه على العقد المعقود عملاً بالواجب والنظام المحمود واتِّباعاً لما أَمَر الله تعالى فى كتابه المجيد إذ يقول جَلَّ من قائل ﴿ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُواْ بِالعُقُودِ ﴾ [الآية ١ سورة المائدة] إلى أن تنقضى مدة الضَّمَان ويزول حكمها ويذهب وضعها ورسمها حملاً على قضية الواجب وسننها واعتماداً على حكم الشريعة التى ماضلَّ من اهتدى بفرائضها وسننها . فأما من ضمن ضماناً ولم يَقُم بما يجب عليه فيه وأصَرَّ على المدافعة والمغالطة التى لايعتمدها إلاَّ كل ذميم الطباع سفيه ، فذلك الذى فَسَخ حكم ضمانه بنقضه الشروط المشروطة عليه ، وحُكْمُه حكم من إذا زيد عليه فى ضمانه نُقِلَ عنه وأُخْرِج من يديه لأنه الذى بدأ بالفَسْخ وأَوْجَد السبيل إليه .

فليعتمد كافة أرباب الدواوين وجميع المتصرِّفين والمستخدمين العمل بما تضمَّنه هذا المنشور وامتثال المأمور ، وحمل هؤلاء الضُّمناء والمعاملين على ما نُصَّ فيه ، والحَذَر من تجاوزه وتعدِّيه بعد ثبوته فى ديوانَىّ المجلس والخاص الآمريين السعيدين ، وبحيث يثبت مثله إن شاء الله تعالى » .

قال : ووَصَلَت المكاتبة من الوالى والمُشَارِف ومن كان نُدِب صُحبته لكشف الأراضى والسواقى ومساحتها ، متضمِّنة ما أظهره الكِشف وأوضحته المساحة على من بيده السواقى ، وهم عدَّة كثيرة ، ومن جملتها ساقية مساحتها ثلاثمائة وستون فداناً تشتمل على النخل والكَرْم وقصب السكر بمدينة إسْنَا ، خراجها فى السنة عشرة دنانير ، وما يجرى فى الأعمال هذا المجرى وأنهم وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من أرباب السواقى مايدلُّ على ما بأيديهم ، فذكروا أنهم انتقلت إليهم ولم يُظْهروا ما يَدُلُّ عليهم ، وقد سَيَّروا أملاكها إلى الباب تحت الحَوْطَة ليخرج الأمر بما يُعْتمد عليه فى أمرهم . وعند وصولهم أُوقع الترْسيم بهم إلى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقى ، فإن الأملاك بجملتها لاتقوم بما يجب عليها . فوقف المذكورون للمأمون فى يوم جلوسه للمظالم ، فأمر بحضورهم بين يديه وتقدَّم إلى القاضى جلال الملك أبو الحجاج يوسف بن أيوب المغربى[1] ، وهو يومئذ قاضى القضاة ، لمحاكمتهم . فجَرَى له معهم مفاوضة أَوْجَبت الحق عليهم وأَلْزَمهم القيام بما يستغرق أحوالهم وأملاكهم فحصل من تضرُّرهم ما أَوْجَب العاطفة عليهم وأخذهم بالخراج من بعد أن يضرب عما تقدَّم صفْحاً ، وكتب منشوراً نسخته :

« قد علم الكافة مانراه من إفاضة سُحُب العدل عليهم ، والإحسان والنظر فى مصالح كل قاصٍ منهم ودان ، وإنا لا نَدَعُ ضرراً يَتَوجَّه إلى أحَدٍ من الرعية إلا حَسَمْناه ، ولا نَعْلمُ صلاحاً يعود نَفْعُه عليه إلاَّ قوَّيْنا سببه ووَصَلْناه حسْب ما

---

[1] قرَّره الوزير المأمون فى القضاء فى ذى القعدة سنة ست عشرة وخمسمائة عوضاً عن ابن الرَّسْعَنى ولُقِّب « جلال الملك تاج الأحكام » واشتمل سجله على توليته القضاء والخطابة والصلاة وديوان الأحباس ودار الضرب واستمر إلى أن توفى فى شوال سنة ٥٢١ هـ (ابن ميسر : أخبار مصر ٨٤ و ١٠٦ و ١١٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ٩٣ و ١١٩ ، ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر - خ ٢٦٧ و ٨٨٨ - ٢٨٩ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ١٥٢) .

فعلى ذلك يكون هذا المنشور قد صدر بعد شهر ذى القعدة سنة ٥١٦ هـ .

يتعيَّن على رعاة الأمم ، وعملاً بالواجب فى البعيد والأمم ، سلوكاً كالمحجة الدولة الفاطمية خلَّد الله ملكها القويمة ، واستمراراً على قضاياها وسجاياها الكريمة .

ولما كنَّا نرى النظر فى مصالح الرعايا أمراً واجباً ، ونصرف إلى سياستهم عزْماً ماضيا ورأيا ثاقباً ، كذلك نرى النظر فى أمور الدواوين واستيفاء حقوقها المصروفة إلى حماية البيضة والمحاماة عن الدين ، وجهاد الكفرة والملحدين ليكون ما نراعيه وننظر فيه جارياً على سُنَنِ الواجب محروساً من الخَلَل بإذن الله من جميع الجوانب . ومن الله نستمد مواد التوفيق فى الحَلِّ والعَقْد ، ونسأله الإرشاد إلى سَوَاء السبيل والقَصْد ، وما توفيقُنا إلاَّ بالله عليه نتوكَّل وهو حَسْبُنا ونِعْمَ الوكيل » .

وكان القاضى الرشيد بن الزبير [1] ، أيام مشارفته الصعيد الأَعلْى ، قد طالع المجلس الأَفْضَلى بحالِ أرباب الأملاك هناك ، وأنهم قد استضافوا إلى أماكنهم من أملاك الدواوين أراضى اغتصبوها ومواضِعَ مجاورة لأملاكهم تعدَّوا عليها وخَلَطُوها بها وجازوها ، ورسم له كشفها ونظم المشاريح بها وارتجاعها للديوان ، وأن يعتمد فى ذلك مايُوجِبُه حُكْم العدل المُثْبت فى كل قطر ومكان . وبآخر ذلك :

« سيَّرنا من الباب من يكْشف ذلك على حقيقته وإنهائه على طيَّته فاعتمدوا ما أمروا به من الكشف فى هذه الأملاك ، ووردت المطالعة منهم بأنهم التمسوا ممن بيده ملك أو ساقية مايشْهد بصحة ملكه ومبلغ فدنه وذِكر حدوده ، فلم يُحْضر أحدٌ منهم كتاباً ولا أوضح جواباً ، وأصدروا إلى الديوان المشاريح بما كشفوه وأوضحوه فوجدوا التعدّى فيه ظاهراً وباب الحَيْف والظُّلْم غير

---

[1] القاضى الرشيد أبو الحسن أحمد بن على بن إبراهيم الزبير الأسوانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ . لم أجد فى المصادر ذكراً لمشارفته الصعيد الأعلى ، وإنما تولَّى نظر الدواوين بالإسكندرية بغير اختياره فأرضى الناس وخصوصا الفقهاء . وأخباره كثيرة فى كتب التاريخ والتراجم . فتكون إشارة ابن المأمون هذه ذات قيمة هامة .

(راجع ، العماد الأصفهانى : خريدة القصر (قسم مصر) ١ : ٢٠٠ - ٢٠٢ ، ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٥١ - ٦٦ ، ابن خلكان : وفيات ١ : ١٦٠ - ١٦٤ ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٣٥ و ١٥٣ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ٧ : ٢٢٠ - ٢٢٥ ، الأدفوى : الطالع السعيد ٩٨ - ١٠٢ ، المقريزى : المقفى (خ . السليمية) ١١٤ و - ١١٥ ظ) .

متقاصر ، والشرع يوجب وضع اليد على ماهذه حالُه ، ومطالبة صاحبه بريعه واستغلاله ، لاسيما وليس بيده كتابٌ يشْهد بصحة الملك رأساً ، ولا يستند فى ذلك إلى حجَّة ادَّخرها احترازاً عن مجاهدة سبيله واحتراساً ، ولكن نحكم بما نراه من المصلحة للرعية والعدل الذى أقمنا مناره وأحْيينا معالمه وآثاره ، مع الرغبة فى عمارة البلاد ومصالح أحوالها واستنباط الأرضين الداثرة وإنشاء الغروس وإقامة السواقى بها .

أَمَرْنا بكتب هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الأعلى بإقرار جميع الأملاك والأرضين والسواقى بأيدى أربابها الآن من غير انتزاع شىء منها ولا ارتجاعه ، وأن يقرَّر عليها من الخراج مايجب تقريره ، ويشْهد الديوان على أمثالهم بمثله إحساناً إليهم لم نزل نتابع مثله ونواليه ، وإنعاماً ما بَرَحْنا نعيده عليهم ونُبْديه ، وقد أنْعَمْنا وتجاوزنا عما سَلَف ونَهَيْنا منْ يستأنف وسامحنَا من خرج عن التعدى إلى المألوف ، وجَرَيْنا على سُنَنِنَا فى العفو والمعروف وجعلناها تَوْبة مقبولة من الجماعة الجانين ، ومن عاد من الكافة أجمعين فلينتقم الله منه وطولب بمستأنفه وأمسه ، وبرئت الذمة من ماله ونفسه ، وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة ، وسُدَّت فى وجهه أبواب الشفاعة والسلامة ، وقد فَسَحْنا مع ذلك لكل من يرْغب فى عمارة أرض خَلْفاء داثرة وإدارة بئرٍ مهجورة معَطَّلة ، فى أن يُسَلَّم إليه ذلك ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراجٌ إلاَّ فى السنة الرابعة من تسليمه إياه ، وأن يكون المقرر على كل فدان ماتوجبه زراعته لمثله خراجاً مؤيدا وأمراً مؤكداً . فليعْتَمد ذلك النوابُ وحكَّام البلاد ومَنْ جَرَت العادةُ بحضوره عَقْد مجلس ، وإحضار جميع أرباب الأملاك والسواقى وإشعارهم ما شَمَلهم من هذا الإحسان الذى تجاوز آمالهم فى إجابتهم إلى ماكانوا يسألون فيه ، وتقرير مايجب على الأملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذى مثَّلْناه ، ويجيز الديوان تقريره ويرضاه ، مع تضمين الأراضى الداثرة والآبار المعَطَّلة لمَنْ يرْغَبُ فى ضمانها ، ونَظْم المشاريع بذلك وإصدارها إلى الديوان ليَخْلَد فيه على حُكْم أمثالها بعد ثبوت هذا المنشور بحيث يثبت مثله » .

قال : ولما سَرَت هذه المصالح إلى جميع أهل هذه الأعمال حَصُل الاجتهاد فى تحصيل مال الديوان وعمارة البلاد [١] .

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٨٣ - ٨٥ .

سنة ست عشرة وخمسمائه

[قال ابن المأمون] : ولما كان يوم عاشوراء [١] من سنة ست عشرة وخمسمائة ، جَلَس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب البَاذْهَنْج [٢] ، يعنى من القصر ، بعد قتل الأفضل وعوْد الأسْمِطة إلى القصر ، على كرسى جريد بغير مخدة متلثِّماً هو وجميع حاشيته ، فسلَّم عليه الوزير المأمون وجميع الأمراء الكبار والصغار بالقراميز. وأذن للقاضى والداعى والأشراف والأمراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملَثَّمون حفاة ، وعُبِّىَ السماط فى غير موضعه المعتاد وجميع ماعليه خُبْزُ الشعير والحواضر على ماكان فى الأيام الأفضلية . وتقدَّم إلى والِيا مصر والقاهرة بأن لا يمكِّنَا أحداً من جَمْع ولا قراءة مصرع الحسين ، وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقرَّاء الخاص والوعَّاظ والشعراء وغيرهم على ماجَرَت به عادتهم [٣] .

* * *

قال ابن المأمون فى أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة : وفى الثانى عشر من المحرم كان المولد الآمرى [٤] ، واتّفق كونه فى هذا الشهر يوم الخميس ، وكان قد تقدَّر أن يعمل أربعون صينية خُشْكَنَانْج [٥] وحلوى وكعك ، وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد :

---

(١) راجع تطور الاحتفال بيوم عاشوراء عند المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٠ — ٤٣٢ ، أبى المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٥٣ — ١٥٤ ، ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ٢ : ١٢٨ — ١٢٩ .

(٢) البَاذْهَنْج جـ . باذهنجات . كلمة فارسية معناها منفذ التهوية والإضاءة يوجد فوق أسطح العمائر ، وله أشكال مختلفة بحيث يسمح للشمس بالدخول شتاء وللنسيم صيفاً ، وقد توجد على فتحة الباذهنج شبكة من النحاس . (عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار ، المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربية (القاهرة ١٩٥٨ م) ٢٢٠ هـ [٢]) ، فعلى ذلك يكون هذا الباب إحدى فتحات التهوية من داخل القصر وليس أحد أبوابه . وسيرد فيما يلى ذكر لباذهنجات أخرى .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٤٣١ .

(٤) فى اتعاظ الحنفا ٣ : ٣١ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٧٣ أنه ولد ضحى يوم الثلاثاء الثالث عشر من المحرم سنة تسعين وأربعمائة .

(٥) الخُشْكَنَانْج . نوع من الحلوى مصنوع من الرقاق على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز أو الفستق ، ويعرف أيضا بالخشتنان . (القلقشندى : صبح ٣ : ٥١٠ هـ [١] ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٩٦ هـ [٥]) .

سكر وعسل ولوز ودقيق وسيرج ، وتقدَّم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى وتُفَرّق على المتصدِّرين والقراء والفقراء ، للمتصدرين ومن معهم فى صحون ، وللفقراء على أرغفة السَّمِيذ .

ثم حَضَر فى الليلة المذكورة القاضى والداعى والشهود وجميع المتصدِّرين وقرَّاء الحضرة ، وفُتِحَت الطاقات التى قبلى باب الذهب ، وجلس الخليفة وسلَّموا عليه ، ثم خرج متولى بيت المال بصندوق مختوم ضمَّنه عيناً مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهماً برَسْم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم ، وفُرِّقت الصوانى بعد ما حُمِلَ منها للخاص وزِمَام القصر ومتولى الدفتر خاصة ، وإلى دار الوزارة والأجلاء والإخوة والأولاد وكاتب الدست ومتولى حَجْبة الباب والقاضى والداعى ومفتى الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الأشراف [١] .

* * *

وقال ابن المأمون : ولما كانت ليلة مستهل رجب ، يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة ، عُمِلَت الأَسْمِطة الجارى بها العادة ، وجَلَس الخليفة الآمر بأحكام الله عليها والأجل المأمون الوزير ومن جرت عادته بين يديه . وأظهر الخليفة من المسرَّة والانشراح مالم تجر به عادته ، وبالغ فى شكر وزيره وإطرائه ، وقال : قد أعَدْتَ لدولتى بهْجَتَها وجدَّدْتَ فيها من المحاسن مالم يكن ، وقد أخَذَت الأيام نصيبهَا من ذلك ، وبقيت الليالى وقد كان بها مواسم قد زال حكمُها ، وكان فيها توْسِعَة وبرٌّ ونفقات وهى : ليالى الوَقُود الأربع [٢] وقد آن وقتهن فأشتهى نظرهن ، فامتثل الأمر وتقدَّم بأن يُحْمل إلى القاضى خمسون ديناراً يصرفها فى ثمن الشمع وأن يعتمد الركوب فى الأربع الليالى وهى : ليلة مستهل رجب ، وليلة نصفه ، وليلة مستهل شعبان ، وليلة نصفه ، وأن يتقدم إلى جميع الشهود بأن يركبوا صحبته وأن يُطْلق للجوامع والمساجد توْسِعَةً فى الزيت برسم الوقود ويتقدَّم إلى متولى بيت المال بأن يهتم برسم هذه الليالى من أصناف الحلاوات مما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة [٣] .

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٢ .

[٢] عن ليالى الوقود الأربع وما كان يتم فيها راجع ، المسبحى : أخبار مصر ٤٨ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٧ - ٤٩٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٥ - ٤٦٧ و ٤٩١ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ١ : ٤٧ - ٤٨ ، ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ٢ : ١٢٠ - ١٢٢ . وانظر فيما يلى من ٦٩ .

[٣] المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٦ .

* * *

قال ابن المأمون فى تاريخه : وكان الأجلُّ المأمون ، يعنى الوزير / محمد بن فاتك البطائحى ، قد ضَمَّ إليه عدَّةً من مماليك الأفضل بن أمير الجيوش من جملتهم يَانِس [١] وجَعَلَه مقدَّماً على صبيان مجلسه ، وسلَّم إليه بيت ماله ، وميَّزه فى رسومه ، فلما رأى المذكور فى ليلة النصف من شهر رجب ، يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة ، ماعُمِلَ فى المسجد المستَجدّ قُبَالة باب الخُوخَة [٢] من الهمة ووفور الصدقات وملازمة الصلوات وما حَصُل فيه من المثوبات ، كتب رُقْعةً يسأل فيها أن يُفْسَح له فى بناء مسجد بظاهر باب سَعَادة [٣] ، فلم يُجِبْه المأمون إلى ذلك وقال له : ما ثَمَّ مانع من عمارة المساجد وأرض الله واسعة ، وإنما هذا الساحل فيه معونة للمسلمين وموردة للسقَّائين وهو مَرْسى

---

(١) أمير الجيوش سيف الإسلام أبو الفتح يانس الرومى ، وزير الحافظ لدين الله . توفى فى السادس والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٢٦ هـ ، وكانت وزارته تسعة أشهر وأياماً .

(راجع فى ترجمته ، ابن ظافر : أخبار ٩٨ ، ابن ميسر : أخبار مصر ١١٧ – ١١٨ ، ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٦٧٣ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٨٨ ، ابن الفرات : التاريخ ٣ : ٣٢و – ٤٣و ، المقريزى : الخطط ٢ : ١٧ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٢٤٠ ، المناوى : الوزارة فى العصر الفاطمى ٢٧٧ – ٢٧٨).

(٢) بابُ الخُوخَة . اختلف المؤرخون فى تحديد موضع هذا الباب وتاريخ بنائه . والمتَّفق عليه أنه أحد أبواب القاهرة فى سورها الغربى المطلّ على الخليج . يقول المقريزى عند ذكر أبواب القاهرة الغربية إنه كان لها ثلاثة أبواب : باب القَنْطَرة وباب الفَرَج وباب سَعَادة وبابٌ آخر يُعْرف بباب الخوخة (المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٠ و ٢ : ١٠٩) . وقال فى موضع آخر : وكان فى الجهة الغربية من القاهرة وهى المطلَّة على الخليج الكبير بابان ، أحدهما باب سعادة والآخر باب الفرج ، وباب ثالث يعرف بباب الخوخة أظنه حَدَث بعد جوهر . (المقريزى : الخطط ١ : ٣٦٢) . وعرَّفه فى موضع ثالث تعريفاً قلق قال : أحد أبواب القاهرة مما يلى الخليج فى حد القاهرة البحرى ، كان يعرف أولاً بخوخة ميمون دبه – أحد خدَّام العزيز بالله – ويخرج منه إلى الخليج الكبير . (المقريزى : الخطط ٢ : ٤٥) .

وفى رواية أخرى أن الأمير شرف الدين حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندر لما أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين بجوار داره فى بر الخليج الغربى وعمل قنطرة ، أراد أن يفتح فى سور القاهرة خوخة تنتهى إلى حارة الوزيرية فى سنة ٧٢١ هـ ، فأذن له السلطان فى فتحها ، فخَرَق باباً كبيراً قدر باب زويلة وجعل عليه رَنْكُه . (المقريزى : الخطط ٢ : ٤٧ و ١٤٧ و ٣٦١ والسلوك ٢/١ : ٢١٥ . وقارن أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٢٤٣ – ٢٤٤ ، وعلى مبارك ٣ : ٧٥) .

ويبدو أن الرواية الأخيرة تقصد خوخة مستجدة ، فنَصّ ابن المأمون واضحُ الدلالة على أن باب الخوخة كان موجوداً منذ زمن الفاطميين . وانظر فيما يلى ص ١٠٠ .

والخوخة . بابٌ صغير فى بوابة كبرى لسور أو حصن يُجْعل للاستعمال اليومى ، فلا تكون حاجة إلى فتح البوابة الكبيرة إلاّ عند الضرورة . (المقريزى : السلوك ٢/١ : ٢١٥ هـ[٢]) .

(٣) بابِ سَعَادَة : أحد أبواب القاهرة من جهتها الغربية تجاه الخليج ، أقامه جوهر ، ولكنه عُرِفَ باسم سَعَادة بن حيان غلام المعز لدين الله ، لأنه لما قدم من بلاد المغرب سنة ٣٦٠ هـ دخل القاهرة من هذا الباب فعرف به وقيل له باب سعادة . (المقريزى الخطط ١ : ٣٨٣) .

وموقعة اليوم فى شارع بور سعيد (الخليج المصرى) بميدان باب الخلق فى الوجهة الغربية لمبنى محكمة باب الخلق . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ٢٨٠ هـ[٥] و ٩ : ٣٣٠ من تعليقات المرحوم محمد رمزى) .

مراكب الغَلَّة ، والمضَرَّة فى مضايقة المسلمين فيه منه ، ولو لم يكن المسجد المستجد قُبَالة باب الخوخه محرساً لما استجد حتى إنا لم نخرج بساحته الأولى ، فإن أردت أن تبنى قِبْلى مسجد الريفى [١] أو على شاطىء الخليج فالطريق ثمَّ سهلة ، فقَبَّل الأرض وامتثل الأمر . فلما قُبِضَ على المأمون وأمَّر الخليفة يانس المذكور ، وكانت مدَّته يسيرة ، فتوفى قبل إتمامه وإكماله فكمَّله أولاده بعد وفاته انتهى [٢] .

* * *

قال : ووَصَلَت الكُسْوة المختصة بالعيد فى آخر شهر رمضان ، يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة ، وهى تشتمل على دون العشرين ألف دينار ، وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحُلَل ، لأن الحُلَل فيه تَعُمّ الجماعة وفى غيره للأعيان خاصة [٣] .

* * *

قال ابن المأمون : وفى شوَّال منها ، وهى سنة ست عشرة وخمسمائة ، أمر الأجَلُّ ببناء دار الضَّرْب بالقاهرة [٤] المحروسة لكونها مقرَّ الخلافة وموطن الإمامة ، فبنيت بالقشَّاشِين [٥] قُبَالة المَارِسْتَان وسُمِّيت بالدار الآمرية ، واستخدم لها العدول ، وصار دينارُها أعلى عياراً من جميع مايُضْرب بجميع الأمصار [٦] .

---

(١) لم أعثر على اسم هذا المسجد .

(٢) المقريزى : الخطط ٢ : ٤١١ – ٤١٢ .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٢ وانظر أعلاه ص ٢٤ – ٢٥ وفيما يلى ٨٤ – ٨٩ .

(٤) دار الضرب كانت تعمل بها دنانير الغُرَّة ودنانير خميس العدس ويتولاها قاضى القضاة لجلالة قدرها فى دولة الفاطميين .

وكان موضعها فى القشَّاشين قُبَالة المارستان الذى بناه صلاح الدين فى موضع إحدى قاعات القصر التى بناها العزيز بالله سنة ٣٨٤ هـ . قال المقريزى : فما عن يمينك الآن إذا سلكت من رأس الخرَّاطين فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا إلى الحمام التى بالخرَّاطين وما وراءها ، وما عن يسارك فهو موضع المارستان . (القلقشندى : صبح ٣ : ٣٦٥ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٥ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ١ : ٥٨ ، ٢ : ٢٤٤ ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ٣٣١ – ٣٣٣) .

ومحل هذه الدار الآن مجموعة المبانى التى يحدها من الشمال شارع الصنادقية ومن الغرب شارع الغورية ومن الجنوب شارع الأزهر . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٥٣ هـ[٣]) .

وأول عملة ضربت بها تحمل تاريخ سنة ٥١٨هـ (راجع ، Lavoix, H., «Catalogue des Monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale (Egypte & Syrie), Paris 1896, p. 161; Wiet, G., «Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum» (Egypte), II, .(pp. 183-184

(٥) القشَّاشين . عرفت فى زمن القلقشندى والمقريزى بالخرَّاطين . (صبح ٣ : ٣٦٥ ، الخطط ١ : ٤٤٥) .

وهى المعروفة اليوم بالصنادقية .

(٦) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٥ وقارن ابن ميسر : أخبار مصر ٩٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ٩٢ .

* * *

قال ابن المأمون فى شوال سنة ست عشرة وخمسمائة : ثم أنشأ ، يعنى المأمون بن البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله ، دارَ الوَكَالة بالقاهرة [١] المحروسة لمَنْ يصل من العراقين والشاميين وغيرهما من التجار ولم يُسْبَق إلى ذلك [٢] .

* * *

قال ابن المأمون : وفى هذا الشهر ، يعنى شوالاً سنة ست عشرة وخمسمائة ، تنبَّه ذِكْرُ الطائفة النِّزَارِيَّة [٣] وتقرَّر بين يدَىّ الخليفة الآمر بأحكام الله أن يسير رسولٌ إلى صاحب الْمُوت ، بعد أن جمعوا الفقهاء من الإسماعيلية والإمامية ، وقال لهم الوزير المأمون البطائحى : مالَكُم الحُجَّة فى الرد على هؤلاء الخارجين على الإسماعيلية ؟ فقال كل منهم : لم يكن النزارِ إمَامَة ، ومن اعتقد هذا فقد خَرَج عن المذهب وضلَّ ووَجَب قتله وذكروا حُجَّتهم فكُتِب الكتاب .

ووَصَلَت كتبٌ من خواص الدولة تتضمَّن أن القوم قويت شوكتهم واشتدت فى البلاد طمعتهم ، وأنهم سيروا الآن ثلاثة آلاف برسم النَجْوَى [٤] وبرسم المؤمنين الذين تنْزِلُ الرسل عندهم ويخْتَفُون فى محلهم ، فتقدَّم الوزير بالفَحْص عنهم والاحتراز التام على الخليفة فى ركوبه ومتنزهَاتِه وحِفْظ الدور والأسواق ، ولم يَزَل البحثُ فى طلبهم إلى أن وُجِدُوا فاعترفوا بأن خمسةً منهم هم الرسل الواصلون بالمال فصُلِبُوا [٥] . وأما

---

(١) كان موضعها فى زمن المقريزى على يمنة السالك من رأس الخرَّاطين إلى سوق الخيميين والجامع الأزهر . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٥١) .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٤٥١ وقارن ابن ميسر : أخبار مصر ٩٢ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٩٢ .

(٣) الطائفة النِّزَارية . نسبة إلى نِزَار الإبن الأكبر للمستنصر بالله الفاطمى . الذى كان أحق بالإمامة بعد أبيه وفقاً للعقيدة الإسماعيلية ، إلاَّ أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالى ، الذى كان متغلباً على الدولة عند وفاة المستنصر ، كانت بينه وبين نزار إحَنٌ فخشى إن هو ولاَّه الخلافة أن يُبْعده عن مركزه ، فعَمَد إلى تولية أخيه الأصغر ونعته « بالمستعلى لدين الله » وهو فى الوقت نفسه زوج أخته ، الأمر الذى يُعَدُّ انقلاباً فى تاريخ الدعوة الإسماعيلية .

(راجع عن النزارية وأتباع الحسن بن الصبَّاح فى إيران ، ابن ميسر : أخبار مصر ٥٩ - ٦٣ و ٩٧ - ١٠٣ و ١٠١ هـ ٣٥١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ١٣ : ٢٣٧ - ٢٤٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٣ واتعاظ الحنفا ٣ : ١١ - ١٣ و ٨٤ - ٨٧) .

(٤) النجوى . جـ . نجاوى . الأموال التى يدفعها المؤمنون بالمذهب للنفقة على الدعوة . ومقدار ما يدفعه الفرد ثلاثة دراهم وثلث . وكان بعض الميسورين يدفع على سبيل النجوى ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلث دينار ، وهؤلاء يتميزون فى مجلس الدعوة ويخرج لهم من الخليفة رقعة مكتوبة بخطه فيها : بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك . (المقريزى الخطط ١ : ٣٩١) .

(٥) راجع ابن ميسر : أخبار مصر ٩٧ - ٩٨ وفيه =

المالُ – وهو ألف دينار – فإن الخليفة أبى قبولَهُ وأمر أن يُنْفَق فى السودان وعبيد الشِّرَاء ، وأُحْضَر من بيت المال نظير المبلغ ، وتَقَدَّم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب وقنديلان من فضة وأن يُحْمَل منها قنديلٌ ذهب وقنديلٌ فضة إلى مَشْهد الحسين بثَغر عَسْقَلان ، وقِنْديلٌ إلى التربة المتقدمة ، تربة الأئمة بالقصر[1] ، وأمر الوزير المأمون بإطلاق ألفى دينار من ماله وتقدم بأن يصاغ بها قنديلٌ ذهب وسلسلةٌ فضة برَسْم المشهد العسقلانى وأن يصاغ على المصحف الذى بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالجامع العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب ، وأطلق حاصل الصناديق التى تشتمل على مال النَجاوَى برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تُفَرَّق فى الجوامع الثلاثة : الأزهر بالقاهرة ، والعتيق بمصر ، وجامع القرافة ، وعلى فقراء المؤمنين على أبواب القصور ، وأطلق من الأهْرَاء أَلْفَى أردب قمحا ، وتصدَّق على عدَّة من الجهات بجُمْلة كثيرة واشْتُريت عدَّة جوارٍ من الحجر وكتب عتقهن للوقت وأطلق سراحهن[2] .

* * *

وقال فى سنة ست عشرة وخمسمائة : وحَضَرَ وقْتُ تفرقة كُسْوة عيد النحر ووَصَل ما تأخرَّ فيها بالطِّرَاز ، وفُرِّقت الرسوم على من جَرَت عادته خارجاً عمَّا أمر به من تفرقة العين المختص بهذا العيد وأُضحيته ، وخارجاً عما يفَرَّق على سبيل المُنَاخ[3] ومن باب السَّابَاط مذبوحاً ومنحوراً ستمائة دينار وسبعة عشر ديناراً .

= أن المأمون أمر واليا مصر والقاهرة أن يسقِّعا له جميع سكان مصر والقاهرة شارعاً شارعاً وحارة حارة ، ويعرفون من يصل إلى كل خط من الغرباء ، واستعانا بالنساء ليدخلن المساكن ويتعرفن أحوال سكانها الباطنية .

(1) تربة الأئمة وتعرف أيضاً بالتربة المعزية وبتربة الزعفران . فيها دفَنَ المعز لدين الله آباءه الذين أحضر توابيتهم معه من إفريقية ، وصارت بعد ذلك مدفناً يُدْفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساؤهم ، وكانت من جملة القصر الكبير الشرق تجاه القصر النافعى .

(المسبحى : أخبار مصر ١٠٥ هـ[٢] ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٧ – ٤٠٨ و ٢ : ٣٥ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ١ : ٣٩ و ٢ : ٩٤ و ٩٨ – ٩٩) .

(2) المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٧ – ٤٠٨ وقارن ابن ميسر : أخبار مصر ٩٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٥ واتعاظ الحنفا ٣ : ٨٤ – ٨٥ .

(3) المُنَاخ . موضع برسم طواحين القمح التى تطحن جرايات القصور ، وبرسم مخازن الأخشاب والحديد . وقد استجدَّ المأمون بن البطائحى طواحين برسم الرواتب . وكان موضع المناخ وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٤ و اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٤١ وقارن ابن مماتى : قوانين الدواوين ٣٥٣ وفيه أنه بمعنى الأهراء = مخازن الغلال والقلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٥) .

وفى التاسع من ذى الحجة جلَسَ الخليفة الآمر بأحكام الله على سرير الملك ، وحضَرَ الوزير وأولاده وقاموا بما يجب من السلام ، واستفتح المقرئون وتقدَّم حاملُ المظلة [١] وعرض ماجرت عادته من المَظَال الخمسة التى جميعها مذْهَب ، وسلَّم الأمراء على طبقاتهم وختم المقرئون ، وعُرِضَت الدواب جميعها والعماريات والوحوش ، وعاد الخليفة إلى محله .

فلما أسْفَر الصبح خَرَجَ الخليفة وسلَّم على من جرت عادته بالسلام عليه ، ولم يخرج شىء عمَّا جرت به العادة فى الركوب والعَوْد ، وغَيَّر الخليفة ثيابه ولبس ما يختصّ بالنحر ، وهى البدلة الحمراء بالشدَّة التى تسمى بشَدَّة الوَقَار [٢] ، والعَلَم والجَوْهر فى وجهه بغير قضيب مُلْك فى يده إلى أن دَخَل المَنْحَر ، وفُرِشَت المَلاَءَة الدَّبيقى الحمراء وثلاث بطائن مصبوغة حمر ليتَّقى بها الدم مع كون كل من الجزَّارين بيده مكَبَّة صفصاف مدهونة يُلْقى بها الدم عن الملاءة . وكَبَّر المؤذنون ونَحَر الخليفة أربعاً وثلاثين ناقة ، وقَصَد المسجد الذى آخر صف المَنْحَر وهو مُعَلَّق بالشروب والفاكهة المعبأة فيه بمقدار ماغَسَل يديه ، ثم ركب من فوره [٣] .

وجُمْلَة مانَحَرَه وذَبَحَه الخليفة خاصة فى المَنْحَر وباب السَّابَاط دون الأجلِّ الوزير المأمون وأولاده وإخوته فى ثلاثة الأيام ما عدته ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأساً تفصيله : نوق مائة وثلاث عشرة ناقة نَحَر منها فى المُصَلَّى عُقَيْب الخُطْبة ناقةً وهى التى تُهْدى وتُطْلب من أفاق الأرض للتبرُّك بلحمها [٤] ، ونَحَر فى المُنَاخ مائة ناقة وهى التى يُحْمَل منها للوزير وأولاده وإخوته والأمراء والضيوف والأجناد والعسكرية والمميَّزين من الراجل ، وفى كل يوم يتصدَّق منها على الضعفاء والمساكين بناقة واحدة [٥] .

---

[١] راجع فى وصف المظلة ووظيفة حامل المظلة ، القلقشندى : ٣ : ٤٦٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٨ و ٤٤٩ .

[٢] شدَّة الوقار . هى التاج يركب به الخليفة فى المواكب العظام . وكان لشده ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد ، يتولَّاه أحد الأستاذين المحنكين ، يأتى به فى هيئة مستطيلة ، ويكون شدة بمنديل من لون لبس الخليفة . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٨ و ٤٨٠) .

وأضاف المقريزى ، نقلا عن ابن المأمون ، بأنها المنديل بالشدة العربية التى ينفرد بلباسها فى الأعياد والمواسم خاصة لا على الدوام ، وكانت تسمى بشدة الوقار مرصعة بغالى الياقوت والزمرد والجوهر . (الخطط ١ : ٤٧٣ ، وانظر فيما يلى ص ٧٥) .

[٣] المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٦ ، اتعاظ ٣ : ٩٥ .

[٤] قارن القلقشندى : صبح ٣ : ٥١١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٧ .

[٥] المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٦ .

قال ابن المأمون فى سنة ست عشرة وخمسمائة : وجُمْلَة مانَحَره الخليفة الآمر بأحكام الله وذَبَحه خاصة فى المَنْحَر وباب السَّابَاط ، دون المأمون وأولاده وإخوته فى ثلاثة الأيام : ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأساً . فذكر ماكان بالمنحر . قال : وفى باب الساباط مما يُحْمل إلى من حَوَتْهُ القصور وإلى دار الوزارة والأصحاب والحواشى إثنتا عشرة ناقة ، وثمانية عشرة رأس بقر ، وخمسة عشر رأس جاموس ، ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ، ويُتَصَدَّق كل يوم فى باب السَّاباط بسَقْطِ ما يُذْبَح من النوق والبقر [1] .

وفى اليوم الثالث من العيد تُحْمَل ناقة منحورة للفقراء فى القرافة ، ويُنْحَر فى باب السَّابَاط مايُحْمَل إلى من حَوَتْهُ القصور وإلى دار الوزارة وإلى الأصحاب والحواشى اثنتا عشرة ناقة ، وثمانى عشرة بقرة ، وخمس عشرة جاموسة ، ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ، ويُتَصَدَّق كل يوم فى باب السَّاباط بسقط مايُذْبح من النوق والبقر . وأما مبلغ المنصرف على الأسْمِطَة بالدار المأمونيه فألف وثلاثمائة وستة وعشرون ديناراً ورُبْع وسُدْس دينار ، ومن السكر برسم قصور الحلاوة والقطع المنفوخ المصنوعة بدار الفِطْرة خارجاً عن المطابخ ثمانية وأربعون قنطاراً .[2]

* * *

وقال الأمير جمال الدين أبو على موسى بن المأمون أبى عبد الله محمد بن فاتك ابن مختار البَطَائِحِى فى تأريخه : واستهلَّ عيدُ الغَدِير[3] ، يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة ، وهاجر إلى باب الأجلّ - يعنى الوزير المأمون البطائحى - الضعفاء والمساكين من البلاد ومن انضمَّ إليهم من العوالى والأدوان على عادتهم فى طلب الحلال وتزويج الأيامى ، وصار مَوْسِماً يرْصُدُه كلُّ أحد ويرتقبه كل غنى وفقير . فجرى فى معروفه على رَسْمِه وبالَغَ الشعراء فى مدْحِه بذلك ، ووَصَلَت كسوة العيد المذكور فحُمِلَ ما يُخْتَصّ بالخليفة والوزير وأُمِر بتفرقة مايختص بأزِمَّة العساكر ، فارسها وراجلها ، من عيْن

---

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٨ وهو مضمن أيضاً فى النص السابق .

(2) المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(3) أى الثامن عشر من ذى الحجة . وراجع المسبحى : أخبار مصر ٨٤ هـ ١ ، وأول ماعمل هذا العيد بمصر فى سنة ٣٦٢ هـ فى أيام المعز لدين الله . (ابن ميسر : أخبار مصر ١٦٢) ، وقارن القلقشندى : صبح ١٣ : ٢٤١ .

وكسوة ، ومبْلَغُ مايختص بهم من العين سبعمائة وتسعون ديناراً ، ومن الكسوات مائة وأربع وأربعون قطعة ، والهيئة المختصة بهذا العيد برَسْم كبراء الدولة وشيوخها وأمرائها وضيوفها والأستاذين المحَنَّكين والمميَّزين منهم خارجاً عن أولاد الوزير وإخوته ، ويفَرَّق من مال [الأجل ، يعنى] [1] الوزير ، بعد الخَلْع عليه ألفان وخمسمائة دينار وثمانون ديناراً ، وأمر بتعليق جميع أبواب القصور وتفرقة المؤذنين بالجوامع والمساجد عليها ، وتقدم بأن تكون الأسمطة بقاعة الذهب على حُكْم سماط أول يوم من عيد النحر .

وفى باكر هذا اليوم توجَّه الخليفة إلى المَيْدَان وذَبَح ماجَرَتْ به العادة وذَبَح الجزَّارون بعْدَه مثل عَدَدِ الكباش المذبوحة فى عيد النحر ، وأَمَر بتفْرِقَة ذلك للخصوص دون العموم . وجَلَس الخليفةُ فى المَنْظرة وخَدَمت الرَّهَجِيَّة ، وتقدَّم الوزير والأمراء فسلَّموا فلما حان وقت الصلاة والمؤذنون على أبواب القصر يكبِّرون تكبير العيد إلى أن دخل الوزير فوَجَد الخطيب على المنبر قد فرغ ، فتقدَّم القاضى أبو الحجَّاج يوسف بن أيوب فصلَّى به وبالجماعة صلاة العيد ، وطَلَع الشريف ابن أُنَس الدولة وخطب خُطْبَة العيد ، ثم توجَّه الوزير إلى باب المُلْك فوَجَد الخليفة قد جَلَس قاصداً للقائه وقد ضُرِبَت المقرمة ، فأمره بالمضىِّ إليها وخَلَعَ عليه خِلْعَة مكمَّلة من بدلات النحر وثوبها أحمر بالشدة الدائمية ، وقلَّدة سيفاً مرصَّعاً بالياقوت والجوهر ، وعندما نَهَض ليقبِّل الأرض وَجَدَه قد أعدَّ له العِقْد بالجوهر ورَبَطَه فى عُنُقِه بيده وبالغ فى إكرامه .

وخَرَج من باب المُلْك فتلقاه المقربون وسارع الناس إلى خدمته ، وخَرَج من باب العيد وأولاده وإخوته والأمراء المميَّزون تحجبه وخَدَمت الرَّهَجِيَّة وضُربت العربية والموكب جميعه بزيِّه ، وقد اصطفَّت العساكر وتقدَّم إلى ولده بالجلوس على أسمطته وتفْرِقتها برسومها .

وتوجه إلى القصر واستفتح المقرئون فسلَّم الحاضرون وجرى الرسم فى السماط الأول والثانى وتفرقة الرسوم والموائد على حكْم أول يوم من عيد النحر . وتوجَّه الخليفة بعد ذلك إلى السماط الثالث الخاص بالدار الجديدة لأقاربه وجلسائه .

ولما انقضى حكْم التعييد جَلَس الوزير فى مجلسه واستفتح المقرئون وحضر الكبراء وبياض البلدين للهناء [2] بالعيد والخِلَع . وخَرَج الرسم وتقَدَّم الشعراء فأنشدوا وشرحوا الحال ، وحَضَر متولى

---

[1] زيادة من نسخة خزينة .

[2] فى ط : تهنيء .

خزائن الكسوة الخاص بالثياب التى كانت على المأمون قبل الخَلْع وقبضوا الرسم الجارى به العادة وهو مائة دينار . وحضر متولى بيت المال وصحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برَسْم فِكَاك العِقْد الجوهر والسيف المرَصَّع ، فأمر الوزير المأمون الشيخ أبا الحسن بن أبى أسامة ، كاتب الدست الشريف ، بكتب مطالعة إلى الخليفة بما حُمِل إليه من المال برَسْم منديل الكم وهو ألف دينار ، ورسم الإخوة والأقارب ألف دينار ، وتسلَّم متولى الديون بقية المال ليفرَّق على الأمراء المطوَّقين والمميَّزين والضيوف والمستخدمين [1] .

* * *

وقال ابن المأمون : وفى هذا الشهر ، يعنى شهر ذى الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة ، جرت نوْبَةُ القَصَّار ، وهى طويلة ، وأولها من الأيام الأفضلية ، وكان فيهم رجلان يسمَّى أحدهما بركات والآخر حميد بن مكى الإطْفِيحى القَصَّار مع جماعة يُعْرفون بالبديعية وهم على الإسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة ، وكانوا يجتمعون فى دار العلم بالقاهرة [2] فاعتمد بركات من جملتهم أن استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب ، وكان ذلك فى أيام الأفضل ، فأمر للوقت بغَلْق دار العلم والقبض على المذكور فهَرَب ، وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور أستاذان من القصر ، فلما طُلِبَ بركات المذكور واستتر دقَّق الأستاذان الحيلة إلى أن أدخلاه عندهما فى زىِّ جارية اشترياها وقاما بحقِّه وجميع مايحتاج إليه ، وصار أهلُه يدخلون إليه فى بعض الأوقات ، فمرض بركات عند الأستاذين فحارا فى أمره ومداواته وتعذَّر عليهما إحضار طبيب له واشتد مرضه ومات . فأعملا الحيلة وعرَّفا زِمَام القصر أن إحدى عجائزهما قد توفيت ، وأن عجائزهما يغسلنها على عادة القصور ويشيعنها إلى تربة النعمان بالقرافة ، وكتبا عدَّة من يخرج ففُسِحَ لهما فى العدة وأخذا فى غسْله وألبساه ما أخذاه من أهله ، وهو ثياب معلَّمة وشاشية ومنديل وطيْلَسَان مقوَّر وأدرجوه فى الدَّبيقى ، وتوجَّه مع التابوت الأستاذان المشار إليهما ، فلما قطعوا به بعض الطريق أرادا تكميل الأجر له على قدْر

---

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٠ .

(2) دارُ العِلْم . راجع عنها ابن ميسر : أخبار مصر ٩٥ هـ ٢٣٧ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٥ و ٤٥٨ – ٤٦٠ ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٢٢٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ٢٨٢ .

عقوهما فقالا للحمَّالين : هو رجلٌ تربيته عندنا فنادوا عليه نداء الرجال واكتموا الحال وهذه أربعة دنانير لكم فسُرَّ الحمالون بذلك ، فلما عادوا إلى صاحب الدكان عرَّفوه بما جَرَى وقاسموه الدنانير ، فخَافَت نفسه وعلم إنها قضية لاتخفى ، فمضى بهم إلى الوالى وشرح له القضية فأودعهم فى الاعتقال وأخذ الذهب منهم وكَتَب مطالعةً بالحال ، فمن أول ماسمع القائد أبو عبد الله بن فاتك ، الذى قيل له بعد ذلك المأمون ، بالقضية ، وكان مدَبِّر الأمور فى الأيام الأفضلية ، قال هو بركات المطلوب وأمر بإحضار الأستاذين والكشف عن القضية وإحضار الحمَّالين والكشف عن القبر بحضورهم ، فإذا تحقَّقوه أمرهم بَلعْنه فمَنْ أجاب إلى ذلك منهم أطلقوه ومن أبى أحضروه فحققوا معرفته ، فمنهم من بَصَقَ فى وَجْهه وتبرأ منه ، ومنهم من هَمَّ بتقبيله ولم يتبرأ منه ، فجَلَس الأفضل واستدعى الوالى والسياف واستدعى من كان تحت الحَوْطَة من أصحابه فكلُّ من تبرأ منه ولَعَنَه أطلق سبيله ، وبقى من الجماعة ممن لم يتبرأ منه خمسة نفر وصبى لم يبْلُغ الحُلُم فأمر بضرب رقابهم ، وطَلَب الأستاذين فلم يقدر عليهما وقال للصبى من لفظه تبرأ منه وأُنْعِم عليك وأُطلق سبيلك فقال له : الله يطالبك إن لم تلحقنى بهم فإنى مشاهد ماهم فيه وأخذ بسيفه على الأفضل ، فأمر بضرب عنقه .

فلما توفى الأفضل أمر الخليفة الآمر بأحكام الله وزيره المأمون بن البطائحى باتخاذ دار العلم وفتحها على الأوضاع الشرعية ، ثم عاد حميد القصَّار المُثَنَّى بذكره وظَهَر وسَكَن مصر يدقّ الثياب بها ويطّلع إلى دار العلم ، وأفْسَد عقل أستاذٍ وخيَّاط وجماعة وادَّعى الربوبية ، فحضر الداعى ابن عبد الحقيق إلى الوزير المأمون وعرَّفه بأن هذا تعرَّف بطَرَف من علم الكلام على مذهب أبى الحسن الأشْعَرِى ثم انْسَلَخ عن الإسلام وسَلَكَ طريق الحلاَّج فى التمويه فاستهوى من ضَعُفَ عقله وقلَّت بصيرته ، فإن الحَلاَّج فى أول أمره كان يدَّعى أنه داعية المهدى ثم ادَّعى إنه المهدى ثم ادَّعى الإلهية وأن الجِنَّ تخْدُمه وأنه أحيا عدة من الطيور .

وكان هذا القصَّار شيعيُّ الدين وجَرَت له أمورٌ فى الأيام الأفضلية ونُفِىَ دَفْعة واعتقل أخرى ، ثم هَرَب بعد ذلك ثم حَضَرَ وصار يواصل طلوع الجبل واستصحب من استهواه من أصحابه فإذا أبعد قال لبعضهم ، بعد أن يصلى ركعتين ، نطلب شيئاً تأكله أصحابنا فيمضى ولا يلبث دون أن يعود ومعه ماكان أعدَّه مع بعض خاصته الذين يطَّلعون على باطنه ، فكانوا يهابونه ويعظِّمونه حتى إنهم يخافون الإثم فى تأمل صورته فلا ينفكون مطرقين بين يديه . وكان قصيراً دميمَ الخِلْقَة وادَّعى مع ذلك الربوبية .

وكان ممَّن اختصَّ بحميد رجلٌ خيَّاط وخصيٌّ فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع أصحابه ، فهرب الخياط وطُلِبَ فلم يوجد ، ونودى عليه وبُذِلَ لمن يحضر به مالٌ فلم يقدر عليه ، واعْتُقِلَ القصَّار وأصحابه وقُرِّروا فلم يُقِرُّوا بشيء من حاله ، وبعد أيام تماوت فى الحبس ، فلما استؤمر عليه أمر بدَفْنه فلما حُمِلَ ليُدْفن ظهر أنه حيٌّ ، فأعيد إلى الاعتقال وبقى كل مَنْ لم يتبرأ منه مُعْتَقلاً ما خَلَا الخَصِىّ فإنه لم يتبرأ منه وذكر أن القتل لا يصِلُ إليه ، فأُمِرَ بقَطْع لسانه ورُمِىَ قُدَّامه وهو مصرٌّ على مافى نفسه ، فأخرج القصار والخصى ومن لم يتبرأ منه من أصحابه فصُلبوا على الخشب وضُرِبُوا بالنُّشَاب فماتوا لوقتهم ، ثم نودى على الخيَّاط ثانياً فأُحضر وفُعِلَ به مافُعِلَ بأصحابه بعد أن قيل له ها أنت تنظره لم يتبرأ منه وصُلِبَ إلى جانبه .

وذُكِر أن بعض أصحاب هذا القصَّار ، ممن لم يعرف ، أنه كان يشترى الكافور ويرميه بالقرب من خشبته التى هو مصلوب عليها ، فيستقبل رائحته من سَلَكَ تلك الطريق ، ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضَلَّه ، فأمر المأمون أن يُحَطُّوا عن الخشب وأن تُخْلط رِمَمُهم ويُدْفنوا متفرقين حتى لايُعْرف قبر القصَّار من قبورهم . وكان قتلهم فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة .

قال : وكان الشريف عبد الله يُحَدِّث عن صديقٍ له مأمونُ القول إنه أخبره أنه لمَّا شاع خبرُ هذا القصَّار وما ظَهَر منه ، أراد أن يمتحنه فتسبَّب إلى أن خالطه وصار فى جملة أصحابه ومن يعَظِّمه ويطْلَع معه إلى الجبل فأفسد عقله وغيَّر معتقده وأخرجه عن الإسلام ، وإنه لامه على ذلك ورَدَعَهُ فحدَّثه بعجائب منها إنه قال والله مامِنَ الجماعة الذين يطلعون معه إلى الجبل أحدٌ إلاَّ ويسأله ويستدعيه مايريد على سبيل الامتحان فيحضره إليه لوقته ، وأن بيده سكينا لا تَقْطَع إلاَّ بيده وإذا أمسك طائراً وقبضه أحدٌ من الحاضرين يدْفع السكين التى معه له ويقول له اذبحه فلا تمشى فى يده ، فيأخذها هو يذبحه بها ويجرى دمه ، ثم يعود ويمسكه بيده ويسرِّحه فيطير ، ويقول إن الحديد لايعمل فيه ويوسع القول فيما يشاهده منه ويسمعه ، فلما اعتُقِل القصَّار بَقِىَ هذا الرجل مُصِراً على اعتقاده فلما قتل وخرج إليه وشاهده وتحقَّق موته علم أن ماكان فيه سحرٌ وزور وإفك فتصدَّق بجملةٍ من ماله وعاد إلى مذهبه وصحَّ معتقده [1] .

* * *

---

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٩ - ٤٦٠ وقارن ابن ميسر أخبار مصر ٩٥ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٣٦٢ ، المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ٢٧٧ ظ - ٢٧٨ ، ٤١٧ ظ - ٤١٨ و .

قال ابن المأمون فى تاريخه : وفى هذه السنة يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة استُخْدِم ذَخِيرة المُلْك جعفر[١] فى ولاية القاهرة والحِسْبة[٢] بسجلٍ أنشأه ابن الصَّيْرَفى . وجرى من عَسَفِه وظُلْمه ماهو مشهور .

وبنى المسجد الذى مابين الباب الجديد[٣] إلى الجبل الذى هو به معروف[٤] وسُمِّىَ «مسجد لا بالله» بحكم أنه كان يقْبِضُ الناس من الطريق ويعْسِفَهم فيُحَلِّفونه ويقولون له : لا بالله ، فيقيِّدهم ويستعملهم فيه بغير أُجْرة ، ولم يَعْمَل فيه منذ أنشأه إلاَّ صانع مُكْره أو فاعل مقيَّد ، وكتبت عليه هذه الأبيات المشهورة :

بَنَى مسجداً لله مِنْ غيرِ حلِّهِ   وكانَ بحَمْدِ الله غيرَ موفَّقِ
كمُطْعِمَةِ الأيتامِ مِنْ كَدِّ فَرْجِهَا   لَكِ الوَيْلُ لا تَزْنى ولا تَتَصَدَّقِى

وكان قد أبدع فى عذاب الجُناة وأهل الفساد ، وخَرَج عن حكم الكتاب ، فابْتُلِىَ بالأمراض الخارجة عن المعتاد ، ومات بعد ما عجَّل الله له ماقدَّمه ، وتجَنَّب الناسُ تشييعه والصلاة عليه . وذُكر عنه فى حالتى غُسْله وحلوله بقبره ما يعيذ الله كل مسلم من مثله[٥] .

* * *

---

[١] ذخيرة الملك جعفر بن علوان . ذكر المقريزى فى المقفى أن الآمر ولَّاه ولاية القاهرة والحِسْبَة فى سنة ٥١٢ هـ (المقفى – خ . السليمية ٢٩٨) وفى اتعاظ الحنفا أن ذلك كان فى سنة ٥٠٩ هـ ، وفى نهاية الأرب ٢٦ : ٨٢ أنه رتِّب فى ولاية القاهرة والحسبة فى سنة ٥١١ هـ ، وانفرد ابن ميسر فى أخبار مصر ٦٥ بالقول بأنه كان على ولاية القاهرة فى سنة ٤٩٠ هـ (وعنه المقريزى فى الاتعاظ ٣ : ٢١) .

[٢] ذكر القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٣ أنه رأى فى بعض سجلات الفاطميين إضافة الحِسْبَة بمصر والقاهرة إلى صاحبى الشرطة بهما أحياناً ، فتكون إضافة الحسبة إلى والى القاهرة كما جاء فى سجل ذخيرة الملك دليل على أن والى القاهرة كانت تضاف إليه أيضا الحسبة أحياناً .

[٣] الباب الجديد . أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله خارج باب زويلة . وقد عمل هذا الباب ليحدِّد لطوائف الجيش المختلفة الحد الأقصى من أراضى الأطراف الممنوحة لهم .

وكان موقعة بالشارع الأعظم خارج باب زويلة عند رأس حارة المنتجبية (حارة درب الأغاوات الآن) وحارة الهلالية (حارة الدالى حسين الآن) ، فيكون واقعاً بذلك فى عرض شارع المغربلين على رأس شارع الداودية .

(المسبحى : أخبار مصر ٦٠ هـ[١] ، ابن ميسر : أخبار مصر ٢٣٩ ، المقريزى : الخطط ٢ : ١٠٠ و ١١٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٤ هـ[٣] ، على مبارك الخطط التوفيقية ٢ : ١٥٣) .

[٤] يعرف بمسجد الذخيرة وكان يقع بجوار الرميلة تحت القلعة شرقى مدرسة السلطان حسن فى موضع جامع الرفاعى . (سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١ : ٣٠٧ – ٣٠٩) .

[٥] المقريزى : الخطط ٢ : ٤١١ وقارن المقفى (خ السليمية) ٢٩٨ و .

قال ابن المأمون : وجَلَس الأجلّ ، يعنى الوزير المأمون ، فى مجلس الوزارة لتنفيذ الأمور وعرْض المطالعات ، وحضر الكتَّاب ومن جملتهم ابن أبى اللَّيْث ، كاتب الدفتر ، ومعه ماكان أمر به من عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وأوان تفرقتها ، فكان ما اشتمل عليه المُنْفَق فيها لسنة ست عشرة وخمسمائة من الأصناف : أربعة عشر ألفاً وثلاثمائة وخمس قِطَع ، وأن أكثر ما أُنْفِق عن مثل ذلك فى الأيام الأفضلية ، فى طول مدَّتها ، لسنة ثلاث عشرة وخمسمائة : ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة ، يكون الزائد عنها بحكم مارُسِم به فى منفق سنة ست عشرة خمسة آلاف وستمائة وأربعاً وثلاثين قطعة [1] .

ووَصَلَت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر الشهر ، وقد تضاعفت عما كانت عليه فى الأيام الأفضلية لهذا الموسم ، وهى تشتمل على ذهوب وسلف [2] دون العشرين ألف دينار ، وهو عندهم الموسم الكبير ويسمَّى بعيد الحُلَل لأن الحلل فيه تعمُّ الجماعة وفى غيره للأعيان خاصة ، فأحضر الأمير افتخار الدولة ، مقدَّم خزانة الكسوة الخاص ، ليتسلَّم مايَخْتَص بالخليفة وهو :

بَرسْم الموكب بدلة خاص جليلة مذْهَبة ثوبُها موشَّح مجاوم مذايل عدتها باللفافتين إحدى عشرة قطعة السلف عنها مائة وستة وسبعون ديناراً ونصف ، ومن الذهب العالى المغزول ثلاثمائة وسبعة وخمسون مثقالاً ونصف كل مثقال أجرة غزله ثُمْن دينار ، ومن الذهب العراقى ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبة .

تفصيل ذلك : شاشية طميم السلف ديناران ، وسبعون قصبة ذهباً عراقياً ، منديل بعمود ذهب السلف سبعون ، وألفان ومائتان وخمسون قصبة ذهباً عراقياً ، فإن كان الذهب نظير المصرى كان الذى يُرْقَم فيه ثلاثمائة وخمسة وعشرين مثقالاً ، لأن كل مثقال نظير تسع قصبات ذهباً عراقياً .

---

[1] الفرق بين ما أنفق فى زمن الأفضل وزمن المأمون يجب أن يكون خمسة آلاف وخمسمائة وثلاثون قطعة .

[2] هذا المصطلح تكرر كثيراً فى الصفحات التالية ولم أجد أحداً أشار إليه أو استخدمه سوى المقريزى فيما نقله عن ابن المأمون ، وأُحَرْت فى ضَبْطِه ، وهو يذْكر دائماً عوضاً عن الذهب كما لو كان تعريضاً عنه ، لذلك رجحت ضبطه هكذا : سُلَف .

وهذا النص الذى نقله المقريزى عن ابن المأمون واحد من النصوص المهمة فى التعرُّف على الوظائف المختلفة فى الدولة الفاطمية ، ومراتب أقارب الخليفة والوزير وخواصهم ورسومهم وما كان يخرج برسمهم من خزانة الكسوة فى الأعياد والاحتفالات المختلفة . فقد نصَّ فيه ابن المأمون على أسماء الوظائف المختلفة ومن تولاها فى زمن خلافة الآمر ووزارة والده المأمون البطائحى ، وهو مالا نجده فى أى مصدر آخر .

وسط سرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير ، وسبعون قصبة ذهباً عراقياً ، ثوب موشّح مُجَاوم مطرَّف السلف خمسون ديناراً وثلاثمائة وواحد وخمسون مثقالاً ونصف ذهباً عالياً أجرة كل مثقال ثُمْن دينار ، تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلاثمائة وأربعة وتسعين ديناراً ونصفاً ، ثوب دبيقى حريرى وسطانى السلف إثنا عشر ديناراً ، غلالة دبيقى حريرى السلف عشرون ديناراً ، منديل كم أول مذْهب السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهباً عراقياً ، منديل كم ثان حريرى السلف خمسة دنانير حجرة السلف أربعة دنانير ، عرضى مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهباً عالياً ، عرضى لفافة للتخت دينار واحد .

ونصف بدلة ثانية ، برسم الجلوس على السِّمَاط ، عدتها باللفافتين عشر قطع السلف مائة وأربعة عشر ديناراً ، ومن الذهب العالى خمسة وخمسون مثقالاً ، ومن الذهب العراقى سبعمائة وأربعون قصبة .

تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقياً ، منديل السلف ستون ديناراً وستمائة قصبة ذهباً عراقياً ، شُقَّة وكم السلف ستة عشرة ديناراً وخمسة وخمسون مثقالاً ذهباً عالياً أجرة كل مثْقَال ثُمْن دينار ، شُقَّة دبيقى حريرى وسطانى إثنا عشر ديناراً ، شقة دبيقى غلالة ثمانية دنانير ، منديل الكم الحريرى خمسة دنانير حجرة أربعة دنانير عرضى خمسة دنانير عرضى برسم التخت دينار واحد ونصف . وهذه البدلة لم تكن فيما تقدَّم فى أيام الأفضل لأنه لم يكن ثمَّ سِمَاطٌ يجلس عليه الخليفة ، فإنه كان قد نقل مايُعْمل فى القصور من الأَسْمِطَة والدواوين إلى داره فصار يُعْمَل هناك .

ماهو بَرْسم الأجَلِّ أبى الفضل جعفر ، أخى الخليفة الآمر ، بدلة مذهبة مبلغها تسعون ديناراً ونصف وخمسة وعشرون مثقالاً ذهباً عالياً وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا . تفصيل ذلك : منديل السلف خمسون ديناراً وأربعمائة وسبعون قصبة ذهباً عراقياً ، شُقَّة دبيقى حريرى وسطانى السلف عشرة دنانير ، شُقَّة غلالة دبيقى السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلث عرضى دبيقى ثلاثة دنانير .

الجهة العالية بالدار الجديدة التى يقوم بخدمتها جوهر : حلة مذهبة موضح مُجَاوم مذايل مطرف

عدتها خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلاثمائة وثلاثون قصبة ، تفصيل ذلك : مذَهَّب مكَلَّف موضَّح مُجَاوَم السلف خمسة عشر ديناراً وستمائة وستون قصبة سداسى مذهب السلف ثمانية عشر ديناراً ومائتا قصبة ، معجر أول مذهب موشَّح مجاوم مطرف السلف خمسون ديناراً وألف وتسعمائة قصبة ، معجر ثان حريرى السلف خمس وثلاثون ديناراً ونصف ، رداء حريرى أول السلف عشرة دنانير ونصف ، رداء حريرى ثان السلف تسعة دنانير ، درَّاعة موشَّح مجاوم مذايل مذهبة السلف خمسة وتسعون ديناراً ، ومن الذهب العراقى ألفان وستمائة وخمس وخمسون قصبة ، شقة دبيقى حريرى وسطانى السلف عشرون ديناراً ونصف ، شُقَّة دبيقى بغير رَقْم برَسْم عجز التفصيل ثلاثة دنانير ، ملاءة دبيقى السلف أربعة وعشرون ديناراً ، وستمائة قصبة منديل كم أول السلف ستة دنانير ، ومائة وستون قصبة منديل كم ثان السلف خمسة دنانير ، ومائة وستون قصبة ، منديل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عَرَضى دبيقى ثلاثة دنانير . جهة مكنون القاضى مثل ذلك على الشرح والعدة . جهة مرشد حلَّة مذهبة عدتها أربع عشرة قطعة السلف مائة واحد وأربعون ديناراً ، ومن الذهب العراقى ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبة . جهة عنبر مثل ذلك . السيدة جهة ظل مثل ذلك . جهة منجب مثل ذلك . الأمير أبو القاسم عبد الصمد بدلة مذهبة . الأمير داود مثله . السيدة العمة حلة مذهبة . السيدة العابدة العمة مثل ذلك .

الموالى الجلساء من بنى الأعمام وهم : أبو الميمون عبد المجيد ، والأمير أبو اليسر ابن الأمير محسن ، والأمير أبو على ابن الأمير جعفر ، والأمير حيدرة ابن الأمير عبد المجيد ، والأمير موسى ابن الأمير عبد الله ، والأمير أبو عبد الله ابن الأمير داود لكل منهم بدلة مذْهَبة .

البنون والبنات من بنى الأعمام ، غير الجلساء ، لكل منهم بدلة حريرى ، ست سيدات لكل منهن حلة حريرى . جهة المولى أبى الفضل جعفر التى يقوم بخدمتها ريحان حلَّة مذْهبة ، جهة المولى عبد الصمد حلة حريرى .

مايختص بالدار الجيوشية والمظفرية [1] فعلى ما كان بأسمائهم المستخدمة لخزانة الكسوة

---

[1] الدار المُظَفَّرِيَة . كانت بحارة برْجوان أنشأها أمير الجيوش بدر الجمالى ، وبعد وفاته وانتقال ابنه الأفضل شاهنشاه إلى دار القباب ، أقام أخوه أبو محمد جعفر المعروف بالمظفر فيها فعرفت به . وصارت من بعده دار=

الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهبة ، ست خزان لكل منهن حلة حريرى ، عشر وقافات لكل منهن كذلك ، المعلمة مقدمة المائدة كذلك ، رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك ، المستخدمات من أرباب الصنائع من القصوريات وممن انضاف إليهن من الأفضليات مائة وسبعون حلة مذهبة وحريرى على التفصيل المتقدم ، المستخدمات عند الجهات العالية ، جهة جوهر عشرون حلة مذهبة وحريرى ، وكذلك المستخدمات عند مكنون الأمراء .

الأستاذون المحنكون : الأمير الثقة ، زمام القصور ، بدلة مذْهبة ، الأمير نسيب الدولة مرشد ، متولى الدفتر ، كذلك ، الأمير خاصة الدولة ريحان ، متولى بيت المال ، كذلك ، الأمير عظيم الدولة وسيفها ، حامل المظلة ، كذلك ، الأمير صارم الدولة صاف ، متولى الستر ، كذلك ، وفىّ الدولة إسعاف ، متولى المائدة ، مثله . الأمير افتخار الدولة جندب بدلة مذْهَبة نظير البدلة المختصة بالأمير الثقة . ولكلٍ من غير هؤلاء المذكورين حلة حريرى أربع قطع ولفافة فوطة ، مختار الدولة ظل بدلة حريرى .

ستة أستاذين فى خزانة الكسوة الخاص عند الأمير افتخار الدولة جندب لكل منهم بدلة مذهبة ، جوهر زمام الدار الجديدة بدلة حريرى ، تاج الملك أمين بيت المال مثله ، مفْلح برسم الخدمة فى المجلس مثله ، مكنون متولى خدمة الجهة العالية مثله ، فنون متولى خدمة التربة مثله ، مرشد الخاصى مثله .

النواب عن الأمير الثقة فى زمام القصور وعدَّتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى خُسْرُوانى ، العَظْمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهما بدلة ، كذلك الصقالبة أرباب المذاب وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى وشقة وفوطة ، نائب الستر مثل ذلك ، الأستاذون برسم خدمة المظلة وعدّتهم خمسة

= ضيافة إلى آخر الدولة الفاطمية . وفى زمن الأيوبيين اعتقل بها بعض أفراد الأسرة الفاطمية إلى أن خربت الدار وتهدَّمت فى زمن الظاهر بيبرس . (المقريزى : الخطط ٢ : ٥٢ واتعاظ الحنفا ٣ : ٣٤٧) .

والمظفر أبو محمد جعفر بن بدر الجمالى استنابه الأفضل على كتابة العلامة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة لما ضعفت يده بالرعشة وصعب عليه إمساك القلم ، ورتّبت له العلامة عنه فى كل شهر خمسمائة دينار مضافاً إلى ما برسمه ، فكان يعلم فى كتب الأجوبة وخروجات الرواتب . (المقريزى : المقفى (مخ السليمية) ٢٩٣ ظ).

لكل منهم منديل سوسى وشقة دمياطى وشقة اسكندرانى وفوطة ، الأستاذون الشدّادون برسم الدواب وعدّتهم ستة كذلك .

ماحمل برسم السيد الأجلّ المأمون ، يعنى الوزير ، بدلة خاصة مذهبة كبيرة موكبية عدتها إحدى عشرة . وما هو برسم جهاته وبرسم أولاده الأجل تاج الرئاسة [١] وتاج الخلافة ، وسعد الملك محمود ، وشرف الخلافة جمال الملك موسى - وهو صاحب التاريخ [٢] - نظير ماكان باسم أولاد الأفضل بن أمير الجيوش وهم : حسن وحسين وأحمد الأجل المؤتمن سلطان الملوك ، يعنى أخا الوزير ، عن تقدمة العساكر وزمّ الأزمة ، وبرسم الجهة المختصة به ، وركن الدولة عز الملوك أبو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجاً عمّا له من حماية خزانة الكسوات وصناديق النفقات .

وما يحمل أيضاً للخزائن المأمونية مما يُنْفق منها على من يُحْسن فى الرأى من الحاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الأجل أبو الحسن بن أبى أسامة ، كاتب الدست الشريف ، بدْلة مذْهبة عدّتها خمس قطع وكم وعرضى . الأمير فخر الخلافة حسام الملك ، متولى حجبية الباب ، بدلة مذهبة ، كذلك القاضى ثقة الملك ابن النائب فى الحكم بدلة مذْهبة عدتها أربع قطع وكم وعرضى . الشيخ الداعى ولى الدولة بن أبى الحقيق بدلة مذهبة . الأمير الشريف أبو على أحمد بن عقيل ، نقيب الأشراف ، بدلة حريرى ثلاث قطع وفوطة . الشريف أنس الدولة ، متولى ديوان الإنشاء ، بدلة كذلك . ديوان المكاتبات الشيخ أبو الرضى ابن الشيخ الأجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم . أبو المكارم هبة الله أخوه بدلة مذهبة ثلاث قطع وفوطة . أبو محمد حسن أخوهما كذلك ، أخوهم أبو الفتح بدلة حريرى قطعتان وفوطة . الشيخ أبو الفضل يحيى بن سعيد الندمى ، منشىء مايصدر عن / ديوان المكاتبات ومحرر ما يؤمر به من المهمات ، بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ومزنر . أبو سعيد الكاتب بدلة حريرى ، أبو الفضل الكاتب كذلك . الحاج موسى المعين فى الإلصاق كذلك .

وأما الكتّاب بديوان الإنشاء فلم يتّفق وجود الحساب الذى فيه أسماؤهم فيذكروا ، ومن القياس أن يكونوا قريباً من ذلك .

---

(١) توفى تاج الرئاسة ابن المأمون مقتولاً فى سنة ٥٤٤ (ابن ميسر : أخبار مصر ١٤٤) (٢) أى مؤلف هذا الكتاب .

الشيخ ولى الدولة أبو البركات ، متولى ديوان المجلس والخاص ، بدلة مذهبة عدتها خمس قِطَع وكم وعرضى ولامرأته حلة مذهبة . الشيخ أبو الفضائل هبة الله بن أبى الليث ، متولى الدفتر وما جمع إليه ، بدلة . أبو المجد ولده بدلة حريرى . عَدِىّ الملك أبو البركات ، متولى دار الضيافة ، بدلة مذهبة وبعده الضيوف الواردون إلى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة ومنهم من له بدلة حريرى ، وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم .

مقدمو الركاب : عفيف الدولة مقبل بدلة مذهبة ، القائد موفق ، والقائد تميم مثل ذلك ، أربعة من المقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى . الروَّاض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريرى . الخاص من الفرَّاشين وهم اثنان وعشرون رجلاً ، منهم أربعة مميزون ، لكل منهم بدلة مذهبة ، وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى . الأطباء الشديد أبو الحسن على بن أبى الشديد بدلة حريرى ، أبو الفضل النسطورى بدلة حريرى ، وكذلك الفئة المستخدمون برسم الحمَّام وهم ثمانية متقدمهم بدلة مذْهبة ، وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى . والى القاهرة ووالى مصر لكل منهما بدلة مذهبة . المستخدمون فى المواكب . الأمير كوكب الدولة ، حامل الرمح الشريف وراء الموكب والدَّرَقة المعزية بدلة حريرى . حاملا الرمحين المعزية أيضا أمام الموكب بغير دَرَق لكل منهما منديل وشُقَّة وفوطة ، وهؤلاء الثلاثة رِمَاح ماهى عربية بل هى خشوت قدم بها المعز من المغرب . حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهما بدلة . متولى بغل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريرى . متولى حمل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان الخاص برسم حمل العشرة رماح العربية المغشاة بالديباج وراء الموكب لكل منهم منديل وشقة وفوطة . حامل السبع وراء الموكب بدلة حريرى . المقدمون من صبيان الخاص ، وهم عشرون ، لكل منهم بدلة . عرفاء الفراشين الذين ينحطون عن فراشى الخاص وفراشى المجلس وفراشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريرى . الفراشون فى خزائن الكسوات المستخدمون بالإيوان ، وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدى الخليفة ليلة الموسم فإنها لاتُشَدّ إلاَّ بين يديه ويبدأ هو باللف عليها بيده على سبيل البركة ويُكْمل المستخدمون بقية شدّها ، وما سوى ذلك من القُضُب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل سوسى وشُقَّتان اسكندرانى . المستخدمون برسم حَمْل القُضُب الفضة ولواءى الوزارة أربعة عشر كذلك . مشارف خزانة الطيب ، وكانت من الخِدَم الجليلة وكان بها أعلام الجوهر التى يركب بها

الخليفة فى الأعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد إليها عند الغِنَى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية . مشارف خزائن السروج بدلة حريرى ، مشارف خزائن الفرش ، وكاتب بيت المال ، ومشارف خزائن الشراب ، ومشارف خزائن الكتب كل منهم بدلة حريرى ، بركات الأدمى والمستخدمون بالدولة بالباب ، وسنان الدولة بن الكركندى عن زم الرَّهَجيَّة والمبيت على أبواب القصور ، وكانت من الخدم الجليلة ، والصبيان الحجرية المشدُّون بلواء الموكب بعد المقرّبين وعدتهم عشرون لكل منهم الكسوة فى الشتاء والعيدين وغيرهما . وعدة الذين يقبضون الكسوة فى العيدين من الفرّاشين أكثر من صبيان الركاب وذلك أنهم يتولون الأسمطة ويقفون فى تقدمتها ، وينفرد عنهم المستخدمون فى الركاب بما لهم من المُتحَصَّل فى المخلفات فى العيدين ، وهو مامبلغه ستة آلاف دينار ما لأحد معهم فيها نصيب .

وكان يكتب فى كل كِسْوة هى برسم وجوه الدولة رُقْعة من ديوان الإنشاء ، فمما كتب به من إنشاء ابن الصَّيْرفى مقترنة بكِسْوَة عيد الفطر من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة :

> ولم يَزَل أمير المؤمنين منعماً بالرغائب ، مولِّياً إحسانه كل حاضر من أوليائه وغائب ، مجْزِلاً حظهم من منائحه ومواهبه ، موصلاً إليهم من الحَبَاء مايَقْصُر شكرهم عن حقه وواجبه . وإنك أيها الأمير لأولاهم من ذلك بجسيمه ، وأحراهم باستنشاق نسيمه ، وأخلقهم بالجزء الأوفى منه عند فَضّه وتقسيمه ، إذْ كنت فى سماء المسابقة بدراً ، وفى جرائد المناصحة صدراً ، وممَّن أخلص فى الطاعة سراً وجهراً ، وحظى فى خدمة أمير المؤمنين بما عطَّر له وصفاً وسيَّر له ذكراً . ولمَّا أقبل هذا العيد السعيد ، والعادة فيه أن يُحْسن الناس هيأتهم ، ويأخذوا عند كل مسجدٍ زينتهم . ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أوليائه وخَدَمه فيه ، وفى المواسم التى تجاريه ، بكُسْوات على حَسْب منازلهم ، تجْمَعُ بين الشرف والجمال ، ولا يبقى بعدها مطمحٌ للآمال ، وكنت من أخَصِّ الأمراء المقدَّمين .

قال : ووصلت الكسوة المختصة بغُرَّة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة ، للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة ، وبرسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى من الشهر بدلة موكبية حريرى مكملة منديلها وطيلسانها بياض ، وبرسم الجامع الأنور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها

شعرى [١] . وماهو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة ويرسم له مع جهات الخليفة أربع حُلَل مذهبات ، وبرسم الوزير للغرة بدلة مذهبة مكملة موكبية ، وبرسم الجمعتين بدلتان حريرى . ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شىء فيذكر .

ووَصَلَت الكسوة المختصة بفَتْح الخليج وهى برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان إحداهما منديلها وطليسانها طميم برسم المضى ، والأخرى جميعها حريرى برسم العود . وكذلك مايختص بإخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حُلَل مذهبة . وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تخت . وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة . وبرسم جهته حلة مذْهَبة فى تخت ، وبقية مايخص المستخدمين وابن أبى الردَّاد فى تخوت كل تخت عدَّة بدلات .

وحضَرَ متولى الدفتر واستأذن على مايحمل برسم الخليفة وما يفرِّق ويفصِّل برسم الخِلَع ، وما يخرج من حاصل الخزائن عن الواصل وهو مايفصل برسم الخاص من الغِلْمان برسم سبعمائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى ، وبرسم رؤساء العُشَارِيَّات من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الحمر ، وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الإسكندرانى والكَلْوتَات . وقد تقدَّم تفصيل الكسوات جميعها وعددها وأسماء المستمرين لقبضها [٢] .

* * *

قال ابن المأمون فى سنة ست عشرة وخمسمائة : وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخِيَم وأن يُضْرَب الثوب الكبير الأفضلى المعروف بالقَاتُول[٣] ، وهو أعْظَم مافى الحاصل ، بأربعة دهاليز / وأربع قاعات خارجاً عن القاعة الكبيرة ، ومساحته على ماذكر ألف ألف ذراع وأربعمائة

---

(١) انظر فيما يلى ص ٨١ — ٨٢ .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٤١٠ — ٤١٣ .

(٣) القاتول وتعرف بخيمة الفرح (الفرج) . راجع عنها ، ابن ميسر : أخبار مصر ٨٥ — ٨٦ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ٢٣٩ — ٢٤٠ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٨٤ — ٨٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ٢ : ١٣٨ ، ٥١٤ — ٥١٥ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤١٩ و ٤٢٠ واتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨٧ و ٣ : ٧٢ — ٧٣ . وانظر فيما يلى ص ٢٠٢ — ١٠٣ .

ذراع بالذراع الكبير خارجاً عن سرادقه ، وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعاً خمسون ذارعاً . ولما كمل استعماله فى أيام الأفضل ونُصِب تأذَّى منه جماعة ومات رجلان فسمى بالقاتول لأجل ذلك . ومازال لايُضْرب إلاَّ بحضور المهندسين ، وتُنْصب له أساقيل عدة بأخشاب كثيرة ، والمستخدمون يكرهون ضربه ويرغبون فى ضرب أحد الثوبين الجيوشيين وإن كانا عظيمين إلاَّ أنهما لايصلان بجملتهما إلى مقايسته ولا مؤنته ولا صَنْعَته . وأقام هذا الثوب فى الاستعمال عدَّة سنين مع جَمْع الصنَّاع عليه وما يُضْرب منه سوى القاعة الكبيرة لاغير وأربعة الدهاليز وبعض السرادق الذى هو سور عليه لضيق المكان الذى يُضْرب فيه وكونه لايَسَعَه بجملته [1] .

* * *

قال ابن المأمون ، فى تاريخه من حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة : ولما سَكَنَ المأمون الأجَلُّ دار الذهب [2] وما معها ، يعنى فى أيام النيل للنُزْهة عند سكن الخليفة الآمر بأحكام الله بقصر اللؤلؤة [3] المطلّ على الخليج ، رأى قُبَالَة باب الخوخة مَحْرَساً فاستدعى وكيله وأمره بأن يزيل المَحْرَس المذكور ويَبْنى موضعه مسجداً ، وكان الصنَّاع يعملون فيه ليلاً ونهاراً حتى إنه تفطَّر بعد ذلك واحتيج إلى تجديده [4] .

* * *

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٠ — ٤٧١ .

[2] دارُ الذَّهَب . تقع خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة ، بناها الأفضل بن بدر الجمالى . وكانت منظرة اللؤلؤة فيما بين باب القنطرة وباب الخوخة ويجاورها من حيِّز باب الخوخة دار الفلك ويلاصقها دار الذهب هذه . (المقريزى : الخطط ٢ : ٦٣ — ٦٤ وانظر فيما يلى ص ٧٥ و ٩٨ و ٩٩) .

[3] قصر اللؤلؤة (ويقال له أيضاً منظرة اللؤلؤة) . بناه العزيز بالله ، ولما ولى برْجَوان وزارة الحاكم بأمر الله سكَن منظرة اللؤلؤة إلى أن قتل سنة اثنتين وأربعمائة ، فأمر الحاكم بأمر الله بهدمها . ثم جدَّدها الظاهر لإعزاز دين الله ، ودام أمر القصر إلى أن وقع الغلاء فى زمن المستنصر فأهمل القصر . ثم لما وقَع الاهتمام بسكنها مدَّة النيل فى زمن الآمر بأحكام الله عمِّرت وجدِّدت وأعِدَّت لاستقبال الخليفة . وكان يتوصل إليها من باب مراد — أحد أبواب القصر الصغير الغربى — المشرف على البستان الكافورى وكان لايفتح إلاَّ للخليفة خاصة .

وكان موضع القصر بالقرب من باب القنطرة ، يشرف من شرقيه على البستان الكافورى ويطل من غربيه على الخليج . (المقريزى : الخطط ١ : ٣٦٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٦ و ٢٥٤ — ٢٥٥ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ٣ : ٧٠) .

وموضعها اليوم مدرسة الفرير بالخرنفش المطلَّة على شارع بورسعيد . وانظر فيما يلى ص ٩٨ — ١٠٠ وأعلاه ص ٣٨ .

[4] المقريزى : الخطط ٢ : ٤١٢ .

وقال ابن المأمون ، فى حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة : ولما وَقَع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام بها مدة النيل على الحكم الأول ، يعنى قبل أيام أمير الجيوش بدر وابنه الأفضل وإزالة مالم تكن العادة جارية عليه من مضايقة اللؤلؤة بالبناء وأنها صارت حارات تُعْرف بالفَرْحية [١] والسودان وغيرهما ، أُمَر حسام الملك ، متولى بابه ، بإحضار عُرَفَاء الفرحية والإنكار عليهم فى تجاسرهم على ما استجدُّوه وأقْدَموا عليه ، فاعتذروا بكَثْرة الرجال وضيق الأمْكنة عليهم فبنوا لهم قباباً يسيرة فتقدَّم ، يعنى أمر الوزير المأمون ، إلى متولى الباب بالإنعام عليهم وعلى جميع من بَنَى فى هذه الحارة بثلاثة آلاف درهم وأن يُقَسَّم بينهم بالسوية ويأْمُرهم بنقل قِسَمِهم وأن يبنوا لهم حارة قُبَالة بستان الوزير [٢] ، يعنى / أبن المغربى ، خارج الباب الجديد من الشارع خارج باب زويلة .

قال : وتحوَّل الخليفة إلى اللؤلؤة بحاشيته وأُطْلقت التوسعة فى كل يوم لما يخص الخاص والجهات والأستاذين من جميع الأصناف وانضاف إليها ما يُطْلَق كل ليلة عيناً وورقاً وأطعمه للبائتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر فى طول الليل من باب قَنْطَرَة بَهَادِر إلى مسجد الليمونة من البرّين من صبيان الخاص والركاب والرَّهَجيَّة والسودان والحُجَّاب ، كل طائفة بنقيبها ، والعرض من متولى الباب واقع بالعدة فى طرفى كل ليلة ، ولا يَمكِّن بعضهم بعضاً من المنام ، والرَّهجِيَّة تَخْدم على الدوام [٣] .

---

(١) الفَرْحية . طائفة من جملة عبيد الشراء كانت تسكن بحارة الفرحية . نسبة لهم . (المقريزى : الخطط ٢ : ١٤) .

(٢) حدَّد المقريزى بساتين الوزير التى عرفت بالوزير أبى الفرج محمد بن جعفر بن المغربى بأنها فى الجهة القبلية من بركة الحَبَش . (المقريزى : الخطط ٢ : ١٥٧) وهذا التحديد لايتفق مع التحديد المذكور فى هذا النص .

(٣) المقريزى : الخطط ٢ : ٢٤ - ٢٥ وقارن اتعاظ الحنفا ٣ : ٨١ .

سنة سبع عشرة وخمسمائة

قال ابن المأمون : وأسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسمائة [١] ، وبادر المستخْدِمُون فى الخزائن وصناديق الإنفاق بحمل مايحضر بين يدَىّ الخليفة من عَيْن وورق من ضَرْب السنة المستجدة [٢] ورسم جميع من يختص به من إخوته وجهاته وقرابته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الأستاذين العوالى والأدوان ، وثَنُّوا بحمْل مايختص بالأجل المأمون وأولاده وإخوته واستأذنوا على تفرقة مايختص بالأجل المأمون وأولاده والأصحاب والحواشي والأمراء والضيوف والأجناد فأُمروا بتفرقته ، والذى اشتمل عليه المبلغ فى هذه السنة نظير ماكان قبلها .

وجلس المأمون باكراً على السماط بداره وفُرِّقت الرسوم على أرباب الخِدَم والمميزين من جميع أصنافه على ماتضمَّنته الأوراق وحضرت التعاشير والتشريفات وزىّ الموكب إلى الدار المأمونية وتسلَّم كل من المستخدمين المدارج بأسماء من شَرُفَ بالحجبة ومصفات العساكر وترتيب الأسمطة وأصمد كل منهم إلى شغله وتوجه لخدمته ، ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون ، ثم خرج من باب الذهب وقد نُشِرَت مظلَّته وخَدَمَت الرَّهَجيَّة ، ورتِّب الموكب والجنائب ومصفات العساكر عن يمينه وشماله وجميع تجَّار البلدين من الجوهريين والصَّيَارف والصَّاغَة والبزَّازين وغيرهم قد زَيَّنُوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة ، وخَرَج من باب الفتوح ، والعساكر فارسها وراجلها بتجمُّلها وزيِّها وأبواب حارات العبيد معلَّقة بالستور ، ودَخَل من باب النصر والصدقات تعمُّ المساكين والرسوم تفَرَّق على المستقرين ، إلى أن دَخَل من باب الذهب فلقيه المقرئون بالقرآن الكريم فى طول الدهاليز ، إلى أن دخل خزانة الكِسْوَة الخاص وغيرَّ ثياب الموكب بغيرها ، وتوجَّه إلى تربة أبائه للترحيم على عادته ، وبعد ذلك إلى مارآه من قصوره على سبيل الراحة . وعبيت الأسمطة وجرى الحال فيها

---

[١] يعرف هذا الاحتفال « بركوب أول العام » وهو من أهم الاحتفالات التى استنَّها الفاطميون وعنوا بها . (راجع فى تعريفه وكيفيته وصفته ، القلقشندى : صبح الأعشى : ٣ : ٤٩٩ - ٥٠٥ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٦ - ٤٥٠ و ٤٩٠ ، أبا المحاسن النجوم الزاهرة ٤ : ٧٩ - ٩٤ ، ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ٢ : ٩٤ - ٩٥ ، Canard, M., «La Procession du Nouvel an chez les Fatimides», AIEO, Alger X (1952), pp.364-398) .

[٢] يقصد دنانير الغرة التى تضرب بدار الضرب خصيصا لهذه المناسبة . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٥ و ٤٩٠) .

وفى جلوس الخليفة ومن جَرَت عادته وتهيئة قصور الخلافة وتفْرِقة الرسوم على ماهو مستقر .

وتوجَّه الأجلُّ المأمون إلى داره فوجد الحال فى الأسْمِطَة على ماجرت به العادة ، والتوسعة فيها أكثر مما تقدَّمها ، وكذلك الهناء فى صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور . وحضر من جَرَت العادة بحضوره للهناء ، وبعدهم الشعراء على طبقاتهم ، وعادت الأمور فى أيام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود ، وأُحْضَر كل من المستخدمين فى الدواوين ما يتعلَّق بديوانه من التَّذَاكر [(١)] والمُطَالَعات مما تحتاج إليه الدولة فى طول السنة ويُنْعَم به ويُتَصَدَّق ، ويُحْمل إلى الحرمين الشريفين من كل صنف على مافُصِّلَ فى التذاكر على يد المندوبين ، ويحمل إلى الثغور ويخَزَّن من سائر الأصناف مايستعمل ويباع فى الثغور والبلاد والاستيمار[(٢)] وجريدة الأبواب وتَذْكرة الطِّرَاز والتوقيع عليها [(٣)] .

* * *

قال [ابن المأمون] : وفى ليلة عاشوراء [(٤)] ، من سنة سبع عشرة وخمسمائة ، اعتمد الأجل الوزير المأمون على السُّنَّة الأفضلية من المضى فيها إلى التربة الجيوشية [(٥)] وحضور جميع المتصدِّرين والوعَّاظ وقرَّاء القرآن إلى آخر الليل ، وعَوْده إلى داره . واعتمد فى صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك ، وجلس الخليفة على الأرض متلثِّماً يُرَى به الحزن ، وحَضَر من شرُف بالسلام عليه والجلوس على السِّمَاط بما جرت به العادة [(٦)] .

* * *

---

(١) التذكرة جـ . تذاكر . جرَت العادة أن تُضَمَّن جمل الأموال التى يسافر بها الرسول ليعود إليها إن أغفل شيئاً منها أو نسيه ، أو تكون حجَّة فيما يورده ويصدره .
(القلقشندى : صبح ١ : ١٣٣ – ١٣٦ و١٣ : ٧٩) .

(٢) الاستيمار . هو السجل الحكومى الذى يشتمل على أرزاق ذوى الأقلام وغيرهم ، مياومة ومشاهرة ومسانهة من الرواتب ويثبت فيه جميع مايشتمل عليه مصروف السنة من عَيْن ووَرِق وغلَّة وغيرها مفصلاً بالأسماء ويعرض على الخليفة ويوقع بظاهره بما يراه فيه . (المقريزى : السلوك ٢/ : ٧٣٨ هـ[٢] و ١/٣ : ٨٥٠ والخطط ١ : ٣٩٨ واتعاظ الحنفا ٢ : ١١٢ و ٣ : ٣٤٣ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٢٩١ وانظر فيما يلى ص ٧٠ و ٩٠ .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٥ – ٤٤٦ .

(٤) انظر أعلاه ص ٣٥ .

(٥) يقصد تربة أمير الجيوش بدر الجمالى خارج باب النصر (انظر أعلاه ص ١٦) .

(٦) المقريزى : الخطط ١ : ٤٣١ .

قال [ابن المأمون] : وخَرَج الأمر ، يعنى فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ، بإطلاق ما يخصُّ المولد الآمرى[1] بَرسْم المَشَاهد الشريفة من سكر وعسل وسيرج ودقيق ، وما يُصْنَع مما يفرَّق على المساكين بالجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق ، وما يُعْمَل بدار الفِطْرة ويُحْمَل للأعيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خُشْكَنَانَج ، وحضر القاضى والداعى والمستخدمون بدار العيد والشهود فى عشية اليوم المذكور ، وقُطِعَ سلوك الطريق بين القصرين . وجَلَس الخليفة فى المَنْظَرة وقَبَّلوا الأرض بين يديه والمقرئون الخاص جميعهم يقرؤن القرآن ، وتقدَّم الخطيب وخَطَب خطبة وسّع القول فيها وذكر الخليفة والوزير ، ثم حَضَر من أنشد وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه ، ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال النجَاوَى خاصة مما يفرق على الحُكْم المتقدم ذكره [2] .

* * *

قال ابن المأمون : وفى هذا الشهر ، يعنى المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وصلت رُسُل ظهير الدين طغدكين ، صاحب دمشق ، وآقْ سُنْقُر ، صاحب حلب ، بكتب إلى الخليفة الآمر بأحكام الله وإلى الوزير المأمون إلى القصر ، فاستُدْعوا لتقبيل الأرض كما جَرَت العادة من إظهار التجمل . وكان مضمون الكتب ، بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة ، أن الأخبار تظافرت بقلَّة الفرنج بالأعمال الفلسطينيه والثغور الساحلية ، وأن الفرصة قد أمْكَنت فيهم والله قد أذن بهلاكهم ، وأنهم ينتظرون إنعام الدولة العلوية وعوايد أفضالها ويستنصرون بقوتها ، ويحُثُّون على نُصْرة الإسلام وقَطْع دابر الكُفْر ، وتجهيز العساكر المنصورة والأساطيل المظَفَّرة ، والمساعدة على التوجه نحوهم لئلا يَتَواصل مدَدُهم وتعود إلى القوة شوكتهم ، فقوى العزم على النفقة فى العساكر فارسها وراجلها وتجريدها ، وتقدَّم إلى الأزِمَّة بإحضار الرجال الأقوياء ، وابتدئ بالنفقة فى الفرسان بين يدى الخليفة فى قاعة الذهب ، وأحضر الوزَّانون وصناديق المال وأفرغت الأكياس على البساط ، واستمر الحال بعد ذلك فى الدار المأمونية ، وتردَّد الرأى فيمن يتقدَّم فوقع الاتفاق على حسام الملك البرنى وأحضر مقَدَّم

---

[1] انظر أعلاه ص ٣٥ .

[2] المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٢ .

الأساطيل الثانية ، لأن الأساطيل توجَّهَت فى الغزو ، وخُلِعَ عليه وأُمِر بأن ينزل إلى الصناعتين بمصر والجزيرة ، ويُنْفق فى أربعين شينياً ويُكْمل نفقاتها وعُدَدِها ويكون التوجه بها صُحْبَة العسكرْ وأنفق فى عشرين من الأمراء للتوجه صحبته ، فكَمُلَت النفقة فى الفارس والراجل وفى الأمراء السائرين وفى الأطباء والمؤذنين والقرَّاء ، ونَدَب من الحجَّاب عدَّة وجعل لكل منهم خدمة ، فمنهم من يتولى خزانة الخيام وسير معه من حاصل الخزائن برَسْم ضعفاء العسكر ومن لايقدر على خيمة خيم ، ومنهم حاجب على خزائن السلاح وأنفق فى عدَّة من كتَّاب ديوان الجيش لعَرْض العساكر وفى كتاب العربان ، وأحضر مقدموا الجراسين بالخِفَار وتقدَّم إليها بأنه من تأخَّر عن العَرْض بعسقلان وقَبَضَ النفقة فلا واجب له ولا إقطاع ، وكتبت الكتب إلى المستخدمين بالثغور الثلاثة : الإسكندرية ودِمْيَاط وعَسْقَلاَن بإطلاق وابتياع مايستدعى برسم الأسمطة على ثَغْر عسقلان للعساكر والعربان من الأصناف والغِلَال ، ووَقَع الاهتمام بنجاز أمر الرسل الواصلين ، وكتبت الأجوبة عن كتبهم ، وجُهِّز المال والخِلَع المذْهَبات والأطواق والسيوف والمَنَاطق الذهب والخيل بالمراكب الحلى الثقال وغير ذلك من التجمُّلات ، وخُلِعَ على الرسل وأطلق لهم التغيير وسُلِّمت إليهم الكتب والتذاكر وتوجَّهوا صُحْبَة العسكر .

وركب الخليفة الآمر بأحكام الله إلى باب الفتوح ونَظَر بالمَنْظرة [1] ، واستدعى حسام الملك وخَلَع عليه بدلة جليلة مذْهبة ، وطوَّقَه بطوْقٍ ذهب ، وقلَّده ومنْطَقَه بمثل ذلك ، ثم قال الوزير المأمون للأمراء ، بحيث يسمع الخليفة : هذا الأمير مقدَّمكم ومقدَّم العساكر كلها وما وَعَدَ به أنجزته ، وما قرَّره أمضيته ، فقَبَّلوا الأرض وخَرَجُوا من بين يديه ، وسَلَّم متولى بيت المال وخزائن الكسوة لحسام الملك الكتب بما ضُمِّنته الصناديق من المال وأعدال الكسوات وحملت قدَّامه وفُتِحَت طاقات المنظرة ، فلما شاهد العساكر الخليفة قبَّلوا الأرض ، فأشار إليهم بالتوجُّه فساروا

---

[1] منظرة باب الفتوح . كانت خارج الباب وهو يومئذ براح فيما بين الباب وبين البساتين الجيوشية . وكانت هذه المنظرة معدَّة لجلوس الخليفة فيها عند عرض العساكر ووداعها إذا سارت فى البر إلى البلاد الشامية . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٨١) .

والبساتين الجيوشية بستانان كبيران أحدهما عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح (شارع الطشطوشى الآن) إلى المطرية ، والثانى خارج باب القنطرة إلى الخندق (منطقة الدمرادش الآن خلف شارع رمسيس) .

(المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٧ ، على مبارك : الخطط الوفيقية ٢ : ٦٦) .

بأجمعهم وركب الخليفة وتوجَّه إلى الجامع بالمَقْس [١] وجَلَسَ بالمنظرة واستدعى مقدَّم الأسطول وخَلَع عليه وانحدرت الأساطيل مشحونة بالرجال والعُدَّة [٢] .

* * *

قال [ابن المأمون] : واستهل ربيع الأول ونبدأ بما شَرُف به الشهر المذكور ، وهو ذِكْر مولد سيد الأوَّلين والآخرين محمد ﷺ [٣] لثلاث عشرة منه ، وأُطلِق ماهو برَسْم الصدقات من مال النجاوى خاصة ستة آلاف درهم ، ومن الأصناف من دار الفِطْرَة أربعون صينيه فِطْرة ، ومن الخزائن برسم المتولين والسَّدَنَة للمَشَاهِد الشريفة [٤] ، التى بين الجبل والقرافة التى فيها أعضاء آل رسول الله ﷺ ، سكر ولوز وعسل وسيرج لكل مشهد . وما يتولى تفرقته سناء الملك ابن مُيَسَّر أربعمائة رطل حلاوة وألف رطل خبز .

قال : وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبْطَل أمر الموالد الأربعة النبوى والعلوى والفاطمى والإمام الحاضر ومايهتم به وقَدُم العهد به حتى نُسِيَ / ذكرها ، فأخذ الأستاذون يجدِّدون ذِكْرها للخليفة الآمر بأحكام الله ، ويردِّدون الحديث معه فيها ويحَسِّنون له معارضة الوزير بسببها وإعادتها وإقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب إلى ذلك وعمل ماذكر [٥] .

* * *

---

(١) هذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطىء النيل بالمَقْس (ميدان رمسيس اليوم) . ومايزال هذا الجامع موجوداً إلى اليوم وهو المعروف بجامع أولاد عنان وأدخلت عليه اصلاحات وتعديلات حديثة كثيرة .

(القلقشندى : صبح ٣ : ٣٦١ ، المقريزى : الخطط ٢ : ١٢٣ و ٢٨٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ٣٠٩) .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٤٨١ - ٤٨٢ ، وقارن ابن ميسر : أخبار مصر ٩٤ - ٩٥ والمقريزى : اتعاظ الحنفا ٩٩ - ١٠٠ وما ذكر من مراجع فى الهامش الثالث ص ٩٩ .

(٣) وهو المعروف عندهم بالجلوس فى المولد النبوى ، فقد كان لخلفاء الفاطميين عادة الجلوس فى ستة موالد عددها ابن الطوير وهى : مولد النبى ﷺ ، ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ومولد السيدة فاطمة ، ومولد الحسن ، ومولد الحسين ، ومولد الخليفة الحاضر ويكون جلوسه فى المنظرة التى قبالة دار فخر الدين جهاركس . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٨ - ٤٩٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٣) .

(٤) المشاهد الشريفة هى : مشهد زين العابدين ، ومشهد السيدة نفيسة ، ومشهد السيدة كلثوم . (المقريزى : الخطط ٢ : ٤٣٦ - ٤٤٢) .

وعند ابن ميسر : أخبار مصر ٩١ وابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢١ والمقريزى اتعاظ الحنفا ٣ : ٨١ « أن المأمون أمر فى ربيع الأول سنة ٥١٦ هـ وكيله الشيخ أبا البركات محمد بن عثمان أن يتوجه إلى المساجد السبعة ، التى بين الجبل والقرافة ، وأولها مشهد السيدة زينب وآخرها مشهد السيدة كلثوم ويجدد عمارتها ويصلح ماتهدَّم منها ... » .

(٥) المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٢ - ٤٣٣ .

قال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة : وذُكر الغِطَاس[١] فَفرَّق أهل الدولة ماجَرَت به العادة لأهل الرسوم من الأتْرُجّ والنارنج والليمون فى المراكب ، وأطنان القصب والبورى بحَسَب الرسوم المقرَّرة بالديوان لكل واحد[٢] .

* * *

قال ابن المأمون فى سنة سبع عشرة وخمسمائة : وفى الليلة التى صبيحتها مستهل رجب حَضَر القاضى أبو الحجَّاج يوسف بن أيوب المغربى ووُقعٌ له بما استجد إطلاقه فى العام الماضى وهو خمسون ديناراً من بيت المال لابتياع الشمع برسم أول ليلة من رجب ، واستدعى ماهو برسم التعبيتين ، إحداهما للمقصورة والأخرى للدار المأمونية ، بحكم الصيام من مستهل رجب إلى سلْخ رمضان مما يُصنَع فى دار الفِطْرة خُشْكَنانْج صغير وبَسَنْدود فى كل يوم قنطار سكر ومثقالان مِسْكاً وديناران مؤنة ، وكان يُطْلق فى أربع ليالى الوقود برَسْم الجوامع الستة : الأزهر والأقمر والأنور[٣] بالقاهرة ، والطولونى ، والعتيق بمصر ، وجامع القرافة[٤] ، والمشاهد التى تضمَّنت الأعضاء الشريفة ، وبعض

---

[١] أحد أعياد النصارى ، يعمل بمصر فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة . وكان لليلة الغطاس شأن كبير عند أهل مصر فكان يباح بها اختلاط الرجال بالنساء ونزول الماء وإظهار الملاهى . (راجع ، المسبحى : أخبار مصر ٧٠ - ٧١ ، المسعودى : مروج الذهب ٢ : ٦٩ - ٧٠ ، القلقشندى : صبح ٢ : ٤٢٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٢٦٥ و ٤٩٤ واتعاظ الحنفا ، ٢ : ١٦٣ ، ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ١٣٤ - ١٣٥) .

[٢] المقريزى : الخطط ١ : ٢٦٦ و ٤٩٥ .

[٣] الجامع الأقمر . ذكر ابن ميسر أن المأمون البطائحى عمَّر الجامع الأقمر فى آخر سنة ٥١٥ هـ . (ابن ميسر : أخبار مصر ٩١) .

ولكن الكتابة التاريخية المثبتة على واجهة المسجد تفيد أنه تم بناء فى سنة ٥١٩ هـ ونصها : « [بسملة . ممَّا أمر بعمله ... فتى مولانا وسيدنا الإمام الآمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلى] بالله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليهما وعلى أبائهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين تقرباً إلى الله الملك الجوا[د(؟)] ... امنين وأقام (كذا) اللهم انصر جيوش الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين على كافة المشرك[ين ... السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام وناصر الإمام] كافل قضاة المسلمين وهادى دعات (كذا) المؤمنين أبوعبد الله محمد الآمرى ، عضَّد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين ، وأدام قدرته وأعلى كلمته فى سنة تسع عشرة وخمسمائة .. لإقامة البرهان .. » (Répertoire chronologique d'épigraphie arabe, VIII, p. 146-147) .

وعلى ذلك وبناء على ماذكره ابن المأمون ، تكون الشعائر مقامة بالجامع قبل التمام من بنائه .

[٤] جامع القرافة . وهو موضع قديم كان يعرف عند فتح مصر بالمغافر ، وكان يحضر إليه القراء ، ثم بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله فى سنة ست وستين وثلاثمائة ، على نحو بناء الجامع الأزهر . وكان يعرف فى زمن المقريزى بجامع الأولياء . (المقريزى : الخطط ٢ : ٣١٨ - ٣٢٠) .

المساجد التى لأربابها وَجَاهَة جملة كبيرة من الزيت الطيب ، ويختص بجامع رَاشِدَة [١] وجامع ساحل الغَلَّة [٢] بمصر والجامع بالمَقْس يسير .

قال : ولقد حدَّثنى القاضى المكين بن حَيْدَرة ، وهو من أعيان الشهود ، أن من جملة الخِدَم التى كانت بيده ، مُشَارَفة الجامع العتيق وأن القَوَمَة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة إلى أن يكملوا ثمانية عشر ألف فتيلة ، وأن المطلق برسمه خاصة فى كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطاراً ونصف قنطار زيت طيب ، وذكر ركوب القاضى والشهود فى الليلة المذكورة على جارى العادة .

قال : وتوجَّه الوزير المأمون يوم الجمعة ثانى الشهر بموكبه إلى مَشْهَد السيدة نفيسة وما بعده من المشاهد ، ثم إلى جامع القرافة ، وبعده إلى الجامع العتيق بمصر وقد عمَّ معروفه جميع الضعفاء وقَوَمَة المساجد والمشاهد ، وصلَّى الجمعة ، وعند انقضاء الصلاة أحضر إليه الشريف الخطيب المصحف الذى بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فوقَّع بإطلاق ألف دينار من ماله وأن يصاغ عليه فوق حَلْية الفضة حلْية ذهب وكتب عليه اسمه .

وفى الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود جرى الحال فى ركوب القاضى وشهوده على الترتيب الذى تقَدَّم فى أول الشهر ، ولما وَصَل إلى الجامع وَجَدَه قد عبى فى الرواق الذى عن يمين الخارج منه سِمْاط كَعْك وخُشْكَنَانْج وحلوى ، فجلس عليه بشهوده / ونَهَبَه الفقراء والمساكين ، توجَّه بعده إلى ماسواه من جامع القرافة وغيره ، فوجد فى رواق الجامع المذكور سماطاً مثل السِّماط المذكور فاعتمد فيه على ماذكره . وله أيضا رسم صَدَقَة فى هذا النصف للفقراء وأهل الربط مما يفرقه القاضى ، عشرة دنانير يفرقها القاضى [٣] .

* * *

---

[١] عن جامع راشدة الذى أنشأه الحاكم بأمر الله على النيل جنوب الفسطاط ، راجع المسبحى : أخبار مصر ٩ – ١٠ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٥٣ ، ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٨ – ٧٩ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٣٤١ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢٨٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ١٧٧ ، على مبارك : الخطط التوفيقية (طبعة أولى) : ٤ : ١١٤ .

[٢] جامع ساحل الغلال انظر فيما يلى ص ٦٩ .

[٣] المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٦ – ٤٦٧ .

وقال ابن المأمون فى تاريخه : وحلَّ موسم النَّوْرُوز [١] فى اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ، ووَصَلت الكُسْوة المختصة بالنوروز من الطِرَاز وثغر الإسكندرية مع مايتبعها من الألات المذهبة والحريرى والسوارج ، وأطلق جميع ماهو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعَيْن والورق ، وجميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها وأسماء أربابها ، وأصناف النوروز : البطيخ ، والرمان ، وعناقيد الموز ، وأفراد / البسر ، وأقفاص التمر القوصى ، وأقفاص السفرجل ، وبُكَل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بُكْلَة مع خبز بر مارق .

قال : وأحْضَر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من إطلاق العَيْن والوَرِق والكِسْوَات على اختلافها فى يوم النوروز وغير ذلك من جميع الأصناف ، وهو أربعة آلاف دينار ذهباً وخمسة عشر ألف درهم فضة . والكسوات عدة كثيرة من شُقَقٍ دبيقية مذْهَبَات وحريريات ، ومعاجر وعصائب نسائيات ملونات ، وشقق لاذ مذهب وحريرى ومشفع ، وفُوَط دبيقية حريرية . فأما العين والورق والكسوات فذلك لايخرج عمن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والأصحاب والحواشى والمستخدمين ورؤساء العشاريات وبحاريها ، ولم يكن لأحد من الأمراء على اختلاف درجاتهم فى ذلك نصيب .

وأما الأصناف من البطيخ والرمان والبُسْر والموز والسفرجل والعِنَّاب والهرائس على اختلافها ، فيشمل ذلك جميع من تقدَّم ذكرهم ويَشْرَكهم فيه جميع الأمراء أرباب الأطواق والأنصاف وغيرهم من الأماثل والأعيان ممن له جاه ورسم فى الدولة [٢] .

* * *

قال [ابن المأمون] : وفى هذا الوقت ، يعنى شوال سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وقعت مرافعة فى أبى البركات بن أبى اللَّيْث ، متولى ديوان المجلس ، صورتها :

---

[١] النَوْرُوز ، عيد رأس السنة القبطية ، ويقع فى مستهل شهر توت (أى العاشر أو الحادى عشر من شهر سبتمبر) . وقد لقى عناية كبيرة من خلفاء الفاطميين خاصة فى زمن خلافة الآمر . (المسبحى : أخبار مصر ٩ ، ابن ميسر : أخبار مصر ٩٢ و ١٦٦ القلقشندى : صبح ٢ : ٤٢٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٢٦٧ و ٤٩٣ ، ماجد : نظم الفاطميين ٢ : ١٣٢ ، ١٣٣ ، (Levy, R., EI., art. «Nawrûz», III, p. 949) .

[٢] المقريزى : الخطط ١ : ٢٦٨ – ٢٦٩ و ٤٩٣ .

المملوك يقبِّل الأرض وينهى أنه ماواصل إنهاء حال هذا الرجل وما يعتمده لأنه أهل أن ينال خدمة ، وإنما هى نصيحةٌ تلزمه فى حقِّ سلطانه ، وقد حَصُل له من الأموال والذخائر مالا عددَ ولاقيمة عليه ، ويضرب المملوك عن وجوه الجناية التى هى ظاهرة لأن السلطان لا يرضى بذكرها فى عالى مجلسه ولا سماعها فى دولته ، وله ولأهله مستخدمون فى الدولة ست عشرة سنة بالجارى الثقيل لكل منهم ، ويذكر المملوك ماوصلت قدرته إلى علمه ماهو باسمه خاصة دون من هو مستخدم فى الدواوين من أهله وأصحابه . ويبدأ بما باسمه مياومة إدراراً من بيت المال والخزائن ودار التعبئة والمطابخ وشُوَن الحَطَب ، وهو مايبين : برَسْم البقولات والتوابل نصف دينار ، ومن الضأن رأس واحد ، ومن الحيوان ثلاثة أطيار ، ومن الحطب حملة واحدة ، ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلاً ، ومن الخبز عشرون وظيفة ، ومن الفاكهة ثمرة زهرة قصريتان وشمامة .

وفى كل اثنين وخميس من السماط بقاعة الذهب طيفورٌ خاص وصَحْنٌ من الأوائل وخمسة وعشرون رغيفاً من الخبز الموائدى ، والسميذ . وفى كل يوم أحد وأربعاء من الأسْمِطَة بالدار المأمونية مثل ذلك . وفى كل يوم سبت وثلاثاء من أسمطة الركوبات خروفٌ مشوى وجام حلوى ورباعى عنبا ، ويحضر إليه فى كل يوم من الاصطبلات بغْلَة بمركوب محلًّى ، وبَغْلَة برسم الراجل ، وفرَّاشين من الجوق برسم خدمته وتبيت على بابه وإذا خرج من بين يدى السلطان فى الليل كان له شمعة من الموكبيات توصله إلى داره وزنها سبعة عشر رطلاً ولا تعود .

وبرَسْم ولده فى كل يوم ثلاثة أرطال لحم وعشرة أرطال دقيق ، وفى أيام الركوبات رباعى والمشاهرة جارى ديوان الخاص والمجلس برسمه مائة وعشرون ديناراً ، وبرسم ولده راتباً عشرة دنانير .

وأثبت أربعة غلمان نصارى ونسبهم للإسلام فى جملة المستخدمين فى الركاب ولم يخدموا لا فى الليل ولا فى النهار بما مبلغه سبعة دنانير ، ومن السكر خمسة عشر رطلاً ، ومن عسل النحل عشرة أرطال ومن قلب الفستق ثلاثة / أرطال ، وقلب البندق خمسة أرطال ، وقلب اللوز أربعة أرطال ، وورد مربى رطلان ، زيت طيب عشرة أرطال ، سيرج خمسة أرطال ، زيت حار ثلاثون رطلاً ، خل ثلاث جِرَار ، أرز نصف ويبة ، سماق أربعة أرطال ، حُصْرم و كِشْك وحب رمان وقراصيا بالسوية إثنا عشر رطلاً ، وسدر و إشنان وَيْبَة ، ومن الكيزان عشرون شربة عزيزية ، وثلجية واحدة ، ومن الشمع ست شمعات منهن اثنتان منويات وأربعة رطليات ، والمسانهة فى بكور الغرة برسم الخاصة خمسة دنانير وخمس رباعية وعشرة قراريط جدد .

وبرسم ولده دينار ورباعى وثلاثة قراريط ، وخروف مقموم ، وخمسة أرؤس ، وربع قنطار خبز بر ماذق ، وصحن أرز بلبن ، وسكر .

ومن السماط بالقصر فى اليوم المذكور خروف شواء ، وزبادى وجام حلوى والخبز وقطعة منفوخ ، ومن القمح ثلاثمائة أردب ، ومن الشعير مائة وخمسون أردباً . وفى المواليد الأربعة أربع صوانى فِطْرة ، وكسوة الشتاء برسمه خاصة : منديل حريرى ، وشقة دبيقى حرير ، وشقة ديباج ، ورداء أطلس ، وشقة ديباج دارى ، وشقتان سقلاطون إحداهما اسكندرانية ، وشقتان عتابى ، وشقتان خزّ مغربى ، وشقتان اسكندرانى ، وشقتان دمياطى ، وشقة طلى مرش ، وفوطة خاص .

وبرسم ولده شقة سقلاطون دارى ، وشقة عتابى دارى ، وشقة خزّ مغربى ، وشقتان دمياطى وشقّتان اسكندرانى ، وشقة طلى ، وفوطة . وبرسم من عنده منديلا كم أحدهما خزائنى خاص ، ونصفى أردية دبيقى ، وشقة سقلاطون دارى ، وشقة عتابى ، وشقة سوسى ، وشقة دمياطى ، وشقتان اسكندرانى ، وفوطة .

وبرسمه أيضاً فى عيد الفطر طيفوران فِطْرة مشورة ، ومائة حبة بورى ، وبدلة مذهبة مكملة . وولولده بدلة حرير . وبرسم من عنده حلة مذهبة .

وفى عيد النحر رسْمه مثل عيد الفطر ويزيد عنه هِبَة مائة دينار ، ولولده مثل عيد الفطر وزيادة عشرة دنانير ويساق إليه من الغنم مالم يكن باسمه .

وفى موسم فتح الخليج أربعون ديناراً ، وصينية فِطْرة ، وطيفور خاص من القصر وخروف شواء وجام حلواء ، وبرسم ولده خمسة دنانير .

ولخاصه فى النوروز ثلاثون ديناراً ، وشُقَّة دبيقى حريرى ، وشُقَّة لاذ ، ومعْجَر حريرى ، ومنديل كم حريرى ، وفوطة ، ومائة بطيخة ، وسبعمائة حبة رمان ، وأربعة عناقيد موز ، وفرد بسر ، وثلاثة أقفاص تمر قوصى ، وقفصان سفرجل ، وثلاث بكالى هريسة واحدة بدجاج وأخرى بلحم ضأن والثالثة بلحم بقرى ، وأربعون رطلا خبز بر ماذق ولولده خمسة دنانير وحوائج النوروز بما تقدم ذكره .

وبرسمه فى الميلاد جام قاهرية ، ومتْرد سميد معتصمى ، وزلابية وست قرابات جُلاَّب ، وعشر حبات بورى .

وبرسم الغِطَاس خمسمائة حبَّة ترنج ونارنج وليمون مركب وخمسة عشر طن قصب وعشر حبات بورى [١] .

وباسْمِه فى عيد الغدير من السِّمَاط بالقصر مثل عيد النحر ، وله هبة عن رسم الخلع من المجلس المأمونى ، يعنى مجلس الوزراة ، ثلاثون ديناراً ولولده خمسة دنانير ومن تكون هذه رسومه فى أى وجه تنصرف أمواله ، والذى باسم أخيه نظير ذلك ، وكذلك صهره فى ديوان الوزارة وابن أخيه فى الديوان التاجى ووجوه الأموال من كل جهة واصلة إليهم والأمانة مصروفة عنهم .

وقد اختصر المملوك فيما ذكر والذى باسمه أكثر وإذا أمر بكشف ذلك من الدواوين تبيَّن صحة قول المملوك وعلم أنه ممن يتجنَّب قول المحال ولا يرضاه لنفسه سيما إن رَفَعَه إلى المقام الكريم وشَفَعَ ذلك بكثرة القول فيهم وعرض بالقبض عليهم ، وأوجب على نفسه أنه يثبت فى جهاتهم من الأموال التى تخرج عن هذا الإنعام مايجده حاضراً مدخوراً عند من يعرفه مائة ألف دينار ، فلم يسمع كلامه إلى أن ظهر الراهب فى الأيام الآمرية [٢] فوجد هو وغيره الفرصة فيهم وكثر الوقائع عليهم فقبض عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم ، وأخذ منهم الجملة الكبيرة ، ثم بعد ذلك عادوا إلى خِدَمِهم بما كان من أسمائهم وتجدَّد من جاههم وانتقامهم من أعدائهم أكثر مما كان أولاً ، انتهى .

[فانظر أعزك الله إلى سعة أحوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتَّاب دواوينها ، يتبيَّن لك بما تقدَّم ذكره فى هذه المرافعة من عِظَم الشأن وكَثْرة العطاء مايكون دليلاً على باقى أحوال الدولة] [٣] .

* * *

قال ابن المأمون ، وذكر تجهيز العساكر فى البر عند ورود كتب صاحبى دمشق وحلب فى سنة سبع عشرة وخمسمائة مايحث على غزو الفرنج ومسيرها مع حسام الملك [٤] :

---

(١) انظر أعلاه ص ٦٣ والمقريزى : الخطط ١ : ٤٩٥ .

(٢) عن أمر هذا الراهب انظر : ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٥ و ١٠٧ – ١٠٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ : ٢٩٩ – ٣٠٠ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٨٨ – ٨٩ ، القلقشندى : صبح ١٣ : ٣٦٩ – ٣٧٠ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢٩١ .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٩ – ٤٠٠ .

(٤) انظر أعلاه ص ٦٠ – ٦٢ .

وركب الخليفة الآمر بأحكام الله وتوجَّه إلى الجامع بالمَقْس وجلَس بالمنظرة فى أعلاه [١] واستدعى مقدم الأسطول الثانى وخَلَع عليه ، وانحدرت الأساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والأسلحة ، واعتمد ماجرت العادة به من الإنعام عليهم ، وعاد الخليفة إلى البستان المعروف بالبَعْل [٢] إلى آخر النهار ، وتوجَّه إلى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجارى بها العادة فى الركوبات [٣] .

* * *

قال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة : وكان يُطْلق فى الأربع ليالى الوقود وهى : مستهل رجب ونصفه ، ومستهل شعبان ونصفه ، برَسْم الجوامع الستة : الأزهر والأَنْوَر والأَقْمَر بالقاهرة ، والطولونى ، والعتيق بمصر ، وجامع القرافة ، والمَشاهِد التى تتضمَّن الأعضاء الشريفة ، وبعض المساجد التى يكون لأربابها وَجَاهَة جملة كثيرة من الزيت الطيب ، ويختصُّ بجامع رَاشِدَة وجَامِع ساحل الغَلَّة بمصر والجامع بالمَقْس يسير [٤] .

[ويعنى بجامع ساحل الغَلَّة جامع العَسْكَر ، فإن العَسْكَر حينئذ كان قد خَرُب وحملت أنقاضه وصار الجامع بساحل مصر ، وهو الساحل القديم المذكور فى موضعه من هذا الكتاب] [٥] .

* * *

قال ابن المأمون فى سنة سبع عشرة وخمسمائة : تقدَّم أمر المأمون إلى الواليين بمصر والقاهرة بإحضار عُرَفَاء السقَّائين وأخْذ الحُجَج على المتعيِّشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دَعَت الحاجة

---

(١) منظرة المَقْس . كانت بحرى جامع المَقْس مطلة على النيل الأعظم ، فقد كان ساحل النيل فى هذا الوقت يمر بالمقس (باب الحديد وميدان رمسيس اليوم) . وكانت هذه المنظرة معدَّة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٠) .

(٢) انظر فيما يلى ص ٩٧ .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٠ .

(٤) انظر أعلاه ص ٦٣ – ٦٤ .

(٥) المقريزى : الخطط ٢ : ٢٦٤ .

إليهم ليلاً ونهاراً ، وكذلك يعتمد فى القِرَبيِّين ، وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من الفَعَلَة بالطوارئ والمساحى ، وأن يقوما لهم بالعشاء من أموالهما بحكم فقرهم [١] .

* * *

قال ابن المأمون : وأما الاستيمار[٢] فبلغنى ممن أثق به أنه كان فى الأيام الأفضلية إثنى عشر ألف دينار ، وصار فى الأيام المأمونية لاستقبال سنة ست عشرة وخمسمائة ستة عشر ألف دينار . وأما تذكرة الطراز فالحكم فيها مثل الاستيمار ، والشائع فيها أنها كانت تشتمل فى الأيام الأفضلية على أحد وثلاثين ألف دينار ، ثم اشتملت فى الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار ، وتضاعفت فى الأيام الآمرية .

وعرض رُوزْنَامج[٣] بما أُنْفِقَ عيْناً من بيت المال فى مدَّة أولها محرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وآخرها سَلْخ ذى الحجة منها فى العساكر المُسَيَّرة لجِهَاد الفرنج براً والأساطيل بحراً ، والمنفق فى أرباب النفقات من الحُجَرية والمصطنعية والسودان على اختلاف قبوضهم ، وما ينصرف برَسْم خزانة القصور الزاهرة ، وما يبتاع من الحيوان برَسْم المطابخ ، وما هو برَسْم منديل الكم الشريف فى كل سنة مائة دينار ، والمُطْلَق فى الأعياد والمواسم وما يُنْعم به عند الركوبات من الرسوم والصدقات وعند العَوْد منها ، وثَمَن الأمتعة المبتاعة من التجار على أيدى الوكلاء ، والمُطْلَق برسم الرسل والضيوف ومن يصل مستأمناً ودار الطراز [٤] ، ودار الديباج [٥] ، والمُطْلَق برسم الصلات والصدقات ، ومن

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٣ وقارن اتعاظ الحنفا ٣ : ١٠٠ .

(٢) انظر أعلاه ٥٩ .

(٣) رُوزْ نَامَج . فارسى الأصل بمعنى كتاب اليوم ، روز بمعنى اليوم ، نامة بمعنى الكتاب . لأنه يكتب فيه مايجرى كل يوم من استخراج أو نفقة ، أو غير ذلك . (الخوارزمى : مفاتيح العلوم ٣٧ وضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى ، المجلة التاريخية المصرية ٧(١٩٥٨) ٢٢٣) .

(٤) دار الطراز . انظر أعلاه ص ٢٢ .

(٥) دار الدِّيبَاج . كانت دار الوزارة القديمة أنشأها الوزير يعقوب بن كلِّس ومازالت سكن الوزراء إلى قدوم بدر الجمالى فأنشأ داره بحارة بَرْجَوان وسكنها ، وسكن من بعده ابنه الأفضل بدار القِبَاب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى (انظر أعلاه ص ٢٤) . فصارت دار الوزارة القديمة تعرف بدار الديباج ، لأنه يعمل فيها الحرير الديباج . فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس فى مكان دار الديباج المدرسة السيفية وما وراءها من المواضع . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٤ وراجع أبا المحاسن : النجوم ٦ : ٢٨٠ هـ٤) .

يهتدى للإسلام ، وما يُنْعم به على الولاة عند استخدامهم فى الخِدَم ، ونَفَقات بيت المال والعمائر وهو من العينْ أربعمائة ألف وثمانية وستون ألفا وسبعمائة وتسعون ديناراً ونصف من جملة خمسمائة ألف وسبعة وستين ألفا ومائة وأربعين ديناراً ونصف ، يكون الحاصل بعد ذلك مما يُحْمل إلى الصناديق الخاص برسم المهمَّات لما يتجدَّد من تسفير العساكر وما يُحْمل إلى الثغور عند نفاذ مابها ثمانية وتسعين ألفا ومائة وسبعة وتسعين ديناراً وربعاً وسدساً ، ولم يكن يكتب من بيت المال وصول ولا مجرى ولا تعرّف ، وذلك خارج عما يُحْمل مشاهرة برسم الديوان المأمونى والأجلاء إخوته وأولاده ، وما أُنْعم به على ماتضمنت اسمه مشاهرة من الأصحاب ، والحواشى ، وأرباب الخِدَم ، والكتَّاب ، والأطباء ، والشعراء ، والفرَّاشين الخاص ، والجوق ، والمؤذِّنين ، والخيَّاطين ، والرفَّائين ، وصِبْيان بيت المال ، ونوَّاب الباب ، ونقباء الرسائل ، وأرباب الرواتب المستقرة من ذوى النَسَب والبيوتات ، والضعفاء والصعاليك من الرجال والنساء عن مشاهرتهم ستة عشر ألف وستمائة واثنان وثمانون ديناراً وثلثا دينار ، يكون فى السنة مائتى ألف دينار ، فتكون الجملة سبعمائة ألف وسبعة وستين ألفاً ومائتين وأربعة وتسعين ديناراً ونصفاً [1] .

* * *

قال [ابن المأمون] : فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبَلَغ خمسة عشر ذراعاً أُمِرَ بإخراج الخيام والمَضَارِب الدَّبيقى والديباج ، وتحوَّل الخليفة إلى اللؤلؤة بحاشيته ، وتحوَّل المأمون إلى دار الذهب ، ووصلت كسوة المَوْسم المذكور من الطراز – وإن كانت يسيرة العدَّة فهى كثيرة القيمة – ولم تكن للعموم من الحاشية والمستخدمين بل للخليفة خاصة وإخوته وأربع من خواص جهاته ، والوزير وأولاده ، وابن أبى الردَّاد [2] . فلما وفىَّ النيل ستة عشرة ذراعاً ، ركب الخليفة والوزير إلى الصناعة بمصر [3]

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٩ .

(2) كانت النصارى تتولى قياس ماء النيل حتى عزَلَهم المتوكل العباسى عن ذلك ، ورتَّب فيه أبا الردَّاد عبد الله بن عبد السلام بن أبى الردَّاد المؤدب ، فاستقر قياس النيل فى بنيه حتى القرن التاسع . وصار كل من يتولى أمر المقياس يعرف بابن أبى الردَّاد . (المسبحى : أخبار مصر ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٢٩٥) .

(3) هو ركوب تخليق المقياس (راجع ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٥١٢ – ٥١٤ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٦ – ٤٧٧ ، ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ٢ : ١٠٤ – ١٠٧ ، وانظر فيما يلى ص ٧٤) .

ورميت العُشَاريات بين أيديهما ثم عدَّيا فى إحداها إلى المقياس وصلَّيا ونَزَل الثقة صَدَقة بن أبى / الردَّاد منزلته وخَلَّق العمود . وعاد الخليفة على فوره وركب البحر فى العُشَارى الفضى والوزير صحبته والرَّهَجِيَّة تخْدم براً وبحراً ، والعساكر طول البر قبالته إلى أن وصل إلى المَقْس ، ورتِّب الموكب وقَدم العُشَارى بالخليفة الآمر بأحكام الله والوزير المأمون وسار الموكب والرَّهَجِيَّة تخدم والصدقات والرسوم تُفَرَّق ، ودَخَل من باب القنطرة [1] وقَصَد باب العيد واعتمد ماجَرَت به العادة من تقديم الوزير وترجُّله فى ركابه إلى أن دخل من باب العيد إلى قصره ، وتقدَّم بالخَلْع على ابن أبى الرداد بدْلة مذْهبة ، وثوب دبيقى حريرى ، وطيلسان مقوَّر وبياض مذهب ، وشُقَّة سقلاطون ، وشقة تحتانى ، وشقة خزّ ، وشقة دبيقى ، وأربعة أكياس دراهم ، ونشرت قدَّامه الأعلام الخاص الدبيقى المجاومة بالألوان المختلفة التى لاترى إلاَّ قدَّامه لأنها من جملة تجمُّل الخليفة ، وأُطلق له برسم المبيت من البخور والشموع والأغنام والحلاوات كثير .

قال : وهُيِّئَت المقصورة فى منظرة السُّكَّرة [2] برَسْم راحة الخليفة وتغيير ثيابه ، وقد وَقَعَت المبالغة فى تعليقها وفَرْشها وتعبيتها ، وقدِّم بين يديه الصوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من هِمَم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية ، من الفِيَلَة والزرافات ونحوها المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين المشدود والمظفور عليها المكلَّل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة جميعها عنبر معجون كخِلْقة الفيل وناباه فضَّة وعيناه جوهرتان كبيرتان فى كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده ، وعليه سرير منجور من عود بمتكآت فضة وذهب ، وعليه عدَّة من الرجال ركبان وعليهم اللبوس تُشْبه الزرديات وعلى رؤسهم الخِوَذ وبأيديهم السيوف المجرَّدة والدَّرْق ،

---

[1] باب القَنْطَرة . أحد أبواب القاهرة بناه جوهر القائد عند اختطاطه القاهرة ويفتح فى سورها الغربى على خليج أمير المؤمنين ، عرف بذلك لأنه بنى أمامه قنطرة فوق الخليج ليمشى عليها إلى المَقْس عند مسير القرامطة إلى مصر فى شوَّال سنة ستين وثلاثمائة .

(المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٢ - ٣٨٣) .

كان موضعه على مدخل شارع أمير الجيوش الجوَّانى بالقرب من ميدان باب الشعرية . وفى سنة ٥٧٠ هـ أقام السلطان صلاح الدين سوراً آخر على حافة الخليج مباشرة لجهة الغرب من السور القديم ، وجعل بابُ القنطرة تجاه الباب القديم وعلى بعد ٢٥ متراً منه ، ولم يزل أساس هذا الباب قائماً تحت سطح الشارع ، ومن هنا أتى اسم شارع بين السورين . (من تعليقات المرحوم محمد رمزى على النجوم الزاهرة ٤ : ٣٩ هـ٣) .

[2] منظرة السُّكَّرة . من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين تقع فى بر الخليج الغربى ، يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج وكان لها بستان عظيم وهى من بناء العزيز بالله ، وكان يوجد بها أماكن معدَّة لنزول الوزير وغيره من الأستاذين . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٠ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ١ : ٤٨) .

وجميع ذلك فِضَّة ، ثم صور السِّبَاع منجورة من عود وعيناه ياقوتتان حمراوان وهو على فريسته وبقية الوحوش وأصناف تشد من المرسين المكلل باللؤلؤ شبه الفاكهة .

قال : ومن جملة ماوقع الاهتمام به فى هذا المَوْسم ماصار يستعمل فى الطراز وإن لم يتقدَّم نظيره للولائم التى تُتَّخَذَ برسم تغطية الصوانى عدَّة من عراضى دبيقى ثم قوَّارات شَرَب تكون من تحت العراضى على الصوانى مَفْتَح كل قوارة منهن دون أربعة أشبار سلف كل واحدة منهن خمسة عشر ديناراً ، ورُقِم فى كل منهن سِجْف ذهب عراقى ثمنه من أربعين إلى ثلاثين ديناراً تكون الواحدة بخمسين ديناراً ، ويستعمل أيضاً برسْم الطرح من فوق القوارات الإسكندرانى التى تشدّ على الموائد التى تحمل من عند كل جهة قوارات دبيقى مقصور من كل لون مجاومة بالرقْم الحريرى مَفْتَح كل قوارة أربعة أذرع يكون الثمن عن كل واحدة أربعين ديناراً . ولقد بيعت عدة من القوارات الشرب فسارع التجَّار العراقيون إلى شرائها ونهاية مابلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر ديناراً ، وسافروا بها إلى البلاد فلم يبع لهم منها سوى اثنتين وعادوا بالبقية إلى الديار المصرية فى سنة ست وثمانين وخمسمائة [١] وحفظوا منهن شيئاً عن السوق فلم يحفظ لهم رأس مالهن .

قال : وكان ماتقدم من الزبادى فى الطيافير من الصينى إلى آخر أيام الأفضل بن أمير الجيوش وأيام المأمون ، وإنما استجدت الأوانى الذهب فى أواخر الأيام الآمرية [٢] ، والذى يعبى بين يدى الخليفة قوائمية ضمنها عدَّة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الأطباق الحارة ، وليس فى المواسم مائدة بغير سِمَاط للأمراء ويجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم ، وإن كان يجرى مجرى الأعياد وله البخور مطلق مثلها وينفرد بالجلوس معه الجلساء المميزون والمستخدمون وعند كمال تعبيتها وبخورها جلس الخليفة عليها عن يمينه وزيره وعن يساره أخوه ومن شَرُف بحضوره وفى آخرها فرَّق منها ماجَرَت به العادة على سبيل البركة [٣] .

---

(١) هذا التاريخ يدل على أن ابن المأمون كتب تاريخه ، وأضاف إليه حتى آخر أيامه فقد توفى فى سنة ٥٨٨ هـ .

(٢) ابن المأمون يميِّز هنا بين فترتين فى خلافة الآمر ، الأولى التى استخدم فيها الوزراء حتى عزل المأمون البطائحى سنة ٥١٩ ، والثانية من عزل المأمون البطائحى وحتى وفاة الآمر نفسه سنة ٥٢٤ هـ ولم يستخدم فيها وزراء .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٤٧١ — ٤٧٢ .

سنة ثمان عشرة وخمسمائة

وقال [ابن المأمون] فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة : وصَلتَ الكسوة المختصة بَفتْح الخليج [1] ، وهى برَسْم الخليفة تختَان ضمّنهما بدلتان : إحداهما منديلها وثوبها طميم برسم المُضىّ ، والأخرى جميعها حريرى برَسْم العَوْد ، وكذلك مايخص إخوته وجهاته بدلتان مذْهَبتان وأربع حُلَل مذْهَبة ، وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تخت ، وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة ، وبرسم جهته حلّة مذهبة فى تخت ، وهؤلاء المميزون لكل منهم تخت ، وبقية مايخصُّ المستخدمين وابن أبى الردَّاد فى تخوت كل تخت فيه عدة بدلات .

وحَضَر متولى الدفتر واستأذن على مايُحْمل برسم الخليفة وما يفرِّق وما يَفصَّل برَسْم الخِلَع ، وما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل وهو مايفصَّل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء خمسمائة وشقتان سقلاطون دارى ، وبرسم رؤساء العُشَارى من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الأحمر ، وبرسم النُواتية التى برسم الخاص من العُشَارية من الشُقَق الإسكندرانى والكَلْوتات ، فوقَّع بإنفاق جميع ذلك وتفصيل مايجب منه .

ثم ابتيع ذلك بمطالعة ثانية برسم ماهو مستمر العموم من النقد العَيْن والوَرِق للموسم المذكور وهو : من العين أربعة آلاف وخمسمائة / دينار ، ومن الورق خمسة عشر ألف درهم فوقَّع بإطلاق ذلك ، وذَكَر تفصيل الكسوات والهبات بأسماء أربابها .

وحضر متولى المائدة الآمرية بمطالعة يستدعى ماجَرَت به العادة فى هذا الموسم من الحيوان والضأن والبقر وغير ذلك من الأصناف برسم التفرقة والأسْمطة ، وحضر متولى دار التعبئة [2] يستدعى مايبتاع به الثمرة والزهرة وهيئة المتعينين لتعبئة [منظرة] السُكَّرة لأجل حلول الركاب بها ومقامه فيها ، وتعبئة جميع مقاصيرها التى برسم الأستاذين والأصحاب والحواشى وهو مائة دينار ، فوقَّع بإطلاقها .

---

[1] عن ركوب فتح الخليج راجع ، المسبحى : أخبار مصر ١٠ ، ناصر خسرو : سفرنامة ٩٣ — ٩٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣ : ٥١٤ — ٥١٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٠ ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٩٩ — ١٠٠ . وانظر أعلاه ص ٧١ .

[2] انظر فيما يلى ص ٩٤ .

وفى العاشر من الشهر المذكور ، يعنى شهر رجب ، وفَّى النيل ستة عشر ذراعاً فتوجَّه المأمون إلى صناعة العمائر بمصر ورُمِيَت العُشَاريات بين يديه وقد جُدِّدَت وزُيِّنَت جميعها بالستور الديبقى الملوَّنة ، والكوامخ والأهِلَّة الذهب والفضة ، وشَمَل الإنعام أرباب الرسوم على عادتهم ، وعدَّى فى إحدى العُشَاريات إلى المقياس وخَلَّق العمود بما جَرَت به عادتهم من الطيب ، وفُرِّقت رسوم الإطلاق وانكفأ إلى دار الذهب وأمر بإطلاق مايخصُّ المبيت فى المقياس بجميع الشهود والمتصدرين وهى : العشرات من الخبز عشرة قناطير وعشرة خراف شوى وعشر جامات حلوى وعشر شمعات ، وأول من يحضر المبيت الشريف الخطيب سيد المقرَّبين وإمام المتصدِّرين وله وللجماعة من الدراهم التى تفرَّق أوْفَى نصيب .

قال : وخرج الخليفة بزىِّ الخلافة ووَقَارها وناموسها بالثياب الطميم التى تُذْهل الأبصار ، والمنديل بالشدَّة العربية التى ينفرد بلباسها فى الأعياد والمواسم خاصة لاعلى الدوام ، وكانت تسمَّى عندهم شدَّة الوقار ، مرصَّعة بغالى الياقوت والزمرد والجوهر ، وعند لباسها تَخْفِقُ لها الأعلام ويُتَجَنَّب الكلام ويُهَاب ، ولا يكون سلام قريب منه وخليل غير الوزير إلاَّ بتقبيل الأرض من بعيد من غير دنو ، ثم بين يديه من مقدمى خزائنه من يحمل سيفه ورمحه المرصعين بأفخر مايكون ، ثم المذاب التى كل منها عمودها ذهب وينفرد بحملها الصقالبة ويمشى بين الصفين المرتَّبين راجلاً على بُسُطٍ حرير فُرِشَت له ، وكل من الصفين يتناهى فى مواصلة تقبيل الأرض إلى أن وصل إلى مجلس خلافته ، وصعد على الكرسى المُغَشَّى بالديباج المنصوب برسم ركوبه ، وقد صَفَّت روَّاض وأزِمَّة الاصطبلات خيْلُ المظلة بعد أن أزالت الأغشية الحرير والشقق الديبقى المُذْهبة عن السروج وبقيت كما وصَفَها الله تعالى فى كتابه [الآية ٣١ سورة ص ﴿ إذْ عُرِضَ عليه بالعَشىِّ الصافِنَات الجِيَادُ ﴾] ، فقُدِّم إليه ماوَقَع اختياره عليه ، وأمر بأن يجنب البقية فى الموكب بين يديه ، ولما علا ما قدِّم إليه استفتح مقرئو الحضرة وتسلم جميع مقدِّمى الرِّكَاب رِكَابه والروَّاض الشكيمة ، وزال حكم الأستاذين المستخدمين فى الركاب وعادت الموالى والأقارب إلى محالهم ، واستدعى بالوزير بجميع نعوته فواصل تقبيل الأرض إلى أن قبَّل ركابه وشرَّفه بتقبيل يده بحُكْم خلُوِّها من قضيب الملك [1] فى هذه المواسم ، ولما أدَّى مايجب من فرض

---

[1] قضيب الملك . عود طوله شبر ونصف ملَبَّس بالذهب المرصَّع بالدر والجوهر . يكون بيد الخليفة فى المواكب العظام . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٩) .

السلام أخذ السيف [1] من الأمير افتخار الدولة ، أحد الأمراء الأستاذين المميَّزين المحَنَّكين ، متولى خزانة الكسوة الخاص ، وسلَّمه بعد أن قبَّله لأخيه الذى يتولَّى حمله فى الموكب بعد أن أرخيت عَذَبته تشريفاً له مدَّة حمله خاصة وتُرْفع بعد ذلك ، وشدَّ وسطه بالمِنْطقة الذهب تأدُّباً وتعظيماً لما معه وسلَّم الرُّمْح [2] والدَّرَقة [3] لمن يتولى حملهما بلواء الموكب ، ولم يكن للخدمة المذكورة عذَبَة مرخاة ولا مِنْطقة ، واستدعى ركوب الوزير وأولاده من عند باب قاعة الذهب .

وخرج الخليفة من القاعة المذكورة إلى أول دهليز فتلقته جماعة صبيان ركابه العشرة المقدَّمين أرباب الميمنة والميسرة ، وصبيان وراء صبيانِ الرسائل وصبيان السلام ، كل منهم فى الخدمة المعينة لا يخرج عنها لسواها ، وجميعهم بالمناديل الشروب المعلَّمة وبأوساطهم العراضى الدبيقى المقصورة ، وليس الجميع عبيداً بشراء ولا سودان ، بل مولَّدة وأولاد أعيان وأهل فهْم ولسان ، ثم احتاط بركابه بعدهم من هو على غير زيهم بل بالقنابيز المفرجة والمناديل السوسى ، وهم المتولون لحمل السلاح الخاص الذى لايكون إلاَّ فى موكبه خاصة على الاستمرار من الصوارى والفرنجيات والدبابيس واللتوت والصماصم بالدرق الصينى واليمنى بالكوافخ الفضة والذهب ، ويحصل الاستدعاء من صبيان السلام فى مسافة الدهاليز لكل من هو مستخدم فى الموكب ركوبه من محل حجبته إلى أن خرج الخليفة من باب الذهب ، وقد ضربت الغربية وأبواق السلام واجتمع الرَّهَج من كل مكان ونُشِرَت المظلة . فاجتمع إليها الزويلية بالعدد الغريبه وظُلِّل بها وسارت بسيره ، والقرآن الكريم عن يمينه ويساره والحُجَرِيَّة الصبيان المنشدون ، واجتمع الموكب بجملته على ماذُكِرَ أولاً والترتيب أمامه لمتولى الباب وحجَّابه وتلوه لمتولى الستر ، وكل منهم على حكم المدارج التى وصلت إليه لا سبيل إلى الخروج عما رُسِمَ فيها ،

---

[1] السَّيْف . يقال إنه كان من صاعقة وقعت وحصل الظَفَر بها فعمل منها هذا السيف ، وحِلْيته من ذهب مرصَّعة بالجواهر ، ويوضع فى خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر منه إلاَّ رأسه . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٨ وراجع ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ٦٨ – ٦٩ وما ذكر من مراجع) .

وكان حامل السيف دائماً يرخى ذؤابته طالما حمل السيف . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٩ وفيما يلى هنا بعد أسطر) .

[2] الرُّمْح . وصفه القلقشندى والمقريزى نقلاً عن ابن الطُّوَيْر بأنه رمح لطيف فى غلاف منظوم باللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٨ ، ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ٢ : ٦٩) .

[3] الدَّرَقَة . درقة كبيرة بكوابج ذهب يقولون إنها درقة حمزة عم النبى ، ﷺ ، وعليها غشاء من حرير . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٨ ، ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ٢ : ٦٩) .

وسار بجملة موكبه على ترتيب أوضاعه بين حصنين مانعين من طوارق عساكره فارسها وراجلها / كل طائفة يقدمها زمامها وقد ازدحموا فى المصفات بالعُدَد المُذْهبة الحربية والآلات المانعة المضيئة وليس بينهم طريق لسالك ، وقد زُيِّن لهم جميع مايكون أمامهم من الطرق جميعها ، حوانيتها وآدرها وجميع مساكنها وأبواب حاراتها ، بأنواع من الستور والديباج والدبيقى على اختلاف أجناسها ثم بأصناف السلاح ، وملأت النظَّارة الفِجَاج والبِطَاح والوِهَاد والرُّبَا ، والصدقات والرسوم تَعمُّ أهل الجانبين من أرباب الجوامع والمساجد ، وبوابى الأبواب والسقَّائين والفقراء والمساكين فى طول الطريق ، إلى أن أطل على الخيام المنصوبة فوقف بموكبه واستدعى الوزير بعده من مقدمى ركابه فاجتاز راكباً بمفرده وجَمَع حاشيته بسلاحهم رجَّالة فى ركابه بعد أن بالغ فى الإيماء بتقبيل الأرض أمامه ، فردَّ عليه بكمه السلام .

وعاد الخليفة فى سيره بالموكب بعد أن حصل الوزير أمامه ، وترجَّل جميع من شَرُفَ بحَجبة فى ركابه وآخرهم متولى حمل سيفه ورُمْحه وصبيان السلام ، يستدعون كل منهم إلى تقبيل الأرض بجميع نعوته إكباراً له وتمييزاً ، واحتاطوا بركابه ووَصَل إلى المضارب فى الحرس الشديد على أبوابها وسرادقاتها من كل جانب ، وقد تبيَّن وَجَاهة من حصل بها ومُكِّن من الدخول إليها ، وترجَّل الوزير فى الدهليز الثالث من دهاليزها ، وتَقَدَّم إلى الخليفة وأخذ شكيمة الفَرَس من يد الرواض وشق به الخيام التى جَمَعت جميع الصور الآدمية والوَحْشية وقد فُرِشَت جميعها بالبُسط الجهرمية والأندلسية إلى أن وصل إلى القاعة الكبرى فيها ، وترجَّل على سرير خلافته وجلس فى محل عظمته وأجْلَس وزيره على الكرسى الذى أُعدَّ له ، واحتاط به المستخدمون جملة السلاح المنتصب جميعه وحجبوا العيون عن النظر إليه وصفَّ بين يديه الأمراء والضيوف والمشرفون بحجبيته ، وختم المقرئون القرآن العظيم ، وقدَّم عَدِيُّ الملك النائب شعراء المجلس على طبقاتهم ، وعند انقضاء خِدْمة آخرهم عادت المستخدمون والرواَّض مقدِّمة ما أمروا به من الدواب فعلاه الخليفة ، والوزير يمسك الشكيمة بيده ، وانتظم موكباً عظيماً ، والقرَّاء عِوَض الرَّهَجيَّة والجماعة فى ركابه رجَّالة على حُكْم ماكانوا عليه أولاً ، وصعد من القاعة التى فى دهاليز الباب القبلى منها فخرج منه وانفصلت خدمة جميع الأمراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الأرض .

وصعد الخليفة ووزيره وأولاده وإخوته والأصحاب والحواشي إلى السُّكَّرة [١] ، وهي من جنَّات الدنيا المزخرفة ، وتلقَّاه أخوه بعَظَمَة سلامه وتقبيل الأرض بين يديه وجلس لوقته . وفُتِحَت الطاقات التي في المنظرة وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان ، واعتمد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبيل الأرض له وإدامة النظر نحوه ، والمستخدمون جميعهم على السدِّ مشدودى الأوساط واقفين عليه ، فلما أمرهم الوزير أن يكسروه قبَّلوا الأرض جميعاً وانصرفوا عنه ، وتولَّته الفَعَلَة في البساتين السلطانية بالفَتْح من الجانبين والقرآن والتكبير من الجانب الغربي حيث الخليفة والرَّهَج واللعب من الجانب الشرقي .

ولما كمُل فتحه انحدرت العُشَاريات عن آخرها ، اللطيف منها يقدم الكبير ، والجميع مزينة بالذهب والفضة والستور المرقومة ، ورؤساؤهم وخدَّامهم بالكسوات الجميلة ، وبعد ذلك غُلِّقَت الطاقات وحلَّ الخليفة بالمقصورة التي لراحته وكذلك الوزير وأولاده وإخوته وجميع الأمراء الأستاذين والأصحاب والحواشي . واستدعى للوقت والي مصر من البر الشرقي وخَلَع عليه بدْلة منديلها وثوبها مذْهبان وثوبان عتابي وسقلاطون ، وقبَّل الأرض من تحت المنظرة وعدَّى في البحر إلى حفظ مكانه . ثم استدعى بعده حامي البساتين ومُشَارِفها فخلَع عليهما بدلتين حريرى ، وثوبين سقلاطون وعتابي . ثم متولي ديوان العمائر [٢] ، ثم مقَدَّمي الرؤساء كذلك ، واعتمد كل من سلَّم إليه الإثباتات المشتملة على أصناف الإنعام من العَيْن والوَرِق وصواني الفِطْرة والموائد التي يهتم بها جميع الجهات ، والخِرَاف المشوية والجَامَات الحَلْواء وتفرقة ذلك على مارُسِمَ وهو شامل غير مخصَّص من أخي الخليفة والوزير إلى الأصحاب والحواشي من أرباب السيوف والأقلام ، ثم الأمراء المستخدمين والضيوف المميَّزين من الأجناد وغيرهم من الأدْوَان ممن يتعلَّق به خِدْمة تختصُّ بالموسم من البحارة وأرباب اللعب وغيرهم .

وعبيت الأسْمِطَة في المسطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربي من الخيام ، وأمر الوزير أخاه بالمضي إليها والجلوس عليها فتوجَّه وبين يديه متولي حجبة الباب ونوابه والمعروفية والحجَّاب ، واستدعت الأمراء والضيوف بالسقاة من خيامهم وأجلس كل منهم على السِّمَاط في موضعه على عادتهم ، وتلاهم العساكر على طبقاتهم ، ولم يمنع حضورهم مايسير لكل منهم من جميع ماذكر على حكم ميزته . ولما انقضى حُكْم الأسْمِطَة المختصة بالأمراء الكبار ، عاد أخو الوزير إلى حيثُ مقرِّ

---

[١] يقصد منظرة السُّكَّرة . (انظر أعلاه ص ٧٢) .

[٢] ديوان العَمَائِر وهو المعروف أيضاً بديوان الجِهَاد . كان فيه إنشاء المراكب للأسطول . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٤٢ - ٣٤٣) .

الخلافة وبقى متولى الباب / جالساً لأسْمِطَة العبيد وجميع المستخدمين من الراجل والسودان .

وعبيت المائدة الخاص بالسُكَّرة ، التى مايحضرها إلاَّ العوالى الخاص المستخدمون فى الخِدَم الكبار ويجمع له حالتان : حضوره فى أشرف مقام ، وجلوسه فى محل يحصل له به حُرْمة وذمام ، وجَلَس الخليفة عليها وأخوه على شماله ووزيره على يمينه بعد أن أدَّى كل منهما مايجب من سلامه وتعظيمه ، وحضر أولاد الوزير وإخوته والشيخ أبو الحسن كاتب الدست وابنه سالم ، ومن الأستاذين المحنكين أرباب الخِدَم . وجرى الحال فى المائدة الشريفة على ماهو مألوف وفرِّق من جملتها لكل من أرباب الخِدَم الذين لم يحضروا عليها ماهو لكلٍ منهم على سبيل الشرَف ، وتميَّز فى ذلك اليوم خاصة مايختص بالقاضى وشهوده والداعى وابن خاله ، الذين يخصصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم فى قاعة الخيمة الكبرى أمام سرير الخلافة المنصوب مدَّة النهار ، مع مايحمل إليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم فى الإثباتات مذكوراً . ولما تكامل وَضْعُ المائدة وانقضى حكمها قبَّل كلٌّ من الحاضرين الأرض وانصرف بعد أن استصحب منها ما تقتضيه نفسه على حكْم الشرف والبركة ، ويقضى بعد ذلك الفرائض الواجبة فى وقتها ولابد من راحة بعدها .

وحَضَر مقدما الركاب وحاسَبا كاتب الدفتر على ما معهما برسم تفرقة الرسوم والصدقات فى مسافة الطريق فكمَّل لهما على مابَقِىَ معهما مثل ماكان أولاً ، ولما استحق العوْد عاد كل من المستخدمين إلى شُغْله من ترتيب الموكب ومصفات العساكر وترتيب من يشْرف بالحضرة من الأمراء والضيوف ، وفُرِّقت الصوانى الخاص التى تكون بين يدى الخليفة مدة النهار الجامعة للثروة من كل جهة والزينة من كل معنى والغرابة من كل صنْف ، وقد جَمَعَت ملاذ جميع الحواس والعدَّة منها يسيرة ، وليس ذلك لتقصيرٍ من هِمَم الجهات التى تتنوع فيها بالغرائب ، بل للتعب الشديد عليها ثم لضيق الزمان لأن كلاً منها لا مندوحة أن يكون فيه زهرة وثمرة وطول المكث كذلك يُتْلف مافيها ، وإذا شَمَلَت – مع قلتها – من له الوجاهة العالية من أخى الخليفة والوزير لم يكن له غير صينية واحدة . وأخذ كل من الحاشية أهبة تجمُّله لموضع ميزته ، وغيَّر الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب ، وهو بدلة حريرى بشَدَّة الوَقَار وعَلَم الجَوْهَر ، وسيَّر إلى الوزير صحبة مقدَّم خزانة الكسوة الخاص على يد المستخدمين عنده من الأستاذين من جملة بدلات الجُمَع التى يتوجه منها إلى زيه ما يؤمر به من يسعى إليه بدلة مكملة حريرى ومنديلها بياض بالشدة الدانية غير العربية ، ولما لبس ما سير إليه

وحَضَر بين يديه لشكر نعمته ، أمره بركوب أخيه فى إحدى العشاريات فامتثل أمره وتوجَّه صحبته من السُّكَّرة بجميع خواصه وحواشيه وفتح لهم الباب الذى هو منها بشاطىء الخليج ، وقَدَّم له إحدى العشاريات الموكبية وفيها مقدم رياسة البحرية فركب فيها بجمعه والوزير واقف راجل على شاطىء الخليج خدمة له إلى أن انحدرت العشاريات جميعها قُدَّامه ومراكب اللعب بغير أحد من أرباب الرهج ، والمستخدمون فى البرين يمنعون من يقاربه ، والمتفرجون لايصدُّهم ويردُّهم مايَحِلُّ بهم ، بل يرمون أنفسهم من على الدواب ويسيرون بسيره .

وعاد الوزير إلى السُّكَّرة فلما شاهد الخليفة الدواب الخاص التى برسم ركوبه أمره بما وَقَع عليه اختياره منها وعلاه فاحتاط بركابه مقدِّموا الركاب واستفتح القرَّاء ، وخَرَج من باب السُّكَّرة ودخل من باب الخليفة القبلى وشق قاعتها على سرير مملكته وخصَّ بالسلام فيها شيوخ الكتاب العوالى والقاضى والداعى ومن معهما ، ولهم بذلك مَيْزة عظيمة يختصون بها دون غيرهم ، وخرج منها إلى البستان المعروف بنزار وسار فى ميدانه وجميعه من الجانبين سور معقود من شجر نارنج أصولها مفترقة وفروعها مجتمعة وظلَّلت الطريق ، وعليها من الثمرة التى أخرجها من وقته إلى هذا اليوم ، وقد خرجت بهجتها عن المعتاد وحصل عليها ثمرة سنتين إحداهما انتهت والأخرى فى الابتداء ، وهو بهيئته وزيِّه وترتيب عساكره وأمرائه ، وخَرَج من الباب بعد أن عمَّ من له رسم بالعامة ، وعاد الرَّهج والموكب على ماكان عليه ، فلما وصل إلى السدِّ الذى على بركة الحَبَش كُسِرَ بين يديه [١] .

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٢ - ٤٧٥ .

ذِكْرُ رُتْبَةِ الوَزَارَة

قال ابن المأمون : وأما ما قُرِّر للوزارة عيناً فى الشهر بغير إيجاب ، بل يُقْبض من بيت المال ، فهو ثلاثة آلاف دينار [1] تفصيلها ماهو على حكم النيابة فى العلامة ألف دينار ، وماهو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار ، وما هو عن مائة غلام برسم مجلسه وخدمته لكلِ غلام خمسة دنانير فى الشهر ، فأما الغلمان الركابية وغيرهم من الفرَّاشين والطبَّاخين فعلى حكم مايرغب فى إثباته . وفى السنة من الإقطاعات خمسون ألف دينار منها : دَهْشُور ، وجزيرة الذهب ، وبقية الجملة صفقات ، ومن البساتين ثلاثة : بستان / الأمير تميم وبستانان بكوم أشْفين . ومن القوت – يعنى القمح – ومن القضم – يعنى الشعير – والبرسيم فى السنة عشرون ألف أردب قمحاً وشعيراً ، ومن الغَنَم برسم مطابخه ساقة من المراحات ثمانية آلاف رأس ، وأما الحيوان والأحطاب وجميع التوابل العال منها والدون فمهما استدعاه متولى المطابخ يُطْلَق من دار أفتكين [2] وشُوَن الأحطاب وغير ذلك [3] .

هَيْئَةُ صَلَاةِ الجُمْعَة فى أيَّامِ الخُلَفَاء الفَاطِميين

قال ابن المأمون : ووَصَل من الطراز الكُسْوة المختصة بغُرَّة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة للغرَّة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذْهبة ، وبرسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى من الشهر بدلة موكبية حرير مكملة منديلها وطيلسانها بياض ، وبرسم الجامع الأنور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرىّ . وما هو برسم أخى الخليفة للغرَّة خاصة بدلة مذهبة ، وبرسم أربع جهات للخليفة أربع

---

(1) فى صبح الأعشى ٣ : ٥٢١ والخطط ١ : ٤٠١ واتعاظ الحنفا ٣ : ٣٤٠ أن مرتَّب الوزير فى الشهر خمسة آلاف دينار وهو بذلك أكبر راتب فى الدولة . وراجع عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم فى مصر فى عصر الفاطميين ١٠٨ – ١١٤ ، ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ١ : ٩٠ – ٩١ ، المناوى : الوزارة فى العصر الفاطمى ٨٢ – ٨٤ .

(2) خزائن دار أفتكين . كانت برسم التخزين وتحتوى على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الإسكندرية وغيرها . وجميع القلوب المأكوله من الفستق وغيره والأعسال على اختلاف أصنافها والسكر والقند والشيرج والزيت . وحاميها من الأستاذين المميَّزين ، أما مشارفها فمن المعدلين ، وهما اللذين يخرجان راتب المطابخ خاصاً وعاماً ليوم أو لأيام . هكذا وصفها ابن الطوير .

وعرفت بذلك لأنه كان يسكنها نصر الدولة أفتكين الذى رافق نزا بن المستنصر بالإسكندرية . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٢) .

(3) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٢ – ٤٤٣ .

حُلَل مذْهبات ، وبرسم الوزير للغرَّة خِلْعة مذهبة مكملة موكبية ، وبرسم الجمعتين بدلتان حريريتان . ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شيء فنذكره [1] .

سُحُورُ الخَلِيفَة

قال ابن المأمون ، وقد ذكر أسْمِطَة رمضان وجلوس الخليفة بعد ذلك فى الرَوْشَن إلى وقت السحور ، والمقرئون تحته يتلون عشراً ويطرِّبون بحيث يشاهدهم الخليفة ، ثم حضر بعدهم المؤذنون وأخذوا فى التكبير وذِكْر فضائل السحور وختموا بالدعاء ، وقدِّمت المخادّ للوعَّاظ فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات وقام كل من الجماعة للرقص ، ولم يزالوا إلى أن انقضى من الليل أكثر من نصفه ، فحضر بين يدى الخليفة أستاذ بما أُنْعَم به عليهم وعلى الفرَّاشين . وأحضرت جِفَان القطائف وجرار الجُلاَّب برسمهم فأكلوا وملأوا أكمامهم ، وفضل عنهم ماتخطَّفه الفرَّاشون .

ثم جلس الخليفة فى السدلا التى كان بها عند الفطور وبين يديه المائدة معبأة جميعها من جميع الحيوان وغيره ، والقعبة الكبيرة الخاص مملوءة أوساطه بالهمة المعروفة ، وحضر الجلساء واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه ، وأومأ الخليفة بأن يستعمل من القعبة فيفرّق الفرَّاشون عليهم أجمعين ، وكل من تناول شيئاً قام وقبَّل الأرض وأخذ منه على سبيل البركة لأولاده وأهله ، لأن ذلك كان مستفاضاً عندهم غير معيب على فاعله ، ثم قدِّمت الصحون الصينى مملوءة قطائف فأخذ منها الجماعة الكفاية .

---

[1] المقريزى : الخطط ٢ : ٢٨٢ .

وعن ركوب الخليفة لصلاة الجمعة راجع بتفصيل أكثر ، القلقشندى : صبح ٣ : ٥٠٥ — ٥٠٨ ، والمقريزى : الخطط ٢ : ٢٨٠ — ٢٨٢ ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ١٠٢ — ١٠٤ و ٥ : ١٧٥ ١٧٨ ، ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ٢ : ٩٥ - ٩٨ .

ويكون ذلك فى الجمعه الثانية والثالثة والرابعة ، ويستريح جمعة ، بعد ركوب أول رمضان ، وتسمى جمعة الراحة كما ذكر ذلك القلقشندى ، وأبو المحاسن ، والمقريزى ، وهذا يخالف ماجاء فى هذا النص ، وفيه أنه يركب فى الجمعة الثانية إلى الجامع الأنور (الحاكمى) ، وفى الجمعة الثالثة إلى الجامع الأزهر ، وفى الجمعة الرابعة إلى الجامع العتيق بمصر .

وقارن المسبحى : أخبار مصر ٦٢ و ٦٤ ففيه أن الخليفة صلى الجمعة الأولى لليلتين خلتا من رمضان سنة ٤١٥ بالجامع الأزهر ، وصلى الجمعة الثالثة يوم ١٦ رمضان سنة ٤١٥ بالجامع الأنور ، فيكون قد استراح الجمعة الثانية ٩ رمضان سنة ٤١٥ وهذا يخالف أيضا ما أورده القلقشندى والمقريزى وأبو المحاسن ، ويتفق مع ماورد أعلاه ص ٥٤ .

وقام الخليفة وجلس بالبَاذْهَنْج وبين يديه السحورات المطيَّبات من لبئين رطب ومخض ، وعدَّة أنواع عصارات وافطلوات وسويق ناعم وجريش ، جميع ذلك بقلوبات وموز ، ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سفوفاً . وحضر الجلساء وأخذ كل منهم فى تقبيل الأرض والسؤال بما يُنْعم عليه منه ، فتناوله المستخدمون والأستاذون / وفرَّقوه فأخذه القوم فى أكمامهم ثم سلَّم الجميع وانصرفوا [1]

الخَتْم فى آخر رمضان

قال ابن المأمون : ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان ، خرَجَ الأمرُ بأضعاف ماهو مستقرّ للمقرئين والمؤذِّنين فى كل ليلة برسم السحور بحكم أنها ليلة خَتْم الشهر . وحَضَر الأجلُّ الوزير المأمون فى آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الأسْمِطَة على العادة ، وحضر إخوته وعمومته وجميع الجلساء ، وحضر المقرئون والمؤذنون وسلَّموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن[2] وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور ثلاجى [3] وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى دبيقى وجعلها أمام المذكورين لتشْمَلها بَرَكَةُ ختم القرآن الكريم . واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وتطريباً ، ثم وقف بعد ذلك من خَطَب فأسمع ودعا فأبْلغ ، ورفع الفرَّاشون ما أعدُّوه برسم الجهات ، ثم كبَّر المؤذنون وهلَّلوا وأخذوا فى الصوفيات إلى أن نُثِر عليهم من الرَوْشَن دنانيرٌ ودارهم ورباعيات ، وقُدِّمت جِفَانُ القطائف على الرسم مع البَسَنْدُود والحلواء فجَرُوا على عادتهم وملأوا أكمامهم ، ثم خرج أستاذ من باب الدار الجديدة بخِلَع خَلَعَها على الخطيب وغيره ودارهم تُفَرَّق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين [4] .

---

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٩١ — ٤٩٥ .

[2] الرَّوْشَن جـ . الرواشن . بمعنى النافذة أو الكوة للإضاءة ، وأيضاً الخرجات أو البروز فى العمائر بغرض زيادة سطح الأدوار العليا . (عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار ، المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربية (القاهرة ١٩٥٨) ٢٢٢ هـ٢) .

[3] ورد هذا اللفظ عند المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٢ البلاحى .

[4] المقريزى : الخطط ١ : ٤٩٢ و ١ : ٤٥٢ .

هَيْئَةُ صَلاَةِ العِيد

[عيد الفطر]

ورسم أن تحمل الفِطْرة إلى قاعة الذهب وأن تكون التعبية فى مجلس الملك ، وتعبى الطيافير المشورة الكبار من السرير إلى باب المجلس ، وتعبى من باب المجلس إلى ثلثى القاعة سِمَاطاً واحداً مثل سِمَاط الطعام ، ويكون جميعه سداً واحداً من حلاوة الموسم ويزَيَّن بالقِطَع المنفوخ ، فامتثل الأمر وحَضَرَ الخليفة إلى الإيوان واستدعى المأمون وأولاده وإخوته وعُرِضَت المَظَال المذْهبة المجاومة ، وكان المقرئون يلوحون عند ذكرها بالآيات التى فى سورة النحل ﴿ واللهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَٰلاً ﴾ [الآية ٨١ سورة النحل] إلى آخرها ، وجلس الخليفة ورُفِعَت الستور واستفتح المقرئون ، وجَدَّد المأمون السلام عليه وجلس على المرتبة عن يمينه وسلَّم الأمراء جميعهم على حُكْم منازلهم لايتعدَّى أحد منهم مكانه ، والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم ، وسلَّم الرسل الواصلون من جميع الأقاليم ووقفوا فى آخر الإيوان ، وخَتَم المقرئون وسلَّموا ، وخَدَمت الرَّهَجِيَّة ، وتقدَّم متولى كل اصطبل من الروَّاض وغيرهم يقبِّل الأرض ويقف ، ودخَلَت الدوابُ من باب الديلم[1] والمستخدمون فى الركاب بالمناديل يتسلَّمونها من الشدَّادين ويدُورون بها حول الإيوان ، ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلَّمها الأستاذون والمستخدمون فى الركاب ويعلون بها إلى قريب من الشباك الذى فيه الخليفة ، وكلما عُرِض دواب اصطبل قَبَّل الأرض متوليه وانصرف ، وتقدَّم متولى غيره على حكمه إلى أن يُعْرض جميع ما أحضروه ، وهو مايزيد على ألف فرس خارجاً عن البغال وما تأخَّر من العُشَاريات والحجور والمهارة .

ولما عرضت الدواب أبطلت الرَّهَجِيَّة وعاد استفتاح المقرئين وكانوا محسنين فيما ينتزعونه من القرآن الكريم مما يوافق الحال مثل الآية من آل عمران ﴿ زُيِّنَ للنَاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [الآية ١٤ سورة آل عمران] إلى آخرها ، ثم بعدها ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ المُلْكِ تُؤْتِى ٱلمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ [الآية ٢٦ سورة آل عمران] إلى آخرها . وعرضت الوحوش بالأجلة الديباج والدبيقى بقباب الذهب والمناطق والأهِلَّة ،

---

[1] باب الدَّيْلَم . أحد أبواب القصر الشرق القبلية ، كان يدخل منه إلى المشهد الحسينى ، وكان أيضاً تجاه دار الفِطْرة . (القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٣٤٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٣٦) .

وبعدها النُجُب والبخاتيى بالأقتاب الملبسة بالدبيقى الملون المرقوم ، وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ، ونصبت الكسوات على باب العيد وضربت طول الليل ، وحُمِلَت الفِطْرة الخاص التى يفطر عليها الخليفة بأصناف الجوارشات بالمِسْك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التى يستخرج مافيها وتُحْشَى بالطيب وغيره وتسد وتختم ، وسلِّمت للمستخدمين فى القصور وعبيت / فى مواعين الذهب المكلَّلة بالجواهر ، وخرجت الأعلام والبنود ، وركب المأمون فلما حصل بقاعة الذهب أخذ فى مشاهدة السماط من سرير الملك إلى آخرها .

وخرج الخليفة لوقته من البَاذْهَنْج وطلع إلى سرير ملكه وبين يديه الصوانى المقدم ذكرها واستدعى بالمأمون فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام ، وأمر بإحضار الأمراء المميزين والقاضى والداعى والضيوف وسلَّم كل منهم على حكم ميزته . وقدمت الرسل وشرفوا بتقبيل الأرض ، والمقرئون يتلون والمؤذنون يهلِّلون ويكبِّرون ، وكشفت القوَّارات الشرب المذهبات عما هو بين يدى الخليفة فبدأ وكبرَّ وأخذ بيده ثمرة فأفْطَرَ عليها وناوَل مثلها الوزير فأظهر الفِطْر عليها ، وأخذ الخليفة فى آن يستعمل من جميع ماحضر وينال وزيره منه وهو يقَبِّله ويجعله فى كمه ، وتقدَّمت الأجلاء إخوة الوزير وأولاده من تحت السرير وهو يناولهم من يده فيجعلونه فى أكمامهم بعد تقبيله ، وأخذ كل من الحاضرين كذلك ويومىء ، بالفطور ويجعله فى كمه على سبيل البركة ، فمَنْ كان رأيه الفطور أفطر ومن لم يكن رأيه أومأ وجعله فى كمه لاينتقد على أحد فِعْله ، ثم قال المأمون بعد ذلك : ماعلى من يأخذ من هذا المكان نقيصه بل له به الشرف والميزة ، ومدَّ يدَه وأخذ من الطيفور الذى كان بين يديه عود نبات وجعله فى كمه بعد تقبيله ، وأشار إلى الأمراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك وملأوا أكمامهم ، ودَخل الناس فأخذوا جميع ذلك . ثم خرج الوزير إلى داره والجماعة فى ركابه فوجد التعبية فيها من صدر المجلس إلى آخره على ما أمر به ، ولم يعدم مما كان بالقصر غير الصوانى الخاص ، فجلس على مرتبته والأجلاء أولاده واستدعى بالعوالى من الأمراء والقاضى والداعى والضيوف فحضروا وشَرُفوا بجلوسهم معه وحصل من مسرتهم بذلك مابسطهم ورفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف ثم انصرفوا . وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم إلى أن حمل جميع ماكان بالدار بأسره وانقضى حكم الفطور وعاد للتنفيذ فى غيره .

وضُرِبَت الطبول والأبواق على أبواب القصور والدار المأمونية وأحضرت التغايير وفرِّقت على أربابها

من الأجناد والمستخدمين ، وخرجت أزِمَّة العساكر ، فارسها وراجلها ، وندب الحاجب الذى بيده الدعو لترتيب صفوفها من باب القصر إلى المُصَلَّى ، ثم حضر إلى الدار المأمونية الشيوخ المميَّزون وجلس المأمون فى مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته ، ورُفعت الستور وابتدأ المقرئون وسلَّم متولى الباب والشيوخ ، ولم يدخل المجلس غير كاتب الدَّست ومتولى الحَجَبة وبالغ كل منهما فى زيِّه وملبوسه ، وجروا على رسمهم فى تقبيل الأرض وعَتَبة المجلس ، ووصل إلى الدار المأمونية التجمُّل الخاص الذى برسم الخليفة جميعه القصب الفضة والأعلام والمنجوقات والعقبات والعماريات ولواء الوزارة لركوب الخليفة بالمِظَلَّة بالطميم والمراكيب الذهب المرصَّعة بالجوهر وغير ذلك من التجملات ، وركب المأمون من داره وجميع التشاريف الخاص بين يديه ، وخَدَمَت الرَّهَجِيَّة ومن جملتهم الغريبة ، وهى أبواق لطافٌ عجيبة غريبة الشكل تُضْرب كل وقت يركب فيه الخليفة ولا تُضْرب قدَّام الوزير إلاَّ فى المواسم خاصة وفى أيام الخَلْع عليه ، والأمراء مصطفون عن يمينه وعن شماله ويليهم إخوته وبعدهم أولاده ، ودَخَل إلى الإيوان وجَلَس على المرتبة المختصة به وعن يمينه جميع الأجلاء والمميزون وقوف أمامه ومن انحطَّ عنهم من باب المُلْك إلى الإيوان قيام ، ويخرج خاصة الدولة رَيْحان إلى المُصَلَّى بالفَرْش الخاص وآلات الصلاة وعلَّق المحراب بالشروب المذهبة وفَرَش فيه ثلاث سجَّادات متراكبة ، وأعلاها السجادة اللطيفة التى كانت عندهم معَظَّمة ، وهى قطعة من حَصِير ذُكِر أنها كانت من جملة حصير لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يصلى عليها ، وفرَشَ الأرض جميعها بالحُصْر المحاريب ، ثم علَّق على جانبى المنبر وفرش جميع درجه وجعل أعلاه المخاد التى يجلس عليها الخليفة وعلَّق اللواآن عليه وقَعَد تحت القبة خاصة الدولة ريحان والقاضى وأطلق البَخُور ، ولم يفتح من أبوابه إلاَّ باب واحد وهو الذى يدخل منه الخليفة ، ويقعد الداعى فى الدهليز ونقباء المؤمنين بين يديه وكذلك الأمراء والأشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحِرَف ، ولا يُمَكَّن من الدخول إلاَّ من يعرفه الداعى ويكون فى ضَمَانه ، واستفتحت الصلاة وأقبل الخليفة من قصوره بغاية زيِّه والعلم الجوهر فى منديله وقضيب الملك بيده ، وبنو عمه وإخوته وأستاذوه فى ركابه ، وتلقَّاه المقرئون عند وصوله والخواص ، واستدعى بالمأمون فتقدَّم بمفرده وقبَّل الأرض وأخذ السيف والرمح من مقدِّمى خزائن الكسوة ، والرَّهَجِيَّة تَخْدم ، وحمل لواء الحمد بين يديه إلى أن خَرج من باب العيد ، فوجد المظلة قد نُشِرت عن يمينه والذى بيده الدعو فى ترتيب الحجبة لمَنْ شرُف بها لايتعدَّى أحدٌ حكمه

وسائر المواكب بالجنائب / الخاص وخيل التخافيف ومصفات العساكر والطوائف جميعها بزيِّها وراياتها وراء الموكب إلى أن وصل قريب المُصَلَّى والعَمَاريات والزَّرافات وقد شد على الفِيَلة بالأسرَّة مملوءة رجالا مشبكة بالسلاح لايُتَبَين منهم إلاَّ الأحداق ، وبأيديهم السيوف المجرَّدة والدرق الحديد الصينى ، والعساكر قد اجتمعت وترادفت صفوفاً من الجانبين إلى باب المُصَلَّى ، والنُظَّارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة مالم يبلغوه ، والموكب سائر بهم وقد أحاط بالخليفة والوزير صِبْيان الخَاص وبعدهم الأجناد بالدروع المسبلة والزَرْدِيات بالمغافر ملثمة والبروك الحديد بالصماصم والدبابيس ، ولما طلع الموكب من ربوة المُصَلَّى ترجَّل متولى الباب والحجَّاب ووقف الخليفة بجَمْعه بالمظلة إلى أن اجتاز المأمون راكباً بمن حول ركابه وردَّ الخليفة السلام عليه بكمه ، وصار أمامه وترجَّل الأمراء المميزون والأستاذون المحنَّكون بعدهم وجميع الأجلاء وصار كل منهم يبدأ بالسلام على الوزير ثم على الخليفة إلى أن صار الجميع فى ركابه ، ولم يدخل من باب المصلى راكباً غير الوزير خاصة ، ثم ترجَّل على بابه الثانى إلى أن وصل الخليفة إليه فاستدعى به فسلَّم وأخذ الشكيمة بيده إلى أن ترجل الخليفة فى الدهليز الآخر وقَصَد المحراب والمؤذنون يكبِّرون قدَّامه ، واستفتح الخليفة فى المحراب وسامته فيه وزيره والقاضى والداعى عن يمينه وشماله ليوصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين ويتَّصل منهم التكبير إلى مؤذنى مُصَلَّى الرجال والنساء الخارجين عن المُصَلَّى الكبير ، وكاتبُ الدَّست وأهله ومتولى ديوان الإنشاء يُصَلُّون تحت عَقْد المنبر ولا يُمَكَّن غيرهم أن يكون معهم .

ولما قضى الخليفة الصلاة ، وهى ركعتان ، قرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب و ﴿ هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ الغَـٰشِيَة ﴾ [الآية ١ سورة الغاشية] وكبرَّ سبع تكبيرات وَرَكَع وسجد ، وفى الثانية بالفاتحة وسورة ﴿ والشَّمْسُ وضُحَـٰهَا ﴾ [الآية ١ سورة الشمس]وكبَّر خمس تكبيرات ، وهذه سنَّة الجميع ومن ينوب عنهم فى صلاة العيدين على الاستمرار ، وسلَّم وخَرَج من المحراب وعَطَف عن يمينه والحرص عليه شديد ولا يصل إليه إلاَّ مَنْ كان خصيصاً به ، وصَعَد به ، وصَعَد المنبر بالخشوع والسكينة وجميع من بالمُصَلَّى والتُرْبة لا يسأم نظره ويكثرون من الدعاء له . ولما حصل فى أعلى المنبر أشار إلى المأمون فقبَّل الأرض وسارع فى الطلوع إليه وأدَّى مايجب من سلامه وتعظيم مقامه ، ووقف بأعلى درجة وأشار إلى القاضى فتقدَّم وقبَّل كل درجة إلى أن يصل إلى الدرجة الثالثة وقف عندها وأخرج الدعْو س كمه وقبَّله ووضَعَه على رأسه وأعلى بما تضمَّنه ، وهو ماجَرَتَ به العادة من تسمية يوم العيد

وسنَّته والدعاء للدولة – وكانت الحالُ فى أيام وزراء الأقلام والسيوف إذا حصل الخليفة فى أعلى المنبر بقى الوزير مع غيره ، وأشار الخليفة إلى القاضى فيقبِّل الأرض ويطلع إلى الدرجة الثالثة ويُخْرِج الدعو من كمه ويَقبِّله ويضَعَه على رأسه ويذْكر يوم العيد وسنَّته والدعاء للدولة ، ثم يستدعى بالوزير بعد ذلك فيصعد بعد القاضى – فراعى الخليفة ذلك الأمر فى حق الوزير فجعل الإشارة منه إليه أولا ورفعه عن أن يكون ماموراً مثل غيره وجعلها له ميْزة على غيره ممَّن تقدمه واستمرت فيما بعد . واسفتح الخليفة بالتكبير الجارى به العادة فى الفِطْر والخطبتين إلى آخرهما وكبَّر المؤذنون ورفع اللواآن وترجَّل كل أحد من موضعه كما كان ركوبه وصار الجميع فى ركاب الخليفة . وجرى الأمر فى رجوعه على ما تقدَّم شرحه ومضى إلى تربة أبائه – وهى سنتهم فى كل ركبة بمظلة وفى كل يوم جمعة مع صدقات ورسوم تفرَّق [١] .

وأما الوزير المأمون فإنه توجَّه وخرج من باب العيد والأمراء بين يديه إلى أن وصل إلى باب الذهب فَدَخَل منه ، بعد أن أمر ولده الأكبر بالوصول إلى داره والجلوس على سِمَاط العيد على عادته ، ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد الشروع قد وقع من المستخدمين بتعبية السِّمَاط فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها ، وهو مايُحْمل إلى مجلس الوزارة برسم الحاشية ولكل من حاشية أولاده وإخوته وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب ومتولى الديوان وكاتب الدفتر والنائب ، لكل منهم رسْمٌ يُصْرف قبل جلوس الخليفة وعند انقضاء الأسمطة لغير المذكورين على قدْر منزلة كل منهم ، ثم حَضَر أبو الفضائل ابن أبى اللَّيْث واستأذن على طيافير الفِطْرة الكبار التى فى مجلس الخليفة فأمره الوزير بأن يعتمد فى تفرقتها على ماكان يعتمده فى الأيام الأفضلية ، وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور ، فلما أخذ الخليفة راحةً بعد مضيه إلى التربة ، جَلَس على السرير وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالمينا معبأة بالزبادى الذهب واستدعى الوزير واصطفَّ الناس من المدورة إلى آخر السِّمَاط من الجانبين على طبقاتهم ، ورفعت الستور واستفتح المقرئون ووَفِىُّ الدولة إسعاف متولى المائدة مشدودُ الوسط ، ومقدم خزانة الشراب بيده شربة فى مرفع ذهب وغطاء مرصعين بالجوهر والياقوت ، ومتولى خزائن الإنفاق بيده خريطه مملوءة دنانير لمن يقف يطلب صدَقَة وإنعاماً فيؤمر بما يدْفع / إليه وتفرقة الرسوم الجارى بها العادة .

---

(١) قارن أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٧٦ – ١٧٨ فهو ابن المأمون فلعله هو ! .
ينقل عن تاريخ ابن أبى المنصور(؟) ونصُّه يتفق تماماً مع نص

ولعبت المنافقون والتحسارية وتناوب القرَّاء والمنشدون وأرخيت الستور وعبى السماط ثانياً على ماكان عليه أولاً ، ثم رفعت الستور وجلس على المدورة والسماط من جَرَت العادة به ، وفُرِّقت الدنانير على المقرئين والمنشدين والتحسارية والمنافقين ومن هو معروف بكثرة الأكل ، ونهبت قصور الخليفة وفرق من الأصناف ماجرت به العادة وأرخيت الستور ، وأحضر متولى خزانة الكسوة الخاص للخليفة بدلة إلى أعلى السرير حسبما كان أمره فلبسها ، وخَلَعَ الثياب التى كانت عليه على الوزير بعدما بالغ فى شكره والثناء عليه ، وتوجَّه إلى داره فوصل إليه من الخليفة الصوانى الخاص المكلَّلة معبأة على ماكانت بين يديه وغيرها من الموائد وكذلك إلى أولاده وإخوته صينية ، ولكاتب الدست ومتولى الحجبة للباب مثل ذلك ، ويكبر الوزير بجلوسه فى داره معلناً ، وتسارع الناس على طبقاتهم بالعيد والخِلَع وبما جرى فى صعود المنبر ، وحَضَر الشعراء وأسنيت لهم الجوائز وجرى الحالُ يومئذٍ فى جلوس الخليفة وفى السلام لجميع الشيوخ والقضاة والشهود والأمراء والكتاب ومقدمى الركاب والمتصدرين بالجوامع والفقهاء والقاهريين والمصريين واليهود برئيسهم والنصارى ببطريقهم على ماجرت به عادتهم ، وخَتَم المقرئون ، وقدمت الشعراء على طبقاتهم إلى آخرهم وجدد لكل من الحاضرين سلامه وانكفأ الخليفة إلى البَاذْهَنْج لأداء فريضة الصلاة والراحة بمقدار ماعبيت المائدة الخاص ، واستحضر المأمون وأولاده وإخوته على عادتهم واستدعى من شرُف بحضور المائدة وهم : الشيخ أبو الحسن كاتب الدست ، وأبو الرضى سالم ابنه ، ومتولى حجبة الباب ، وظهير الدين الكنانى على ما كان عليه الحال قبل الصيام وانقضى حكم العيد [١] .

خَزَائِنُ الجَوْهَرِ والطِّيبِ والطَّرَائف

قال ابن المأمون : وكان بها الأعلام والجوهر التى يرْكَب بها الخليفة فى الأعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد إليها عند الغِنَى عنها ، وكذلك السيف الخاص ، والثلاثة رِمَاح المعزية [٢] .

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٢ – ٤٥٥ وانظر أعلاه ص ٢٣ – ٢٥ و ٣٨ .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٤١٤ .

خَزَائِنُ الشَّرَاب

قال ابن المأمون : ولم يكن فى الإيوان فيما تقدَّم شراب حلو بل إنها قُرِّرت لاستقبال النظر المأمونى ، وأطلق لها من السكر مائة وخمسة عشر قنطاراً ، وبرسم الورد المربى خمسة عشر قنطاراً ، وأما مايستعمل بالكافورى من الحلو الفانيد والحامض فالمبلغ فى ذلك على ماحصره شاهده فى السنة ستة آلاف وخمسمائة دينار ، وما يحمل للكافورى أيضا برسم كرك المَاوَرْد مايستدعيه متولى الشراب [١] .

خِزَانَة التَّوَابِل

• وقال ابن المأمون : فأما التوابل العالى منها والدون فإنها جملة كثيرة ، ولم يقع لى شاهدٌ بها ، بل إننى اجتمعت بأحدِ من كان مستخدماً فى خزانة التوابل ، فذكر أنها تشتمل على خمسين ألف دينار فى السنة ، وذلك خارج عما يُحْمل من البقولات ، وهى باب مفرد مع المستخدم فى الكافورى . والذى استقر إطلاقه على حكم الاستيمار من الجِرَايَات المختصة بالقصور والرواتب المستجدة والمطلق من الطيب وبذكر الطراز وما يبتاع من الثغور ويستعمل بها وغير ذلك .

فأولها جراية القصور وما يُطْلق لها من بيت المال إدراراً لاستقبال النظر المأمونى ستة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وأربعون ديناراً تفصيله : منديل الكم الخاص الآمرى فى الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل يوم . أربع جمع الحمَّام فى كل جمعة مائة دينار ، أربعمائة دينار . وبرسم الإخوة والأخوات والسيدة الملكة والسيدات ، والأمير أبى على وإخوته ، والموالى والمستخدمات ومن استجد من الأفضليات ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون ديناراً . ولم يكن للقصور فى الأيام الأفضلية من الطِّيب راتب فيذكر ، بل كان إذا وصلت الهدية والنَجَاوى من البلاد اليمنية تحمل برمتها إلى الإيوان فينقل منها بعد ذلك للأفضل ، والطِّيب المطلق للخليفة من جملتها ، فانفسخ هذا الحكم وصار المرتب من الطِّيب مياومة ومشاهرة على ما يأتى ذكره .

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٠ .

ماهو برسم الخاص الشريف فى كل شهر ند مثلث ثلاثون مثقالاً ، عود صيفى مائة وخمسة دراهم ، كافور قديم خمسة عشر درهما ، عنبر خام عشرة مثاقيل ، زعفران عشرون درهما ، ماء ورد ثلاثون رطلاً برسم بخور المجلس الشريف فى كل شهر فى أيام السلام ، ند مثلث عشرة مثاقيل ، عود صيفى عشرون درهماً ، كافور قديم ثمانية دراهم ، زعفران شعر عشرة دراهم .

ماهو بَرَسْم بخور الحمَّام فى كل ليلة جمعة عن أربع جمع فى الشهر ند مثلث أربعة مثاقيل ، عود صيفى عشرة مثاقيل .

ماهو برسم السيدات والجهات والإخوة فى كل شهر : ند مثلث خمسة وثلاثون مثقالاً ، عود صيفى مائة وعشرون درهماً ، زعفران شعر خمسون درهماً ، عنبر خام عشرون مثقالاً ، كافور قديم عشرون درهماً ، مسك خمسة عشر مثقالاً ، ماء ورد أربعون رطلاً .

ماهو برسم المائدة الشريفة ما تستلمه المعلمة : مسك خمسة عشر مثقالاً ، ماء ورد خمسة عشر رطلاً .

ماهو برسم خزانة الشراب الخاص : مسك ثلاثة مثاقيل ند / مثلث سبعة مثاقيل ، عود صيفى خمسة وثلاثون درهماً ، ماء ورد عشرون رطلاً .

ماهو برسم بخور المواكب الستة وهى : الجمعتان الكائنتان فى شهر رمضان برسم الجامعين بالقاهرة — يعنى الجامع الأزهر والجامع الحاكمى — والعيدان ، وعيد الغدير ، وأول السنة بالجوامع والمُصَلَّى ، ند خاص جملة كثيرة لم تتحقق فتذكر ، ولم يكن للغُرَّتين — غُرَّة السنة وغُرَّة شهر رمضان — وفتح الخليج بخور فيذكر .

وعدَّة المبخِّرين فى المواكب ستة : ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن الشمال وكل منهم مشدود الوسط وفى كمه فحْمٌ بَرَسْم تعجيل المَدْخَنة والمداخن فضة ، وحامل الدرج الفضة الذى فيه البخور أحد مقدِّمى بيت المال ، وهو فيما بين المبخِّرين طول الطريق ، ويضع بيده البخور فى المدخنة . وإذا مات أحد هؤلاء المبخِّرين لا يخْدم عِوَضاً عنه إلاَّ من يتبرَّع بمدخنة فضة لأن لهم رسوماً كثيرة فى المواسم مع قُرْبهم فى المراكب من الخليفة ، ومن الوقت الذى يتبرع فيه بالمدخنة يرجع فى حاصل بيت المال . وإذا توفى حاملها لاترجع لورثته . وعدَّة مايبخِّر فى الجوامع والمُصَلَّى غير هؤلاء فى مداخن كبار فى صوانى فضة ثلاث صوان : فى المحراب إحداهنَّ ، وعن يمين المنبر وشماله اثنتان ، وفى الموضع الذى يجلس فيه الخليفة إلى أن تقام الصلاة صينية رابعة .

وأما البخور المُطْلق برسم المأمون فهو من كل شهر : ند مثلث خمسة عشر مثقالاً ، عود صيفى ستون درهماً ، عنبر خام ستة مثاقيل ، كافور ثمانية دراهم ، زعفران شعر عشرة دراهم ، ماء ورد خمسة عشر رطلاً .

ومنها مقرر الجامع وما قرّر من خزانة التفرقة فى كل يوم إثنا عشر مجمعا كل بيت عبارة رطل واحد ، ولكل مجمع ثلاثة أرطال جُبْن قَرِيش وفاكهة بنصف درهم . والمستقر لهذه المجامع فى كل يوم من اللبن خمسة وثمانون رطلاً ، ومنها مقرر الحلوى والفُسْتق . ومما استجد مايعمل فى الإيوان برسم الخاص فى كل يوم من الحلوى إثنا عشر جاماً رطبة ويابسة نصفين ، وزن كل جام من الرطب عشرة أرطال ومن اليابس ثمانية أرطال ، ومقرر الخُشْكَنانجُ والبسندود فى كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الآمرى والمأمونى قنطار واحد سكر ومثقالان مسك وديناران برسم المؤن لعمل خشكنانج وبسندود فى قعبان وسلال صفصاف ويحمل ثلثا ذلك إلى القصر والثلث إلى الدار المأمونية .

قال : وجَرَت مفاوضة بين متولى بيت المال ودار الفِطْرة بسبب الأصناف ، ومن جملتها الفستق وقلّة وجوده وتزايد سعره إلى أن بَلَغ رطل ونصف بدينار ، وقد وقف منه لأرباب الرسوم ماحصل شكواهم بسببه ، فجاوبه متولى الديوان بأن قال : ماتم موجب الإنفاق لما هو راتب من الديوان وطالَعَا المقام العالى بأنه لما رسم لهما ذكرا جميع ما اشتمل عليه ماهو مستقر الإنفاق من قلب الفستق ، والذى يُطْلق من الخزائن من قلب الفستق ادرارا مستقراً بغير استدعاء ولا توقيع مياومة كل يوم حساباً فى الشهر التام عن ثلاثين يوماً خمسمائة وخمسة وثمانون رطلاً ، وفى الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوماً خمسمائة وخمسة وستون رطلاً حساباً عن كل يوم تسعة عشر رطلاً ونصف ، من ذلك مايستلمه الصنّاع الحلاويون والمستخدمون بالإيوان مما يُصْنَع به خاص خارجاً عما يُصْنع بالمطابخ الآمرية عن إثنى عشر جام حلوى خاص وزنها مائة وثمانية أرطال ، منها رطب ستون رطلاً ويابس وغيره ثمانية وأربعون رطلاً مما يُحْمل فى يومه وساعته ، منها مايحمل مختوماً برسم المائدتين الآمريتين بالبَاذْهَنْج والدار الجديدة اللتين مايحضرهما إلاّ مَنْ كبرت منزلته وعَظُمت وجاهته ، جامان رطباً ويابساً . وما يفرق فى العوالى من الموالى والجهات على أوضاع مختلفة تسع جامات ، وما يحمل إلى الدار المأمونية برسم المائدة بالدار دون السماط جام واحد . تتمة المياومة المذكورة ما يتسلمه مقدم الفراشين فى خدمة المائدة الشريفة التى تتولاها المعلمة بالقصور الزاهرة أربعة أرطال فُسْتق . مايتسلمه

الشاهد والمُشَارف على المطابخ الآمرية مما يُصْنع فيها برسم الجامات الحلوى وغيره مما يكون على المدوَّرة فى الأسمطة المستمرة بقاعة الذهب فى أيام السلام وفى أيام الركوبات وحلول الركاب بالمناظر أربعة أرطال . وما يتسلَّمه الحاج مُقْبل الفرَّاش برسم المائدة المأمونية مما يوصله لزمام الدار دون المطابخ الرجالية رطلان .

الحكم الثانى يُطْلق مشاهرة بغير توقيع ولا استدعاء بأسماء كبراء الجهات والمستخدمين من الأصحاب والحواشى فى الخدَم المميَّزة وهو فى الشهر ثلاثة عشر رطلاً . والديوان شاهد بأسماء أربابه وما يُطْلق من هذه الخزائن السعيدة بالاستدعاءات والمطالعات ويوقَّع عليه بالإطلاق من هذا الصنف فى كل سنة على مايأتى ذكره .

وما يستدعى برسم التوسعة فى الراتب عند تحويل الركاب العالى إلى اللؤلؤة مدة أيام النيل المبارك فى كل يوم رطلان .

وما يستدعى برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوماً رجب وشعبان حساباً عن كل يوم رطلان مائة وثمانية عشر رطلاً .

وما يستدعى لما يُصْنع بدار الفِطْرة فى كل ليلة برسم الخاص خُشْكَنانَج لطيفة وبسندود وجوارشات ونواطف ويحمل فى سلال صفصاف لوقته عن مدة أولها مستهل رجب وآخرها سلخ رمضان عن تسعة وثمانين يوماً مائة وثمانية وسبعون رطلاً ، لكل ليلة رطلان ويسمى ذلك بالتعبئة .

وما يستدعيه صاحب بيت المال ومتولى الديوان فيما يُصْنع بالإيوان الشريف برَسْم المَوَالد الشريفة الأربعة : النبوى والعلوى والفاطمى والآمرى مما هو برسم الخاص والموالى والجهات بالقصور الزاهرة والدار المأمونية والأصحاب والحواشى ، خارجاً عما يُطْلق مما يُصْنَع بدار الوكالة ويفرَّق على الشهود والمتصدِّرين والفقراء والمساكين ، مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن عشرون رطلاً قلب فستق حساباً لكل يوم مؤبد منها خمسة أرطال .

مايستدعى برسم ليالى الوقود الأربع الكائنات فى رجب وشعبان مما يعمل بالإيوان برَسْم الخاصيين والقصور خاصة عشرون رطلاً لكل ليلة خمسة أرطال .

وأما ماينصرف فى الأسمطة والليالى المذكورات فى الجامع الأزهر بالقاهرة والجامع الظاهرى بالقرافة ، فالحكم فى ذلك يخرج عن هذه الخزائن ويرجع إلى مُشَارف الدار السعيدة ، وكذلك مايستدعيه المستخدمون فى المطابخ الآمريه من التوسعة من هذا الصنف المذكور فى جملة غيره برسم الأسمطة

لمدة تسعة وعشرين يوماً من شهر رمضان وسلخه ، لاسماط فيه ، وفى الأعياد جميعها بقاعة الذهب .

وما يستدعيه النائب برسم ضيافة من يُصْرَف من الأمراء فى الخِدَم الكبار ويعود إلى الباب ومن يَرِد إليه من جميع الضيوف ، وما يستدعيه المستخدمون فى دار الفِطْرة برسم فَتْح الخليج ، وهى الجملتان الكبيرتان ، فجميع ذلك لم يكن فى هذه الخزائن محاسبته ولا ذكر جملته ، والمعاملة فيه مع مُشَارِف الدار السعيدة .

وأما مايُطْلق من هذا الصنف من هذه الخزائن فى هذه الولائم والأفراح وإرسال الإنعام فهو شيء لم تتحقق أوقاته ولا مبلغ استدعائه أنهى المملوكان ذلك . والمجلس فضل السمو والقدرة فيما يأمر به إن شاء الله تعالى [١] .

دَارُ التعْبِيَـــة

قال ابن المأمون : دار التعبية كانت فى الأيام الأفضلية تشتمل على مبلغ يسير فانتهى الأمر فيها إلى عشرة دنانير كل يوم خارجاً عما هو موظَّف على البساتين السلطانية ، وهو النرجس والنينوفران الأصفر والأحمر والنخل الموقوف برسم الخاص وما يصل إليه من الفيوم وثغر الإسكندرية ، ومن جملتها تعبية القصور للجهات والخاص والسيدات ، ولدار الوزارة ، وتعبية المناظر فى الركوبات إلى الجُمَع فى شهر رمضان ، خارجاً عن تعبية الحمامات وما يحمل كل يوم من الزهرة ، وبرسم خزانة الكسوة الخاص ، وبرسم المائدة وتفرقة الثمرة الصيفية فى كل سنة على الجهات والأمراء والمستخدمين والحواشى والأصحاب ، وما يُحْمَل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة [٢] .

خزانـــة الأدم

قال [ابن المأمون] : وأما الراتب من عند بركات الأدمى ، فإنه فى كل شهر ثمانون زوجاً أوطية ، من ذلك برسم الخاص ثلاثون زوجاً ، برسم الجهات أربعون زوجاً ، برسم الوزارة عشرة أزواج خارجاً عن السباعيات فإنها تستدعى من خزانة الكسوة وفى كل موسم تكون مذْهَبة [٣] .

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٠ — ٤٢٢ .

[٢] المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٢ .

[٣] المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٢ .

ما كان يُضْرب فى خميس العَدْس من خراريب الذهب

قال ابن المأمون : وأحضر الأجلُّ المأمون كاتب الدفتر وأمره بالكشف عما كان يُضْرب برَسْم خميس العَدْس من الخراريب الذهب ، وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خرُّوبة . واستدعى كاتب بيت المال ووقَّع له بإطلاق ألف دينار ، وأمر بإحضار مُشَارف دار الضرب وسلَّمها إليه فاعتمد ذلك ، وضُرِبَت عشرون ألف خروبة وأحضرها ، فأمر بحملها إلى الخليفة ، فسيَّر الخليفة منها إلى المأمون ثلاثمائة دينار . وذكر أنها لم تُضْرب فى مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة ثم بَطُل حكمُها ونسى ذكرها .

قال : وصار مايُضْرب باسم الخليفة ، يعنى الآمر بأحكام الله ، فى ستة مواضع : القاهرة ومصر وقُوص وعَسْقلان وصُور والإسكندريه [1] .

الأهْرَاء الخليفية

وذكر ابن المأمون : أن غلاَّت الوجه القبلى كانت تحمل إلى الأهْرَاء [2] ، وأما الأعمال البحرية والبحيرة والجزيرتان والغربية والكفور والأعمال الشرقية ، فيُحْمل منها اليسير ، ويحُمْل باقيها إلى الإسكندرية ودِمْياط وتنِّيس ليسيَّر إلى ثغْر عسقلان وثغر صور ، وأنه كان يسيَّر إليهما فى كل سنة مائة وعشرون ألف أردب ، منها لعسقلانى خمسون ألفا ولصور سبعون ألفا فيصير هناك ذخيرة ، ويبَاع منها

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٠ .

(٢) الأهْرَاء . جمع هُرِى ، وهى الأماكن التى تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالخليفة احتياطاً للطوارئ . وكانت فى عدة أماكن بالقاهرة وكانت تحتوى على ثلاثمائة ألف أردب من الغلات وأكثر من ذلك ، كما كان فيها عدة مخازن ، ولها الحماة والمشارفون من العدول . (قارن ابن مماتى : قوانين الدواوين ٣٥٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ١ : ٧١ هـ[١] ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٥ النويرى : نهاية الأرب ٨ : ٢١٩) .

وكانت الغلال تصل إليها بالمراكب فى ساحل مصر وساحل المقس ، وأكثر ماكان يحمل إليها من الوجه القبلى .

ذكر ابن الطوير أنها فى أيامه قد صارت اسطبلات ومناخات ، وحدد المقريزى موضعها حيث موضع خزانة شمائل وما وراءها إلى قرب الحارة الوزيرية . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٤ – ٤٦٥ ، وعلى مبارك : الخطط التوقيقية ١ : ٤٩) .

وخزانة شمائل أحد سجون القاهرة ، كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه بجوار السور ، عرفت بالأمير علم الدين شمائل فى أيام الملك الكامل محمد الأيوبى ، وهَدَمها الملك المؤيد شيخ المحمودى فى سنة ٨١٨ هـ وأدخلها فى جملة ماهدمه من الدور التى أدخلها فى مدرسته . (المقريزى : الخطط ٢ : ١٨٨ ، وراجع أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٥١ هـ[٢] و ١٠ : ١٦ هـ[١]) .

عند الغنى عنها . قال : وكان متحصَّل الديوان فى كل سنة ألف ألف أردب [١] .

صِبْيَان الحُجَرِيَّـة

قال ابن المأمون : وكان من جملة الحُجَرِيَّة [٢] الذين يحضرون السماط ، رجل يعرف بابن زحل ، وكان يأكل خروفاً كبيراً مشوياً ويستوفيه إلى آخره ، ثم يقدَّم له صحنٌ كبير من القصور المعمولة بالسكر وجميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها مالم يعمل قط مثله من الأطعمة ، فيأكل معظمه ، وكان يقْعد فى طرف المدوَّرة حتى يكون بالقرب من نظر الخليفة — لا لميزته — وكان من الأجناد وأُسِر فى أيام الأفضل وقيَّده الفرنجى الذى أسره وعذَّبه وطالت مدته فى الأسر وكان فقيراً ، فاتفق أن ذكر للفرنجى كثرة أكله ، فأراد أن يمتحنه فقال له : احضر لى عجلاً ، أكبر عجل عندكم ، آكله إلى آخره ، فضحك منه الفرنجى ونقص عقله وأتاه بعجل كبير ، ويقال بخنزير ، فقال له : اذبحه واشوه وائتنى معه بجرَّة خل ، ثم قال : إذا أكلته مايكون لى عندك ؟ فغَلَط الفرنجى وقال له : أطلقك تمضى إلى أهلك ، فاستحلفه على ذلك وغلَّظ عليه اليمين ، وأحضر الفرنجى عدةً من أصحابه ليشاهدوا فِعْله ، فلما استوفى العجل جميعه صلَّب كل من الحاضرين على وجهه / وتعجَّب من فعله وأطلقه ، فقال : أخاف من أن يعتقد أننى هربت فأُرَدُّ إليكم ، فأحضر الفرنجى من العربان من سلَّمه إليهم ولم يشعر به إلاَّ بباب عسقلان ، فطلع منها وأُعفى بعد ذلك من السفر وبقى برسم الأسمطة [٣] .

ركوب الخليفة للنُزْهَـة

قال ابن المأمون : فأما يوم السبت والثلاثاء فيكون ركوب الوزير من داره بالرَّهَجِيَّة ويتوجه إلى القصر فيُرْكِب الخليفة إلى ضواحى القاهرة ، فى مثل الرَّوْضَة [٤] ، والمُشْتَهى [٥]

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٥ .

[٢] عن صبيان الحجر راجع ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٤٣ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٧ ، أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٥١ .

[٣] المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٣ وقارن ١ : ٣٨٨ .

[٤] الرَّوْضَه . هى الجزيرة التى بين مدينة مصر (الفسطاط) ومدينة الجيزة . وكانت فى أول الأمر تعرف بالجزيرة وكان بها بستاناً نزِهاً يسمى المختار اتخذه محمد بن طُغْج الإخشيد وظلَّ كذلك أيضاً فى أيام الفاطميين إلى أن تولَّى الأفضل بن أمير الجيوش فأنشأ فى بحرى الجزيرة مكاناً نَزِهاً سماه « الروضة » وكان يتردد إليه تردداً كثيراً ، فلما قُتِل الأفضل واستبدَّ الآمر بالأمر أنشأ لمحبوبته البدوية مكاناً بالجزيرة سماه الهَوْدَج . (المقريزى الخطط ، ٢ : ١٧٧ — ١٨٢ وخاصة ١٨١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ٣٧٩) .

[٥] المُشْتَهى . من الأماكن التى اتَّخَذها خلفاء الفاطميين للنزهة . (المسبحى : أخبار مصر ٢٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٩٠)

ودار المُلْك [١] ، والتاج [٢] ، والبَعْل [٣] ، وقُبَّة الهواء [٤] ، والخمسة وجوه [٥] ، والبستان الكبير [٦] . وكان لكل منظرة منهن فرشٌ معلوم مستقر فيها من الأيام الأفضلية للصيف والشتاء ، وتُفَرَّق الرسوم ويسَلَّم لمقدمى الركاب اليمين والشمال لكل واحد عشرون ديناراً وخمسون رباعياً ، ولتالى مقدم الركاب اليمين مائة كَاغِدَة فى كل كاغدة ثلاثة دراهم ، ومائة كاغدة فى كل كاغدة درهمان ، ولتالى مقدم الشمال مثل ذلك . فأما الدنانير فلكل باب يخرج منه من البلد دينار ، ولكل باب يدخل منه دينار ، ولكل جامع يجتاز عليه دينار ماخلا جامع مصر فإن رسمه خمسة دنانير ، ولكل مسجد يجتاز عليه رباعى ولكل من يقف ويتلو القرآن كاغدة ، والفقراء والمساكين من الرجال والنساء لكل من يقف كاغدة ، ولكل من يُرْكب الخليفة ديناران ، ويكون مع هذا متولى صناديق الإنفاق يحْجِب الخليفة وبيده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤْمَر به ، فإذا حصل فى إحدى المناظر المذكورة فرَّق من العَيْن ما مبلغه سبعة وخمسون ديناراً ، ومن الرباعية مائة وستة وثمانون ديناراً للحواشى والأستاذين وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والمنجمين وغيرهم ، ومن الخِرَاف الشواء خمسون رأساً ؛ منها طبقان حارة مكملة مشورة برسم المائدة الخاص

---

[١] دار المُلْك ، انظر أعلاه ص ١٥ وفيما يلى ص ١٠١ — ١٠٢ .

[٢] التاج . منظرة بناها الوزير الأفضل شاهنشاه ، وكان ينزلها خلفاء الفاطميين للنزهة . وكان لها فرشٌ معَدٌّ لها للشتاء والصيف . قال المقريزى : وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم تحته الحجارة الكبار ، وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضى منية السيرج . (ابن ميسر : أخبار مصر ٨٧ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٨١) .

[٣] البَعْل . الأرض المرتفعة التى لا يصيبها المطر إلاَّ مرة واحدة فى السنة وقيل كل شجر أو زرع لايُسْقى .

وهو منظرة بناها الأفضل شاهنشاه بظاهر القاهرة من جهتها البحرية الغربية بجانب الخليج الغربى بحرى أرض الطَّبَّالة (الفجَّالة الآن) تجاه قناطر الإوَزّ . وقد خرب البستان وبقيت منه آثار أدركها المقريزى يعْطن بها الكتان . وقد دَخَل أغلبها الآن فى الترعة الإسماعيلية .

(ابن ميسر : أخبار مصر ٨٧ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٠ — ٤٨١ و ٢ : ١٢٩ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ١ : ٥٥) .

[٤] قبة الهواء . من منتزهات الخلفاء الفاطميين كانت فيما بين منظرة التاج ومنظرة الخمس وجوه . يحيط بها عدَّة بساتين لكل بستان منها اسم ، ولها فُرُشٌ معدَّة فى الشتاء والصيف . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٧) .

[٥] الخمسة وجوه . بناها الأفضل بن بدر الجمالى . قال المقريزى : بقى منها أثار بناء جليل على بئر متسعة كانت بها خمسة أوجه من المحال الخشب ، التى تنقل الماء لسقى البستان ... وموضعها إلى وقتنا هذا من أعظم متفرجات القاهرة .

(ابن ميسر : أخبار مصر ٨٧ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٨١) .

وهى تقع اليوم فى المنطقة المعروفة بمَهْمَشَة غرب القاهرة . (على مبارك : الخطط التوفيقية ١ : ٥٥) .

[٦] راجع المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٧ .

مضافاً لما يُحْضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات ، وطبق واحد برسم مائدة الوزير ، وبقية ذلك بأسماء أربابه ، ورأسا بقر برسم الهرائس . فإذا جَلَس الخليفة على المائدة استدعى الوزير وخواصه ومن جَرَت العادة بجلوسه معه ، ومَنْ تأخَّر عن المائدة ممَّن جَرَت عادته بحضورها حُمِل إليه من بين يدى الخليفة على سبيل التشريف ، وعند عود الخليفة إلى القصر يُحَاسب متولى الدفتر مقدِّمى الركاب على ما أُنْفِق عليه فى مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب ودابة .

وأما تفرقة الصدقات فهم فيها على حكم الأمانة . قال : وإذا وقع الركوب إلى الميادين جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الإنعام ، ويؤمر متولى خزائن الخاص وصناديق الإنفاق أن يكون معه خريطة فى السرج ديباج تسمَّى خريطة الموكب فيها ألف دينار معدَّة لمَنْ يؤْمَر بالإنعام عليه فى حال الركوب [١] .

تحوُّل الخليفة الآمر بأحكام الله إلى اللُّؤْلُؤَة

قال ابن المأمون : ولما وقع الاهتمام بسَكَن اللؤلؤة [٢] والمُقَام فيها مدَّة النيل على الحكم الأوَّل ، يعنى قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الأفضل ، أمر بإزالة مالم تكن العادة جارية به من مضايقتها بالبناء ، ولما بَدَت زيادة النيل وعوَّل الخليفة الآمر بأحكام الله على السكن باللؤلؤة ، أمر الأجل الوزير المأمون بأخذ جماعة الفراشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بها على سبيل الحراسة لا على سبيل السكن بها .

وعندما بلَغ النيل ستة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخِيَم ، وعندما قارب النيل الوفاء تحوَّل الخليفة فى الليل من قصوره بجميع جهاته وإخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعمَّاته إلى اللؤلؤة ، وتحوَّل المأمون إلى دار الذهب [٣] ، وأُسْكن الشيخ أبا الحسن محمد بن أبى أسامة الغَزَالَة على شاطىء الخليج [٤] ،

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٨١ .

[٢] انظر أعلاه ص ٥٦ .

[٣] انظر أعلاهص ٥٦ وفيما يلى ص ١٠٠ .

[٤] منظرة الغَزَالَة . كانت بجوار منظرة اللؤلؤة فى مقابل حمام ابن قَرْقَة . وأصبح موضعها فى زمن المقريزى رَبْع يعرف برَبْع غزالة إلى جانب قنطرة الموسكى فى حدِّها الشرق . وكان يسكنها الأمير أبو القاسم بن المستنصر والد الخليفة الحافظ لدين الله ، ثم سكنها أبو الحسن بن أبى أسامه كاتب الدست ، وبعد ذلك كان ينزل بها من يتولى الخِدْمة فى الطِّراز أيام الخلفاء . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٩ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ٣ : ٢٧٠ وفيما يلى ص ٩٤) .

وسَكَن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج ، وأمر متولى المعونة [1] أن يكشف الآدر المطلّة على الخليج قبلى اللؤلؤة ولا يمكّن أحداً من السكن فى شىء منها إلاّ من كان له مِلْك ، ومن كان ساكناً بالأجرة يُنْقَل ويقام بالأجرة لرب المِلْك ليسكن بها حواشى الخليفة مدة سنة ، وقرَّر من التوسعة فى النفقات وما يكون برسم المستخدمين فى المبيتات مايختص برواتب مدة المقام فى اللؤلؤة فى أيام النيل مياومة من الغنم والحيوان وجميع الأصناف ، وهى جملة كبيرة . وأمر متولى الباب أن ينُدب فى كل يوم خروف شواء وقنطار خبز ، وكذلك جميع الدروب من يحرسها ويطْلق لهم برسم الغداء مثل ذلك ، وتكون نوبة دائرةً بينهم ، وبقية مستخدمى الركاب ملازمون لأبواب القصر على رسمهم . وفى يومى الركوب يجتمعون للخدمة ، إلاَّ مَنْ هو فى نوبته فيما رُسِم له .

وأمر متولى زمام المماليك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة ، وفى الليل يبيت منهم عدَّة بَرسْم الخدمة تحت اللؤلؤة ولهم فى كل يوم مثل ماتقدَّم ، والرَّهَجيَّة تقسَّم قسمين : أحدهما على أبواب القصور ، والآخر على أبواب اللؤلؤة ، وأصحاب الضوء مثل ذلك . وقدر للجماعة المقدَّم ذكرها فى الليل عن رَسْم المبيت وعن ثَمَن الوقود ما يخْرج إليهم مختوماً بأسماء كل منهم ، ويعْرِضهم متولى الباب فى كل ليلة بنفسه عند رَوَاحِه وعَوْده ، وكذلك مايختصّ بدار الذهب من الحرس عليها من باب سَعَادة ومن باب الخُوَخة ، ولهم رسوم كما تقدَّم لغيرهم . والمتفرِّجون يخرجون كل ليلة للنزهة عليهم ويقيمون إلى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج فى شىء من ذلك عما يوجبه الشرع .

وفى يومى السلام يمضى الخليفة من قصوره بحيث لايراه إلا أستاذوه وخواصه إلى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقى [2] ، ويحضر الوزير على عادته إليه فيكون السلام بها على مستمر العادة ، والأسْمِطَة بها فى يومى الاثنين والخميس ، وتكون الركوبات من اللؤلؤة فى يومى السبت والثلاثاء إلى المنتزهات [3] .

---

(1) عن وظيفة متولى المعونة ، انظر أعلاه ص ١٨ - ١٩ .

(2) قاعة الذهب وتعرف أيضاً بقصر الذهب . أحد قاعات القصر الكبير من بناءالعزيز بالله ، كان يدخل إليها من باب الذهب وأيضاً من باب البحر الذى يقع تجاه المدرسة الكاملية (مسجلة بالآثار برقم ٤٢٨) . كان يعمل بها سِمَاطُ رمضان وسِمَاطُ العيدين وبها سرير الملك . (المسبحى : أخبار مصر ٢٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ١١٣ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٩٥) .

وموضعه اليوم مجموعة المبانى الواقعة خلف مدرسة النحّاسين الابتدائية (عقار رقم ١٩ شارع المعز لدين الله) بين شارع بيت القاضى وحارة بيت القاضى .

(3) المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٨ .

* * *

قال ابن المأمون : لما ذكر تحوّل الخليفة الآمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة : ثم أحضر الوزير المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان وأمره أن يمضى إلى دارى الفَلَك والذهب اللتين على شاطئ الخليج ، فالدار الأُولى التى من حيِّز باب الخوخة بناها فَلَك المُلْك ، وذكر أنه من الأستاذين الحاكمية ، ولم تكن تُعرف إلاَّ بدار الفلك . ولما بنى الأفضل بن أمير الجيوش الدار الملاصقة لها التى من حيِّز باب سعادة وسمَّاها دار الذهب غلُب الاسم على الدارين ، ويصْلح مافسد منهما ويضيف إليهما دار الشابورة ، وذكر أن هذه الدار لم تسم بهذا الاسم إلاَّ لأن جزءً منها بيع فى أيام الشدة المستنصرية بشابورة حلواء .

قال : وعندما قارب النيل الوفاء تحوَّل الخليفة فى الليل من قصوره بجميع جهاته وإخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته إلى اللؤلؤة ، وتحوَّل الأجلّ المأمون بالأجلاَّء أولاده إلى دار الذهب وما أضيف إليها [١] .

قال ابن المأمون ، لما ذكر تحوّل الخليفة الآمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة : وأسكن الشيخ أبا الحسن ابن أبى أسامة ، كاتب الدست ، الغَزَالة التى على شاطئ الخليج ، ولم يسكن أحدٌ فيها قبله ممن يجرى مجراه ولا كانت إلاَّ سَكَن الأمير أبى القاسم والد المستنصر والد الإمام الحافظ .

قال : وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه مثل الاستيمار ، والشائع فيها أنها كانت تشتمل فى الأيام الأفضلية على أحدٍ وثلاثين ألف دينار ، فمن ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراق والمصرى ستة عشر ألف دينار ، ثم اشتملت فى الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت فى الأيام الآمرية [٢] .

منْظَرة الصِّنَاعَـة

قال ابن المأمون : وكانت جميع مراكب الأساطيل ما تنشأ إلاَّ بالصناعة التى بالجزيرة ، فأنكر

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٠ .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٩ .

الوزير المأمون ذلك ، وأمر بأن يكون إنشاء الشَّوانى وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر ، وأضاف إليها دار الزبيب وأنشأ المنظرة بها واسمه باقٍ إلى الآن عليها ، وقَصَد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدمة الأساطيل ورميها بالمنظرة [١] المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الجرانى والشلنديات فى الصناعة بالجزيرة .

قال : ولما وفَّى النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة والوزير إلى الصناعة بمصر ورميت العُشَارِيَّات بين أيديهما ثم عدَّيا فى إحداهما إلى المِقْيَاس [٢] .

دَارُ المُلْك

قال ابن المأمون : ومن جُمْلة ما قررَّه القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة وتفخيم أمر السلطنة أن / المجلس الذى يجلس فيه الأفضل بدار الملك [٣] يسمَّى مجلس العطايا ، فقال القائد : مجلسٌ يُدْعى بهذا الاسم مايُشَاهد فيه دينار يُدْفع لمن يسأل ، وأمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين وجعل فى سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار فى كل ظرف خمسة آلاف دينار سكب وبطاقة بوزنه وعدده وشرَّابة حرير كبيرة ، من ذلك ستة ظروف دنانير بالسوية عن اليمين والشمال فى مجلس العطايا الذى برسم الجلوس . وعند مرتبة الأفضل بقاعة اللؤلؤة ظَرْفان أحدهما دنانير والآخر دراهم جُدُد ، فالذى فى اللؤلؤة برسم مايستدعيه الأفضل إذا كان عند الحرم ، وأما الذى فى مجلس العطايا فإن جميع الشعراء لم يكن لهم فى الأيام الأفضلية ولا فيما قبلها على الشِّعْر جارٍ ، وإنما كان لهم إذا اتُّفِق طَرَبُ السلطان واستحسانه لشِعْرٍ من أنْشَد منهم ما يسَهِّله الله على حكم الجائزة ، فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف .. ، .. وكذلك من يتضرَّع ويسأل فى طلب صَدَقة أو يُنْعَم عليه ابتداء بغير سؤال يُخْرج ذلك من الظروف . وإذا انصرف الحاضرون نزَّل القائد المبلغ بخَطِّه فى البطاقة ويكتب عليه الأفضل بخطه صَحَّ ، ويعاد إلى الظرف ويختم عليه .

---

(١) منظرة الصناعة . كانت على الساحل القديم من مصر من جملة منتزهات الخلفاء يجلس بها حتى تقدم له العشاريات فيركبها ويسير إلى المقياس . وهى من إنشاء الوزير المأمون البطائحى . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٢) .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٢ .

(٣) انظر أعلاه ص ١٥ .

فلما استهل رجب من سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وجَلَس الأفضل فى مجلس العطايا على عادته وحضر الأجلُّ المظفر أخوه للهناء وجلس بين يديه وشاهد الظروف والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه ، وتقدَّمت الشعراء على طبقاتهم أمر لكلٍّ منهم بجائزة وشَاعَ خَبَرُ الظروف وكَثُر القول فيها واستعظم أمرها وضوعف مبلغها ، واتسع هذا الإنعام بالصدقات الجارى بها العادة فى مثل هذا الشهر لفقهاء مصر والرباطات بالقرافة وفقرائها [١] .

خَيْمَة القَاتُول

قال ناظم سيرة المأمون : وعَمَل الأفضل خيمة سمَّاها « خَيْمَة الفَرَج » ثم سمِّيت بـ « القَاتُول » [٢] ، لأنها كانت إذا نُصِبَت يموتُ تحتها من الفرَّاشين رجلٌ أو رجلان ، اشتملت على ألف ألف ذراع ، وكان ارتفاعها خمسين ذراعاً بذراع العمل ، أنفق عليها عشرة آلاف ألف دينار .
ومَدَحَهُ جماعةٌ من الشعراء وذكروا هذه الخيمة منهم : أبو جعفر محمد بن هبة الله الطَّرابُلْسى [٣] بقصيدته التى يقول فيها [٤] :

[البسيط]

ضَرَبْتَ خَيْمَةَ عزٍّ فى مقرٍّ عُلاً	أوْفَتْ على عَذَبَاتِ الطُور ذى الفُتَن
جاءَت مدى الطَّرْفِ حتى خلْتُ ذروتَها	تأْوى الفَلَكِ الأعلى إلى سَكَنِ
أقطارُها مُلئت من منظرٍ عجبٍ	يُبْدى إليك ذكاء الصانع الفَطِنِ
فمن رياضٍ سقاها القطر صيِّبة	فما بها ظمأ يوماً إلى المُزُنِ
وجامحٍ فى عنانٍ لا يجاذبُهُ	وطائرٍ غير صدَّاحٍ على فَنَنِ
وأرْقَمٍ لا يمُجُّ السمَّ ريقَتُه	وضَيْغَمٍ ليس بالعادى ولا الوَهِنِ
ومائلين صفوفاً فى جوانبها	لو يستطيعون خرَّ الجَمْعُ للذَّقْنِ
زِينَت بأروعَ لاتُحْصَى فضائله	ماضٍ من المجد والعلياء فى سَنَنِ

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٣ - ٤٨٤ .
(٢) عن خيمة القاتول انظر اعلاه ص ٥٥ .
(٣) ترجمته عند العماد الأصفهانى : خريدة القصر (قسم مصر) ١ : ١٢١ - ١٤٤ .
(٤) العماد الأصفهانى : خريدة القصر ١ : ١٤١ - ١٤٢ .

وأطلع الدَّسْتَ فيها شمسَ مملكةٍ ... تُرى التأمُّلَ فَضْلَ العينِ والأذُنِ
وَعْدٌ على السَّعْدِ إن النصر يضربها ... بالصين بعد فتوح الهند واليَمَنِ

وقال أبو عليٍّ حسن بن زيد الأنْصَارى[1] ، الكاتب بديوان المكاتبات ، يصفها ويَمْدَح الأفضل[2] :

[البسيط]

مهلاً قد قصَّرتْ عن شأوِكَ الأُمَمُ ... وأبْدَت العجزَ عنها هذه الهِمَمُ
أخَيْمَةٌ مانَصَبْتَ اليومَ أم فَلَكُ ! ... ويقظةٌ مانراهُ منك أم حُلُمُ
ماكان يُخْطِرُ فى الأفكار قبْلَك أنْ ... تَسْمُو عُلُوّاً على أفْقِ النهى الخِيَمُ
حتى أتَيْتَ بها شمَّاءَ شاهِقَةً ... فى مارِنِ الدَّهْرِ من تيهٍ بها شَمَمُ
إن الدَلِيلَ على تكوينها فَلَكاً ... أنِ احتوتك وأنتَ الناسُ كُلُّهُمُ

ومنها :

لديك جَيشٌ وجيشٌ فى جوانبها ... مصَوَّرٌ وكِلاَ الجيشين مزدحمُ
إذا الصَّبَا حرَّكتها ماج موكبُها ... فمُقْـــدمٌ منهم فيها ومنهزمُ
أخَيْلُها خَيْلُكَ اللاتى تغيرُ بها ... فليس ينزعُ عنها الحُزْمُ واللُّجُمُ
عَلَّمتَ أبطالها أن يُقْدموا أبدا ... فكلُّهم لغُبَار الحرب مقتحمُ
أمَّنْتَهم أن يخافوا سطوةً لردًى ... فقد تسالمت الأسيافُ واللِّمَمُ[3]
كأنها جنَّـةٌ والقاطنـون بها ... لا يستطيل على أعمارهم هَدَمُ
عَلَت فخِلْنَا لها سِرّاً تحدِّثُهُ ... للفرْقَدَيْنِ وفى سمعيهما صَمَمُ
إنْ أنبتت أرضها زهراً فلا عجبٌ ... وقد هَمَت فوقها من كفك الدِّيَمُ[4]

---

[1] ترجمته عند ، العماد الأصفهانى : خريدة القصر (قسم مصر) ٢ : ٦٧ - ٨٢ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ٢٣٧ - ٢٣٨ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ١٢ : ٢٢ - ٢٤ ، وانظر ابن ميسر : أخبار مصر ١٣٩ ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٢٩٤ - ٢٩٥ .

[2] العماد الأصفهانى : الخريدة ٢ : ٦٨ - ٦٩ ، ابن سعيد : النجوم ٢٣٩ .

[3] مطموس فى الأصل وفى الخريدة القمم ، والمعنى المثبت مأخوذ من قول المتنبى :

أما ترى ظَفَراً حُلْواً سوى ظَفَرٍ ... تصَافَحَت فيه بيضُ الهِنْد واللِمَمِ

وقوله :

وأصبحتْ بقُرَى هِنْزِيطَ جائلةً ... تَرْعى الظبى فى خصيب نبته اللِّمَمُ

(اليازجى : العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب (بيروت ١٣٠٥ هـ) ٣٤٢ و ٤٤٧) . وينهى إلى ذلك المحقق الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر .

[4] النويرى : نهاية الأرب خ ٢٦ : ٨٤ - ٨٥ .

إبْطَالُ المُسْكِرَات

قال ابن المأمون : وكانت العادة جارية من الأيام الأفضلية فى آخر جمادى الآخر من كل سنة ، أن تُغْلَق قاعاتُ الخمَّارين بالقاهرة ومصر وتُختم ويُحْذر من بيع الخَمْر . فرأى الوزير المأمون ، لما وَلِىَ الوزارة بعد الأفضل ، أن يكون ذلك فى سائر أعمال الدولة ، فكَتَبَ به إلى جميع ولاة الأعمال ورأى أن يُنَادى بأنَّه مَنْ تعرَّض لبيع شىءٍ من المسكرات أو لشرائها سرّاً أو جهراً فقد عرَّض نفسه لتلافها وبَرِئَت الذمةُ من هلاكها [١] .

المِيلَاد

وهو اليوم الذى ولد فيه عبد الله ورسوله المسيحُ عيسى بن مريم ﷺ . والنصارى تتَّخذ ليلة يوم الميلاد عيداً ، وتعمله قِبْطُ مصر فى التاسع والعشرين من كيهك . ومابرح لأهل مصر به اعتناء .

وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفْرِقة الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية والمَتَارِدِ التى فيها السمك ، وقرابات الجُلاَّب ، وطيافير الزلابية ، والبورى ، فيَشْمل ذلك أرباب الدولة أصحاب السيوف والأقلام بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون فى تأريخه [٢] .

مُشَارَفَة الجَامِع العَتِيق

قال ابن المأمون : وحدَّثنى القاضى المكين بن حَيْدَرة ، وهو من أعيان الشهود بمصر ، أن من جُمْلة الخِدَم التى كانت بيدِ والده مُشَارَفة الجامع العتيق ، وأن القَوَمَة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود عنده إلى أن يعملوا ثمانية عشر ألف فتيلة ، وأن المُطْلَق خاصة فى كل ليلة بَرسْم وقوده أحد عشر قنطاراً ونصف زيتاً طيباً [٣] .

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٩١ .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٤٩٤ وقارن القلقشندى : صبح الأعشى ٢ : ٤٢٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٢٦٥ .

(٣) المقريزى : الخطط ٢ : ٢٥٦ .

الحَبْسُ الجُيُوشِى

قال ابن المأمون فى تاريخه : وجميع البساتين المختصَّة بالوَرَثَة الجيوشية مع البلاد التى لهم [١] ، لم تَزَل فى أيام الوزير المأمون البطائحى بأيديهم لم تخرج عنهم بضَمَانٍ ولا بغيره . فلما توفى الخليفة الآمر بأحكام الله ، وجَلَس أبو على بن الأفضل بن أمير الجيوش فى الوزارة [٢] ، أعاد الجميع إلى الملاَّك لكون نصيبه فى ذلك الأَوْفَرِ . فلما قُتِل واستبدَّ الخليفة الحافظ لدين الله أمر بالقبض على جميع الأملاك وحلَّ الأَحْبَاس المختصة بأمير الجيوش . فلم يزل يَانِسٌ به ، لأنه غلام الأفضل والوزير فى ذلك الوقت [٣] ، وعزُّ الملك غلام الأوحد بن أمير الجيوش يتلطَّفان ويراجعان الخليفة مع الكتب التى أظهرها الورثة وعليها خطوط الخلفاء إلى أن أبقاها عليهم ولم يُخْرِجها عنهم . ثم ارتفعت الحَوْطة عنها فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة للديوان الحافظى . ولما خَدَم الخطير والمرتضى [٤] فى سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فى وزارة رضوان بن وَلَخْشِى [٥] أعاد البساتين خاصة دون البلاد على الورثة بحكم ما آل أمرها إليه من الاختلال ونقص الارتفاع . ولما انقرض عَقِب أمير الجيوش ولم يبْق منه سوى امرأة كبيرة ، أفتى فقهاءُ ذلك العصر ببطلان الحَبْس ، فقُبِضَت النواحى وصارت من جملة الأموال السلطانية ، فمنها ماهو اليوم فى الديوان السلطانى ومنها ماصار وقْفاً وأرزاقاً أحباسية وغير ذلك [٦] .

---

(١) قال المقريزى : وتعرف البلاد التى من الضواحى فى غربى الخليج بالحبس الجيوشى وهى : بَهْتِين والأميرية ومِنْية السيرج ، وكان أيضاً بناحية الجيزة من جملة الحَبْس الجيوشى ناحية سَفْط ونَهْيَا ووسيم . حَبَس هذه البلاد أمير الجيوش بدر الجمالى على عقبه . (ابن مماتى : قوانين الدواوين ٣٣٦ – ٣٣٩ ، المقريزى : الخطط ٢ : ١٢٩ – ١٣٠) .

(٢) هو الوزير أبو على أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى الملقَّب بكُتَيْفَات (راجع عنه ، ابن ميسر : أخبار مصر ١١٣ – ١١٧ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٨٧ – ٨٨ ، الصفدى : الواف بالوفيات ٦ : ٤١٥ و ١٩ : ٧٢ ظ ، ابن الفرات : تاريخ ٣ : ١٩ – ٢٠ و ٤١ – ٤٢ ، المقريزى : الخطط ٢ : ١٧ والمقفى (خ . السليمية) ٨١ و – ٨٢ و (ترجمة مفيدة) ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ، ٥ : ٢٣٨ و ٢٣٩ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ٢٠٤ – ٢٠٥ ، Wiet, G., «Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum» (Egypte), II, pp. 85-88 ; Stern, S.M., EI., art. («al-Afdal Kutayfât», I, pp. 222-228) .

(٣) عن يانس الرومى وزير الحافظ انظر أعلاه ص ٣٧ .

(٤) هو القاضى المرتضى أبو عبد الله محمد بن الحسين الطرابلسى المعروف بالمُحَنَّك متولى نظر الدواوين ، توفى سنة ٥٤٩ هـ . (ابن ميسر : أخبار مصر ١٣٧ و ١٥٣) .

(٥) رضوان بن وَلَخْشى . أحد وزراء الحافظ لدين الله . (ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٤ – ١٣٨ وخاصة هـ ٤٣) .

(٦) المقريزى : الخطط ١ : ١١٠ .



ثبت المصادر والمراجع وبيان طبعاتها

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن محمد) المتوفى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م .

« الكامل فى التاريخ » ، ١ – ١٣ ، (بيروت ، دار صادر ١٩٦٥ – ١٩٦٧) .

ابن إيَّاس (أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) المتوفى سنة ٩٣٠ هـ /١٥٢٤ م .

« بدائع الزهور فى وقائع الدهور » الجزء الأول – القسم الأول ، تحقيق محمد مصطفى (النشرات الإسلامية ٥/١ – ١ ، القاهرة ١٩٧٥) .

ابن أَيْبَك الدَّوَادَارى (أبو بكر عبد الله بن أيبك) المتوفى بعد سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م .

« كنزُ الدُّرر وجامع الغرر » الجزء السادس المسمى « الدرَّة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية » تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة ، المعهد الألمانى للآثار ١٩٦١) .

أيمن فؤاد سيد

« دراسة نقدية لمصادر تاريخ الفاطميين فى مصر » فى دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبى فهر محمود محمد شاكر (القاهرة ١٩٨٢) ١٢٩ – ١٧٩ .

ابن حجر العَسْقَلانى (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على) المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م

« رفع الإصر عن قضاة مصر » ، مخطوطة خدابخش بتنة بالهند رقم ٢٤٨٣ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ١٠٧٤ تاريخ) .

حسن الباشـــا .

« الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق » (القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٥٠) .

« الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية » ١ – ٣ ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٦٥ – ١٩٦٦) .

ابن خَلِّكَان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) المتوفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .

« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » ١ – ٨ ، تحقيق إحسان عباس (بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٩ – ١٩٧٢) .

الخُوَارَزْمى (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب البَلْخِى) المتوفى سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م .

« مفاتيح العلوم » ، القاهرة – إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٢ هـ ، « ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى » المجلة التاريخية المصرية (١٩٥٨) ١٦١ – ٢٧٨ .

درويش النخيلى .

« السفن الإسلامية على حروف المعجم » (دار المعارف ١٩٧٩) .

ابن دُقْمَاق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) المتوفى سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م .
« الانتصار لواسطة عقد الأمصار » ٤ – ٥ نشره فولرز (القاهرة ١٨٩٤ م) .
الذَّهَبِى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز) المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م .
« العبر فى خبر من غبر » ١ – ٥ تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد (الكويت – سلسلة التراث العربى ١٩٦٠) .
سِبْط ابن الجَوْزى (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلى) المتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م.
« مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » المجلد الثامن (حيدر آباد الهند ١٣٣٧ – ١٣٣٩ هـ) .
سعاد ماهـر .
« مساجد مصر وأولياؤها الصالحون » الجزء الأول (القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٢) .
ابن سعيد (على بن سعيد المغربى) المتوفى سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م .
« النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » تحقيق حسين نصار (القاهرة ١٩٧٢) .
السُّيُوطى (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد) المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .
« حُسْنُ المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة » ١ – ٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ١٩٦٧) .
الشيَّال ، جمال الدين المتوفى سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
« مجموعة الوثائق الفاطمية » (مط . الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٥٨) .
الصَّفَدى (صلاح الدين خليل بن أَيْبَك الصفدى) المتوفى سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م.
« الوافى بالوفيات » ١ – ١٢ و ١٥ – ١٦ تحقيق مجموعة من العلماء (النشرات الإسلامية ٦ ، استامبول – بيروت ١٩٤٩ – ١٩٨٢) .
ومخطوطة أحمد الثالث رقم ٢٩٢٠ .
ابن الصَّيْرَفى (تاريخ الرئاسة أمين الدولة أبو القاسم على بن مُنْجِب) المتوفى سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م .
« الإشارة إلى من نال الوزارة » تحقيق عبد الله مخلص . BIFAO 25 (1924), pp 42-112: 26 (1925), pp. 49-70 .
« قانون ديوان الرسائل » تحقيق على بهجت (القاهرة ١٩٠٥) .
ابن ظَافِر (جمال الدين على بن ظافر الأزدى) المتوفى سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م .
« أخبار الدول المنقطعة » دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع تقدمة وتعقيب أندريه فِرِّيه (المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٧٢) .
عبد العزيز الدورى .
« المؤسسات العامة فى المدينة الإسلامية » ، مجلة الأبحاث ٢٧ (١٩٧٨ – ١٩٧٩) ٥ – ٢٢ .
عبد العزيز مرزوق .
« الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية » (القاهرة ، دار الآثار العربية ١٩٤٢) .
عبد اللطيف إبراهيم .
« الوثائق فى خدمة الآثار – العصر المملوكى » من أبحاث المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربية (القاهرة ١٩٥٨) ٢٠٥ – ٢٨٧ .

على مُبَارَك بن سليمان الروحى المتوفى سنة ١٣١١هـ /١٨٩٣ م .
« الخِطَط التوفيقية الجديدة » ١ – ٣ (دار الكتب المصرية ١٩٦٩) .
ابن العِمَاد (عبد الحى بن أحمد بن محمد الحنبلى) المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م .
« شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » ١ – ٨ ، نشره حسام الدين القدسى (القاهرة ١٣٥٠ – ١٣٥١ هـ) .
العِمَاد الأَصْفَهَانى (أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبو الفرج الكاتب) المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م .
« خريدة القصر وجريدة العصر » قسم شعراء مصر ، ١ – ٢ ، تحقيق أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عباس (القاهرة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٥١) .
عماد الدين الأَصْفَهَانى (؟).
« البُسْتَان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان » نشره كلود كاهن Cahen, Cl., «Une Chronique Syrienne du VI/XII siècle», BEO VII-VIII (1938), pp. 113-158 .
ابن الفُرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) المتوفى سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م .
« تاريخ الدول والملوك » مخطوطة مكتبة فينا رقم ٨١٤ (مصور بالمكتبة التيمورية برقم ٢١١٠ تاريخ) .
ابن القَلَانِسِى (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمى) المتوفى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م .
« ذيل تاريخ دمشق » حققه آمدروز (بيروت ١٩٠٨) .
القَلْقَشَنْدِى (أحمد بن على بن أحمد الفزارى) المتوفى ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م .
«صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » ١ – ١٤ (القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩١٢ – ١٩٣٨ م) .
ماجد ، عبد المنعم .
« نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر » ١ – ٢ ، (القاهرة ، مكتبة الأنجلو ١٩٧٣ – ١٩٧٨ م) .
أبو المَحَاسِن (جمال الدين يوسف بن تَغْرى بردى) المتوفى سنة ٨٧٤ هـ /١٤٧٠ م .
« النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ١ – ١٢ (القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٩ – ١٩٥٥) .
المُسَبِّحِى (الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد) المتوفى سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م .
« أخبار مصر » الجزء الأربعون ، حقَّقه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى (القاهرة ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٧٨) .
المَسْعُودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على) المتوفى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م .
« مروج الذهب ومعادن الجوهر » ١ – ٧ تحقيق شارل بلَّا (مط . الجامعة اللبنانية – بيروت ١٩٦٦ – ١٩٧٩) .
المَقْرِيزِى (تقى الدين أحمد بن على) المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م .
« اتعاظ احنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » ١ – ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيَّال ومحمد حلمى محمد أحمد (القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٧ – ١٩٧٣ م) .
« الخِطَط » = « المواعظ والاعتبار بذكر الخِطَط والآثار » ١ – ٢ (بولاق ١٢٧٠ ، ومخطوطة مكتبة خزينة باستامبول رقم ١٤٧٢) .
« السلوك لمعرفة دول الملوك » ، ج١ و ج٢ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، (القاهرة ١٩٣٤ – ١٩٥٨) .
« المُقَفَّى الكبير » مخطوطة المكتبة السليمية باستامبول رقم ٤٩٦ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٥١٠ تاريخ) .
ابن مَمَّاتى (أبو المكارم أسعد بن مُهَذَّب ، الخطير أبو سعيد بن مينا) المتوفى سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م .

« قوانين الدواوين » ، حققه عزيز سوريال عطية (القاهرة ، الجمعية الملكية الزراعية ١٩٤٣ م) .

المَنَاوى ، محمد حمدى .

« الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى » (القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٠) .

ابن مُيَسَّر (تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جَلَب رَاغِب) المتوفى سنة ٦٧٧ هـ ٢٧٨ م .

« المنتقى من أخبار مصر » انتقاه تقى الدين المقريزى ، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد (القاهرة ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٨١) .

ناصرخُسرْو المتوفى بعد سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م .

« سَفَرْنَامة » ترجمة يحيى الخشاب (بيروت ، دار الكتاب الجديد ١٩٧٠) .

النُّوَيْرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) المتوفى سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م .

« نهاية الأرب فى فنون الأدب » جـ . ٢٦ (مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ معارف عامة) .

ياقوت الحموى (ياقوت بن عبد الله الرومى) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م .

« معجم الأدباء » ١ - ٢٠ ، نشره أحمد فريد رفاعى (القاهرة ١٩٣٦) .

* * *

Cahen, Cl., «Quelques chroniques anciennes relatives aux derniers Fatimides», BIFAO 37 (1937-38), pp. 1-27.

EI. = «Encyclopédie de L'Islam» (édition française).

Lavoix, H.,«Catalogue des Monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale (Egypte & Syrie) », Paris 1896.

Wiet, G., «Comptes rendus», JA (1921), pp. 65-125.

Wiet, G., «Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum (Egypte) II, MIFAO t. 52 (1929).

Wiet, G., «Répertoire chronologique d'épigraphie arabe», t. VIII, IFAO 1937.

فهارس الكتاب

١ – الأعلام



٢ – الأماكن والمواضع والبلدان

(ت)

(ث)

٣ – المصطلحات وأسماء الدواوين

(أ)

---

(١) يقصد بها الأماكن والأراضى المتسعة التى لا نبات فيها . (إبراهيم على طرخان : النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٨) ٥٠٥) .

(٢) جام وجمع جامات آنية تكون أحياناً من الفخار أو من الزجاج يصب فيها السكر بعد نضجه لصنع الحلوى . (Dozy, R., Suppl. aux Dict. Ar. I, 168) .

---

[1] جفنة جـ . جفان . آنية تكون من خشب وأحياناً من الطين ، فى الحالة الأولى لوضع الفاكهة أو الحلوى ، وفى الحالة الثانية توقد بها النار .(Dozy, R., Supl. aux Dict. Ar. I,201) .

(١) الشينى (شانى أو شينية أو شونة) . السفينة الحربية الكبيرة ، كانت من أهم القطع التى يتكون منها الأسطول فى الدول الإسلامية . (راجع ، درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ٨٣ – ٨٥) .

---

[1] طيفور جـ . طيافير مقَعَّر عميق قاعه مسطح وجوانبه مرتفعة باستقامة بنسبة ثلاث إلى أربع بوصات . (Dozy, R., Suppl. aux Dict. Ar. II, 48) .

٤ – أسماء الوظائف والألقاب

٥ – الطوائف والجماعات

٦ – الأزياء والأقمشة والعمائم

---

[١] تطلق البدلة لما يخلع به على الرجال ، أما الحلة فتطلق لما يخلع به على النساء . وهناك بدلة مكونة من ثلاث قطع وفوطة (٥٢) ، وقطعتان وفوطة (٥٢) .

[٢] ذكر ابن المأمون أربعة أشكال للبدلة المذهبة :
- خمس قطع وكم وعرضى ٥٢ ، ٥٣ .
- ثلاث قطع وكم ٥٢ .
- أربع قطع وكم وعرضى ٥٢ .
- ثلاث قطع وفوطة ٥٢ .

٧ – أسماء الكتب .

En terminant, nous ne pouvons que nous réjouir de voir s'achever ce travail et espérer qu'il soit suivi par l'édition d'*al-Ḏaḫā'ir wa-l-tuḥaf* et de *Nuzhat al-Muqlatayn*. Que cela se fasse dans un avenir proche comblerait tous nos vœux.

Héliopolis 26 ṣafar 1403 — 12 décembre 1982

AYMĀN FŪ'ĀD SAYYID

savons du cérémonial fatimide, des cortèges du calife lors des fêtes, des rites accompagnant leurs déplacements pour la prière, des gratifications accordées aux dignitaires, des distributions de nourriture, etc... Al-Āmir avait en effet remis à l'honneur un grand nombre des cérémonies qui étaient tombées en désuétude dans les périodes de crises que le pays avait traversées sous les règnes de ses prédécesseurs, et Ibn al-Ma'mūn a pris soin de les enregistrer et de les décrire. En dehors de lui, nous n'avons que quelques renseignements remontant au début du califat, que nous devons à Ibn Zūlāq et Musabbiḥī.

Le récit que Maqrīzī fait d'après al-Ma'mūn est également lié à deux autres ouvrages dont les originaux sont perdus. Le premier, qui lui est antérieur, est *al-Ḏaḫā'ir wa-l-tuḥaf* qui traite plus spécialement du règne d'al-Mustanṣir, et le second, postérieur à lui, est celui d'Ibn al-Ṭuwayr al-Qaysarānī, *Nuzhat al-Muqlatayn fī aḫbār al-dawlatayn al-fāṭimiyya wa-l-ṣalāḥiyya.*

Au cours de nos recherches sur les Fatimides et les sources de leur histoire, mon attention a été attirée sur l'importance des fragments de ces trois ouvrages cités par Maqrīzī et d'autres. Leur dispersion cependant en rendait l'intelligence imparfaite. Aussi nous sembla-t-il utile de les rassembler en une édition critique.

L'ouvrage présenté aujourd'hui regroupe les passages empruntés par Maqrīzī et Nuwayrī à l'*Histoire* d'Ibn al-Ma'mūn, mort au Caire le 16 Ǧumāda I 588 et dont nous ne savons guère qu'une chose : qu'il était l'un des fils du vizir al-Ma'mūn al-Baṭā'iḥī. Il composa son *Histoire* après le vizirat de son père en se fondant à la fois sur ce qu'il en savait lui-même et sur des mémoires et documents officiels. Il cite également des registres et documents de l'époque d'al-Afḍal Šāhinšāh dont nous ne savons d'où il les tient. Ils ne figurent pas en tout cas dans le *Dīwān al-Inšā'* et on peut supposer qu'il en a trouvé des copies dans les papiers de son père.

La rédaction du texte date sans doute des dernières années de sa vie puisque la date la plus récente citée est celle de 586 H. soit deux ans avant sa mort.

Pour cette sélection des passages de l'*Histoire* d'Ibn al-Ma'mūn, nous avons utilisé la même méthode que pour les *Aḫbār Miṣr* de Musabbiḥī et d'Ibn Muyassar, que ce soit pour l'établissement du texte, leur localisation dans l'original, l'identification des noms de personnes, l'analyse des termes techniques ou la mise en relation des événements cités aux autres ouvrages de références.

INTRODUCTION

Qui lit attentivement les *Ḫiṭaṭ* de Maqrīzī notera que sa source principale pour la période du califat d'al-Āmir bi Aḥkām Allāh et les vizirats d'al-Afḍal b. Badr al-Ǧamālī et al-Ma'mūn b. al-Baṭā'iḥī, est l'*Histoire* d'Ibn al-Ma'mūn. D'une manière générale, cet ouvrage est, avec *al-Ḏaḫā'ir wa-l-tuḥaf* et *Nuzhat al-Muqlatayn* d'Ibn al-Ṭuwayr al-Qaysarānī, l'une de ses sources essentielles pour l'histoire des institutions et du cérémonial fatimides. C'est d'après lui notamment que Maqrīzī nous décrit dans le détail les fêtes et cérémonies célébrées sous le règne d'al-Āmir bi Aḥkām Allāh.

L'original en est perdu et le texte ne nous en est connu que par l'intermédiaire de ce qu'en citent Maqrīzī et Nuwayrī. Maqrīzī l'utilise surtout pour la période du califat d'al-Āmir et plus précisément le vizirat d'al-Ma'mūn, soit les années 501 à 518 de l'hégire, avec une attention plus particulière pour les années 501, 506, 509 et 515-518. Ce découpage chronologique correspond très exactement avec les années sur lesquelles porte l'*Histoire* d'Ibn Muyassar : 502-514 de l'hégire. Nous avons établi par ailleurs que c'est à Ibn al-Ma'mūn qu'Ibn Muyassar doit l'essentiel de sa chronique, même si cela n'est pas dit explicitement par ce qui — par Maqrīzī — nous est parvenu de son texte.

En dehors de Maqrīzī et de Nuwayrī il ne semble pas que d'autres historiens aient utilisé ce texte, à l'exception peut-être d'Ibn Ẓāfir al-Azdī et d'une courte mention d'Ibn Sa'īd al-Maġribī, qui le juge de peu de valeur et nous apprend qu'il comptait quatre volumes.

L'ouvrage, on le verra, est riche d'informations détaillées et d'autant plus précieux que, outre qu'il est la seule source pour l'histoire du califat d'al-Āmir, il est particulièrement précis sur les institutions et le cérémonial fatimides à l'époque du vizirat du père de l'auteur, al-Ma'mūn al-Baṭā'iḥī.

Ibn al-Ma'mūn nous donne en effet une description détaillée du cérémonial palatin en un temps où, après l'affaiblissement du pouvoir qui avait marqué le règne d'al-Mustanṣir, la restauration opérée par Badr al-Ǧamālī et ses successeurs a rendu au califat sa fermeté et fixé les règles des manifestations qui en célèbrent la puissance. C'est d'ailleurs à cette époque que se rapporte ce que nous



PASSAGES

DE LA

CHRONIQUE D'ÉGYPTE

d'IBN AL-MA'MŪN

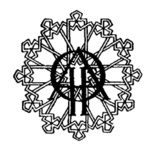
Prince Ǧamāl al-Dīn Abū ʿAlī Mūsā b. al-Ma'mūn al-Baṭā'iḥī

m. 588 H.

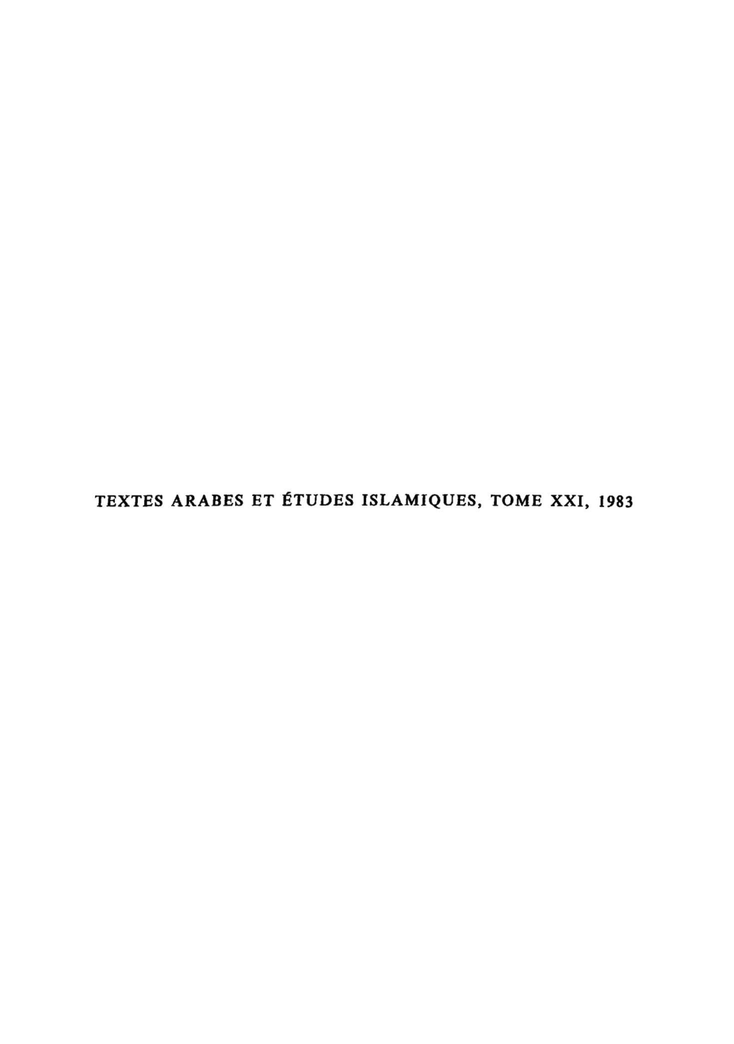
édités et présentés

par

AYMAN FU'ĀD SAYYID



INSTITUT FRANÇAIS D'ARCHÉOLOGIE ORIENTALE DU CAIRE



TEXTES ARABES ET ÉTUDES ISLAMIQUES, TOME XXI, 1983

PASSAGES

DE LA

CHRONIQUE D'ÉGYPTE

d'IBN AL-MA'MŪN



596

PASSAGES

DE LA

CHRONIQUE D'ÉGYPTE

d'IBN AL-MA'MŪN

Prince Ǧamāl al-Dīn Abū ʿAlī Mūsā b. al-Ma'mūn al-Baṭā'iḥī

m. 588 H.

édités et présentés

par

AYMAN FU'ĀD SAYYID





UT FRANÇAIS D'ARCHÉOLOGIE ORIENTALE DU CAIRE